

دكتور محمد عمارة

جمال الدين الأفغانى المفتى الحكيم عليه



دار الشروق

جَمَالُ الدِّينِ الْإِفْغَانِيَّ
الْمُفْتِيَّ لَهُ عَلَيْهِ

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

جميع حقوق الطبع محفوظة

c دار الشروق

الطبعة الأولى من طبعات دار الشروق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
جميع حقوق الطبع محفوظة
جميع الحقوق محفوظة

اختصاص الدكتور لويس ، فلقد بنأ بسا ما أنصح به ، التعايش السلمى ، المرتكز إلى « حسن الحوار » ، تلقى طيلا ، ولكن في ود واحترام ، أقر أنه ما يعرض عليها من نقد وتفهم للأدب الأوربية ، مرادة متدوق غير متحصص ، وأندى إعجاب في كثير من الأحيان ، ويعرأ الرجل بعض أعمار ، ويلى عليها شاء ، أشكره عليه

لكن ، الظاهرة ، التي ألفتني - وربما ألفت غيري - هي حروح الدكتور لويس عن إطار تخصصه واحتصاصه ، لا إلى دائرة فنية أو فكرية أوسع - فهذا حق المشروع شريطة أن يتأهل له - وإنما إلى دائرة فكرية ليست بينه وبينها أية علاقة على الإطلاق ، ثم إصداره العديد من الأحكام الخطيرة والخطرة في قضايا فكرية لها حساسيات شديدة ، تحكم صلبها العصبية بالمعتقدات المقدسة لجمهور الأمة ، وحى نشاطه الحديده هذا وأحكامه تلك في إطار الجهود التي تنظمها وتوجهها دوائر استشرافية ثرية - أوربية وأمريكية - تصدى لنيارات فكرية محلية ، بعضها قومي وأغلبها إسلامي ثم - وهذا هو المصدر الأساسي للفكر من هذه ، الظاهرة - ، أن تصدى الدكتور لويس هذه القضايا قد جاء دون « مؤهلات » ، ليس بالمعنى الأكاديمي ، ولا لأنه مسيحى بفتحهم ميدان الكتابة في التاريخ لحركات الإصلاح الإسلامية ، وإنما بالمعنى « العلمى » ، الذى يتطلب من أى إنسان أن يتأهل ولو بالحد الأدنى من أسلحة الميدان الذى يريد أن يجارب فيه !

لقد ألتفتى هذه « الظاهرة » ، لأحكامها الخطيرة ، واستنتاجاتها العريية ، ولما مثلته وقته من استمرار للتصير القومى والإسلامى وهو ذلك حينها في إطار محط لا تحسب أن معالته ومراقبه قد عانت عن حطة الدكتور لويس ؟ !

وعلى سبيل المثال

● فعلى مدى حرب السويس سنة ١٩٥٦ م وعدوان سنة ١٩٦٧ م استقطب المشروع القومي العربي ، الذي قادته جمال عبد الناصر ، جمهور الأمة العربية . ومرت لهذه الأمة ذاتيتها الخاصة تجاه العرب الاستعماري وحصاراته الدارية . وأحد عقل الأمة يبحث عن ذاتها وقضاياها التي تميزها عن أعدائها وعرائها التاريخي . فإذا الإسلام السياسي والحضاري يبرز كالمصدر الأعظم والصيغة الأفضل في تكوين الملامح القومية لهذه الأمة الأمر الذي دفع إلى المقدمة ظاهرة ، الأحياء الإسلامي ، وه الصلوة الإسلامية ، الحالية حتى نستطيع أن نقول إن التيار الإسلامي المعاصر ، قد انطلق ، مواصلاً ومطوراً ، المشروع القومي العربي الناصري ، وعم ما حدث بين القوميين والإسلاميين من صراع سطحي أو عيب ١٤

وفي خلال تلك الحقبة - حقه بروع شمس المشروع الحضاري الخاص للأمة العربية - تعلقت آمال شعوب الشرق الإسلامية ، بل وعبر الإسلامية ، بالأمة العربية ، آملين أن تقوم نضالها في سبيل الاستقلال السياسي والاقتصادي والحضاري ، كما صممت ذلك ، من قبل ، بالفتوحات التي أعقبت ظهور الإسلام ١

وهكذا تلاحمت الدائرة العربية بالدائرة الإسلامية ، ويرر لتعمل الوعي بعصاء ، المشروع القومي العربي ، إلى ، الدائرة الإسلامية ، . ولربما ، الدائرة الإسلامية ، بالمشروع ، القومي العربي ، . والعلاقة الوثيقة بين ، العروبة ، و ، الإسلام ، ١

● ولقد كان طبعياً أن يصدى العرب الاستعماري - وحصاراته العدوانية

الاستعمارية للمشروع الحصارى ، العربى - الإسلامى . الذى يريد أن
 يعد مقولة العرب الاستعمارية التى تزعم أن حصارته هى الحصار
 « الإسياسية » . وأن على كل الأمم أن تتحل من مواريتها الحصارية
 وحصانيتها القومية . وتتحوّل إلى كيانات حصارية تابعة للعرب . وإلى
 « هوامش » للحصار العربى . لقد هفت دوائر الفكر الاستعمارى فى
 العرب . لفتى حملتها الحصارية ضد مواد مشروع الحصارى الخاص .
 مدافعة عن ما يمكن أن تسميه « الاستعمار الاستيطانى الحصارى » . كما
 تدافع جيوش العرب وشركائه عن « الاستعمار الاستيطانى » التمثلى فى
 الكيانات العصرية . والمواعد العسكرية . والهب الاقتصادى لثروات
 البلاد التابعة للمركز العربى !

وفى حضم هذا الصراع الحصارى بدأت وموت ، الظاهرة المثلفة «
 للذكور لويس عوض ! فى تلك الحقة على وجه التحديد بدأ
 الرجل يتخطى نطاق احتصاصه وتخصه - النقد الأدنى - ويتقدم إلى قرانه
 « معكرا » بوجه سهامه إلى لب المشروع الحصارى الخاص للأمة إلى
 « العروبة » و « الإسلام » ؟ !

● بينما الأمة تسعى إلى بلورة ملامح مشروعها الحصارى « المتميز » -
 ولا نقول لعمادى ولا الملحق - عن الحصار العربى - وخاصة فى جوانبها
 الاستعمارية وروحها القادية - بينما الأمة تسعى على هذا الدرب . يربط أهمية
 تحديد الصلات بين « الحاصر » وبين « الثرات » . وضرورة تأسيس المشروع
 الحصارى المحدد على « الثوات » و « القيم » و « الضباب الحصارية » التى
 هى بمثابة « المصعة » للعبارة لأمتنا عبر تاريخها الطويل . والتى لا تزال
 صالحة للعطاء الذى يمثل مذاقة حلقة فى التقدم والبهوى

وهنا تقدم الدكتور لويس . في صورة « مزج الفكر » ليقول في كتابه [تاريخ الفكر المصري الحديث] إنه لا علاقة بين مصر الحديثة وبين التراث العربي الإسلامي . فكل ما في مصر الحديثة من إيجابيات . وجميع ما عرفت من مظاهر الحرية والديمقراطية . إن في « الفكر » أو في « التنظيم » - إنما هو أثر من آثار الحملة الفرنسية عليها سنة ١٧٩٨ م . حتى لو لم يكن للحمص كتابه هذا في كلمات تقول : « إن مصر الحديثة هي هبة يونانرت » ١٩

وبالطبع . فليس المقام الآن خاصا بمسجد دعوى الدكتور لويس . التي نرمي إلى عزل حاضر الأمة عن تراثها ، العربي - الإسلامي . فقط يريد أن نسأل - وهو الذي مرأه الخيري - . ألم نقرأ ذلك الحوار الذي دار بين عمر مكرم [١١٦٨ - ١٢٣٧ هـ ١٧٥٥ - ١٨٢٢ م] وبين الصايط الأرنؤدي « عمر بك » . أثناء حصار الشعب للمصري . برعاية عمر مكرم - للوال العثماني خورشيد باشا . في القلعة . في سنة ١٩٠٥ م ٢٠

لقد دار هذا الحوار . الذي بدأه الصايط الأرنؤدي . على النحو التالي :

عمر بك : كيف تغزلون من ولاء السلفطان عليكم . وقد قال الله تعالى : [أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم] ١١

السيد عمر مكرم أولم الأمر العلماء ، وحملته الشريعة ، والسلطان العادل وهذا - [خورشيد باشا] - رجل ظالم وحرث العادة ، من قديم الزمان ، أن أهل البلد يعزلون الولاة ، وهذا شيء من زمان ، حتى الخليفة والسلطان ، إذا سار فيها بالخور ، فإنهم يعزلونه ويخلعونه ١

عمر بك وكيف تحضرونا . ونعمون حيا طاء والأكل ،
وتناولونا ؟ ! نحن كعمرة ، حتى تفعلوا معا ذلك ؟ !

السيد عمر مكرم . نعم ! لقد نحن العلماء والقاصي بحوار قتالكم
ومحاربتكم ، لأنكم عصاة ^(٢١) !

سأل الدكتور لويس عن دلالة هذا الحوار ، الذي هو جزء من فكرة
أول الثورات الدستورية في حياة مصر الحديثة . أكانت حملة بومارت هي
مصدره ؟ أم أن ثراث الأمة وشريعها الإسلامية كانت الخطية العكرة
التي تعلم بها عمر مكرم حق الأمة - « أهل البلد » - في عزل الولاة ، بل
والخليفة والسلطان ، لأن الأمة هي مصدر السلطات ، والعاثون الحاثرون
من هؤلاء هم « عصاة » ، لأنهم « علينا أن نقاثلهم » لأنهم كعمروا بشريعة
العدل والإنصاف !

هل كانت مصر الحديثة لها ستة العصلة مقارنها الإسلامية ؟ ، نبدأ من
حيث انتهت الثورة الفرنسية ، ورسولها دابليون ؟ !

● وفي ذات كتاب الدكتور لويس - [تاريخ الفكر المصري الحديث] -
يريد أن يعلم فراه أن ، استقلال مصر ، ليس هو « استقلالها عن الغرب
الاستعماري » ، بل هو « استقلالها عن عاصيها وترانها » ، وفك الارتباط بينها
وبين المحيط الإسلامي الأوسع ، حتى ولو كان في ذلك « نعيها للغرب
الاستعماري » ، في السياسة والحضارة والاقتصاد ^{١١} .

معده أن أول مشروع لاستقلال مصر هو ذلك الذي وضعه « للعلم

(٢١) تعريب [صحائف الآثار] ج ٦ ص ٢٢٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨ م

يعقوب ، | ١٧٤٥ - ١٨٠١ م | . والعنه يعقوب هذا اتفاق ، حرج على إجماع الأمة ، إبان الحملة العرسية على مصر ، وحال الشعب ، أماسا ومسلمين ، وتكون مرفقة من أرامل الأقطاط . الذين تبدتهم حتى طاعتهم وأصبحوا وسط القمع العرسى والهبة الوهابية لمصر النائرة على الاحتلال حتى لقد سح العرسيون ليعقوب هذا لقب « حورال » . وعيونه « قائمقام حارى عسكر العرسيس » ١ . وهو الذى يسميه « الخرنقى » . فى كتابه [مظهر التقديس نزوال دولة العرسيس] - « يعقوب القلمى » ٢

« يعقوب القلمى » هذا ، هو - عبد الكفور لويس - صاحب المشروع الاستقلال الأول لمصر . فإذا حنا عن ملامح هذا المشروع . كما أوردنا الدكتور لويس ، من خلال « هديان » يعقوب القلمى ، أثناء احتضاره على ظهر السفينة الاخيلية - « العرافة بالاس » - التى أقبلته مع الحرية الدين حلوا عن مصر فى ركاب حدود الحملة العرسية سنة ١٨٠١ م . وهو الهديان ، الذى ترجمه رجل ، مصاب - [باعتزاز الدكتور لويس] - سرح من الخرس ، يدعى « لاسكاريس » . ودونه قطاى المسعبة « حورىب آدموند » . إذا حنا عن ملامح « مشروع الاستقلال الأول » هذا ، من خلال هذا « الهديان » - الذى وضعه الدكتور لويس - « الوثائق » ؟ ١ - مسند هذا ، الاستقلال ،

١ - استقلال مصر عن الدائرة الإسلامية التى كانت تمثل ، يومئذ ، فى الدولة العثمانية

٢ - وحضور مصر ، المستقلة ، هذه ، لتأثير انحطاط ، التى تمثلت ناحية البحار

المهبطه مصر . « إذ » من المنجبل على انجلترا أن تحتك مصر امتلاكها
لستعمره . .

٣ - حياه استقلال مصر من الدائرة الإسلامية . وفأمين إحصاها « لتأثير
انجلترا » بوجود قوة أجنبية مرتزقة في مصر فوامها بين ١٢ ألفا و ١٥
ألف جندي . « تتحمل مصر ثقلها ! .. فصر في حاجة إلى قوة
قاهرة تحكم حياه قوم وادعي جهلا » ١٩ .

ثم يخصي « يعقوب اللعين » في مشروعه . معها في إغراء إنجلترا
بالسيرة على مصر . يقول : « إن الامبراطورية العباسية توشك أن تتداعى
من كل جانب . ولذا من المهم للانجليز أن يلتمسوا الوسائل المضمونة
للاستفادة من عهد قمرها التاريخي بأسب طريقة تحقق مصالحهم السياسية
المستفلة . . إن بريطانيا العظمى ليست حاحه إلى امتلاك مصر كمستعمره .
لأنها مستأثر دائما بالتجارة معها . نتيجة طبيعة لتعوقها البحرى . فهي
ستؤثر إذن في مصر باختيارها » ١٩ .

إنه « استقلال » من الدائرة الإسلامية وحصول « اختيارى » -
[ومع ذلك فهو بقوة أجنبية . مرتزقة . قاهرة] - للمغرب الاستعماري .
التمثل . بومند . في بريطانيا العظمى ١٩

ذلك هو مشروع « الاستقلال الأول » لمصر . الذى وضعه « للعين
يعقوب » . والذى لأجله وصح الدكتور لوس « معلمه » يعقوب هذا في
مصاف الأبطال . أبطال الاستقلال الوطنى . فكيف يقول (٣) : إن

(٣) د لوس حوص [تاريخ الفكر المصرى الحديث] ج ١ ص ١٨٣ ١٨١ ١٨٦
١٩٤ . ١٩٧ . ٢٠٩ طبعه دار تلال القاهرة سنة ١٩٦٩ .

الحكيم التاريخي الموضوعي يقول : إن الخديوي يعقوب - ومحمد علي - وكل قائد أو دعم شارك عهد في الكفاح من أجل استقلال البلاد - من علي بك الكبير إلى جمال عبد الناصر - كانوا مجرد أدوات في يد هذا الشعب العظيم - ونسحبهم من إرادته لتحقيق استقلال مصر ، ولتثبيت هذا الاستقلال ؟ ١١

هذا يريد الدكتور لويس حلقط الأمور والأوراق على القراء - فعلى بك الكبير ومحمد علي كانوا قادة - كل في وقته وملأه - لمشروع استقلال المنطقة بأسرها - وليس « استقلال مصر » الذي يعنى عزلها عن المحيط الأوسع من إقليمها - والعدو الرئيسي كان العرب الاستعماري . وما تناقص بينهم وبين السلطان العثماني إلا لما رأوه من ضعفه الذي أفضى وبقيهم إلى ازدياد خطر الاستعمار الغربي - فصراعهم مع العثمانيين يأتي في إطار محاولات إصلاح وتجديد الرباط الذي ينظم أقاليم العروبة والإسلام في الشكل الذي يحقق لأغلبها تحاءل التحدى الاستعماري إنه « صراع » في إطار « الوحدة » - لمواجهة الخطر الرئيسي - وهو العرب الاستعماري

كذلك لم يكن عبد الناصر داعية للاستقلال الذي يعزل مصر عن محيطها العربي وعالمها الإسلامي - المشروع القومي عني عن تفصيل الحديث ! فكيف - إذن - ينسب للدكتور لويس عرض أن يصنف الدخوة لعزل مصر عن محيطها الإسلامي - وإخضاعها لأعداء - بين مشاريع « الاستقلال » بل ويقول عنه - إنه « مشروع الاستقلال الأول » ١٢ وكيف ينسب للرجل أن يصنع الخائن « يعقوب اللعين » في زمرة القاذرة والزعماء الذين كانوا ، أداة هذا الشعب العظيم - المعبرين عن إرادته - من مثل علي بك الكبير ، ومحمد علي ، وجمال عبد الناصر ؟ ١٣

كيف ينسى الدكتور لويس « نبيص » الصفحة « السوداء » للمعلم يعقوب ؟^١ اللهم إلا إذا كان يريد أن يوهم قراءه أنه « مع دعونه لعزل مصر عن محيطها العربي - من الناحية القومية ، ومانع طرحه من حجابات وحدوية - ومع دعونه لتلك الأرباط بين مستقبل مصر وبين تراثها الإسلامي . وشعوب أمها الإسلامية . واستبدال الحصار العربي بالهدن الإسلامي . أتى عزل مصر عن محيطها وعن تراثها . مع إقصائها للعرب - حصوعا حصاريا اختياريا - يريد الدكتور لويس أن يوهم قراءه أنه - كمنعته يعقوب - رغم هذه الدخوة - بل وسبها - واحد من دعاة « ملال »^٢ . وليس كما يقول خصومه واحدا من رموز « السعة الحدو » . كما كان المعلم يعقوب والثداء للتعصب السياسية والاقتصادية ، للعرب . المتمثل في اعتراف ذلك التاريخ^٣ ١١٢ - محاولة « لتأصيل » دعوة الدكتور لويس . فيها الكثير من الإسقاط على الذات !

● وفي إطار المعنى لعزل الأمة عن تراثها الحضارى . تأتى الجهود التى بذلتها وتبذلها حركة الاستشراف - وخاصة قطاعاتها التى تشكلت فى « إبداع » العرب الحضارى - . لأن الهدف هنا هو تحريم « الفريسة » من « المخذ التاريخى » . كى نستسلم « للتعريب » . إذ يصبح التعريب . بالسة للحاضر والمستقبل . هو « الحيار الوحيد » . طالما أن نرائنا لا بشير علينا بحيار يدلل .^٤

وعلى هذا الدرب كانت دراسة الدكتور لويس عوصر [على هامش العفران] تلك التى كتبها سنة ١٩٦٤ م . لتكون حلقة فى سلسلة التشكيك بأصالة التراث العربى . من خلال التشكيك بأصالة فكر أبي العلاء المعرى [٣٦٣ - ٤٤٩ هـ - ٩٧٣ - ١٠٥٧ م] ولسينه . وذلك عن

طريق إيهام الغراء أن المعري - وهو الصفحة المازقة في تراثنا الأدبي والفكري - لم يكن إلا صدى لرهبان ميؤنة ، وتلميذا لأديرتهم ، وطبعة لكثرت العرب الحصارى ، الذي أبدعه اليونان ؟ ! .

فهى ، إذن ، جهد موطى ، لترج سلاح الأمة ، ، إبان سعيها - في سبيلات هذا القرن - حلف قيادة عبد التاصر ، للورة مشرووعها الحصارى الحافى ، وللتقل عن البعية الحصارى للعرب الاستعمارى ؟ !

● ولقد كان الدكتور لويس - عوض في مطلع حياته الفكرية أكثر جرأة ، وأقل ، دبلوماسية ، مما هو عليه الآن ! ..

من العرب تعلم ، مع الأدب الانجليزى ، الكراهية والعداء للعربية ، تلك التى تربط مصر بحيطها العربى وتراثها الإسلامى ، والتى تمثل رابطة قوية أوصى عليها القرآن طابع القداسة والخلود . فقرر الدكتور لويس أن يسير على الدرب الذى لولاه ، فى القرن التاسع عشر ، للشرق الانجليزى الاستعمارى السير ، ولم يلكؤ كس ، ، ذلك الذى ترعم الدهوة لفتحلى عن العربية . وكتب : « إن دراسة العربية العصى مصيبة للموت ، وموتها محقق كما مانت اللاتينية ! »

لكن الدكتور لويس تعلم ، أيضا ، أن استدال الحرف اللاتنى بالحرف العربى - على النحو الذى دعا إليه عبد العزيز فهمى باشا [١٢٨٧ - ١٣٧٠ هـ ١٨٧٠ - ١٩٤٨ م] لم يكن أكثر من صيحة تبدد صداها فى المحيط العربى والانتماء الإسلامى لمصر . بل ربما كانت هذه الصيحة عاملا من العوامل التى استعزت الحس العربى واستعمرت الصمير الإسلامى ، فى مصر ، كى يعى هول ما يدره له الأعداء ؟ ! فلم يدع الدكتور لويس

إلى كتابة العربية بالحرف اللاتيني - وإنما دعا إلى تعظيمها كلية - ولكن عن طريق مألوف للناس أكثر من اللاتينية - عن طريق استخدام « العامية » بدلاً من « الفصحى » - ولما كان لكل إقليم عريق « عاميته » - فإن « العامية » متصيح الطريق لمرء مصر عن محيطها العربي - وعرفها كذلك عن ترانها واتقانها الإسلامى ! فكتب الدكتور لويس في مقدمة كتابه [بلوتولامد] - الذى صممه ما أسماء شعرا بظمه بين سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٠ م - كتب يقول : « إنه قد ناهد الثلوح العريفة - في حنوة منهودة - بين أشجار الدردار - عند قنلال - سكامريدح - ألا يحط كلمة واحدة إلا باللغة المصرية » (العامية) ؟ !

ورغم أن الدكتور لويس قد عجز عن الوفاء بمعهده هذا - ولم يستطيع النبوض بنبعات « النهضة » التى عاد بها من الغرب - فاضطر - في المحيط العربي الإسلامى - الذى حكم عليه القدر بالتشاة والحياة فيه - إلى الكتابة بالعربية الفصحى - إلا أنه لم يتحل عن عداقه للعربية - فكتب في كتابه [مذكرات طالب بعثة] سنة ١٩٤٢ م - بصف العربية بأنها « أعلال » يحب تعظيمها ١٢ - كتب يقول : « إنه ما من بلد حتى إلا وشيت فيه بورة أدية هدها تعظيم لغة السادة المقدسة - وإقرار لغة الشعب العامية - أو الدارجة - أو السخطة - أما في مصر - فقد ناز كثيرون على اللغة المقدسة بمعصم داخل الطفاق القفرى كطللى السبد - ومعصم بصورة علية - كبيرو القونسى - شاعر مصر الأول ١٢ - ولكن ثورتهم لم تكن بالثورة الفعالة - لأن العيد لم يصحوا بعد لتعظيم أعلالهم - ورغم ذلك فتحى سحتى لهم - ولسوف يسجيون العاقبة في مستقبل الأمام ؟ !

فما حامت السمجات - حفة للذ القومى العربى - الذى فتح الطريق

أمام الخبار الإسلامي - أدرك الدكتور لويس - ومن علق معهم في التوجه
الفكري - أن حلبة المحاصر على « الخبار التعريبي » - حجاج إلى « الثورة
البعثة » التي يقوم بها « البعثة » - لتعطيم اللغة العربية - فإذا بالرجل -
رغم قلة بصاعته في العربية وعلومها - يكتب في حفة السينبات كتابه
[مقدمة في فقه اللغة العربية] - الذي لم ير النور إلا في سنة ١٩٨٠ م ١

وكما أراد بدراسته [على هامش العنبر] أن ينزع من الأمة - سلاح
الثقة بالثقافت ، فلقد أراد بكتابه [مقدمة في فقه اللغة العربية] أن ينزع من
الأمة - سلاح الثقة في اللغة التي كتب بها هذا الثراث ، ١ - فزائها غير
أصيل وكذلك لغتها فقيم إذن الحديث عن المشروع الحضاري
الحاصر - إذا كان هالديكم - إن في الشكل أو المضمون - هو أثر من آثار
الغرب ؟ ١ - ولماذا - إذن - مقاومة « الخبار التعريبي » - وهو - كما نرون -
« الخبار الوحيد » - فليس لديكم - في الحظيفة - بديل ؟ ٢

● فلما انتقل عبد الباصر - قائد المشروع القومى العربى - ورمز - إلى
رحاب رمة سنة ١٩٧٠ م . على أهداء هذا المشروع أن الفرصة قد سبحت
- مخصوصا في طلال آثار هجمة سنة ١٩٦٧ م - للاحجار على ، بقايا ، هذا
ال مشروع - ولما - كان للدكتور لويس حوص دور مؤدبه ؟ ١

هالرجل قد أسهم في إعالة التزام على « الباصر » - بكتابه [أفعلة
الباصرة] - الذي استهل به نشاطه الموصول على هذا الدرب - في حفة
السينبات

فلما كانت زيارة الرئيس السادات للقدس سنة ١٩٧٧ م . وحررت من
ججورها تلك الأصوات التي دعت إلى عزلة مصر عن محيطها العربى وعالمها

الإسلام» وإلى استبدال «التطبيع» مع الكيان الصهيوني -
 «التحصير» . لأنه عرف ١٩ - استبدال «التطبيع» معه بالرباط الذي يحد
 مصر إلى العروبة والإسلام . لأنه - كما كتب أحدهم يومئذ - «عدو عاقل
 خير من صديق جاهل» ؟ ! لما كان ذلك «لمصطفى» - الذي دفع
 المنطقة بأسرها إلى «مجدد» . تشهد اليوم محاضرة وآثاره - يقدم الدكتور
 لويس عوص ليبرز نصيبه في الإجهاد على «نقابة» المشروع القومي
 العربي فكان إسهامه في المحرم على «عروبة مصر» - مقالاته في
 [الأهرام] - ٤/٧ ، ٤/٢٠ ، ٥/١١ سنة ١٩٧٨ م وفي [السياسة
 الدولية] - أكتوبر سنة ١٩٧٨ م - تلك المقالات التي رعى فيها العروبة
 والقومية العربية بكل بلغة من مثل أنها «عرقية» و«عصرية»
 و«قاسية» ولا ندمو أن نكون «أسطورة من الأساطير» ! .

● لكن بال الدكتور لويس عوص لم يهتأ بما لاح يومئذ من هزيمة
 للمشروع القومي العربي - ذلك أن مظاهر هذه الهزيمة - والاستفزاز الذي
 أحدثته دعوات الدكتور لويس ومن يتفق معهم في التوجه - قد استفرت
 الحس الإسلامي إلى درجة «الغضب» ! - فانتشرت مظاهر «الصحة
 الإسلامية» - رغم شوائب نشوب بعض فصائلها - وعلدت الدعوة إلى
 الإحياء الإسلامي - وأنشأ المشروع الحضاري الخاص على أسس
 «النموذج الإسلامي» - غدت هذه الدعوة أبرز ظواهر العصر وأخطرها .
 فهي - موضوعا - وعند الذين يعون حقيقتها - تختص كل إيجابيات المشروع
 القومي العربي . ثم تعد نطاقه إلى كل بلاد الإسلام وشعوبه - فتشمل الشرق
 المستضعف بأسره - ونسعى جاهدة للتنازع الحضاري عن حضارة الغرب
 المادية العدوانية

لم يهتأ بال أعداء هذه الأمة . بما حصوه تراجماً ، للخطر الباصري ، .
 لأن عدوه الأول . والأساسي . وهو ، الخطر الإسلامي . - قد استقطب
 الشارع الإسلامي - سم بدت بدره الأول في ثورة ايرك سنة ١٩٧٩ م .
 وبمجامعات دولر الأستشراق ومراكز البحث . التي « تشيع » على صانع
 الفرار في بلاد الحصار العربية . تسعى . بحمومة . لجمع المعلومات عن المد
 الإسلامي . ومضائله . وعن موقفه من العرب ومصالحه . وعن الآفاق
 المستقبلية التي يمد إليها البصر والنصرة . انطلقت من هذه الدوائر حملة
 منظمة . ومدروسة . ومتواصلة الجهود . ومتعددة الصور . لتثوية هذا
 المد الإسلامي . من الخارج ومن الداخل . بواسطة السهام التي توجه إليه .
 وعن طريق الشراك التي نصب يد بعض رموزه !!

لقد عقدت لهذه ، المهمة التاريخية ، ندوات ومؤتمرات وحلقات
 بحث . وكثمت الكثير من التقارير . ونشرت كتب عديدة . ولأزال العمل
 قائماً على قدم وساق في هذا الصيار . ولقد كان للدكتور نوبس حوص
 نصيبه الذي أعده في هذا النشاط ! قصة « الإحياء الإسلامي » .
 و « الجامعة الإسلامية » . و « المشروع الحصارى الخاص » . الخواص على
 النمدن الإسلامي . - هذه القصة . التي تفض أحداثها الزاهة مضامح
 الغرب الاستعماري هذه الأيام . قد بدأها منذ قراية القرن والنصف رجل
 اسمه جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م)
 فليكن نصيب الدكتور نوبس حوص في الحرب ضد هذه « الظاهرة » تشويه
 سيرة الرجل الذي بدأ هذه المسيرة . التي مهدت حلم الغرب بالسيادة الأبدية -
 عن طريق التفكير - على وطني العروبة وعالم الإسلام ؟ !

أما كيف تم ذلك ؟ فلقد جمعت جامعة . نوبس أنجليس ، الأمريكية

للدكتور لويس عوض أوراقا - منها « وثائق » - أغلبها « تقارير » حواسيس
 ومحررين رسميين كانوا يعملون لحساب الاستعماريين الانجليزى والفرنسى^١
 وبعضها « ملفات » أنشأتها أجهزة المباحث في إنجلترا وفرنسا لتجمع فيها
 المعلومات عن عدو الاستعمار جمال الدين الأفغانى^٢ وبعضها كتب
 استندت إلى هذه « التقارير » و « الملفات » كتبها الصحابة . ومنشرفون
 من أنبياء الصحابة . ممن تجمعهم مشاعر ومصالح العداء للعد الإسلامى
 و « الحبار الإسلامى » . ثم نشروها ما بين لندن وباريس وتل أبيب . لقد
 ملعت جامعة « لويس انجليس » هذه « التقارير » و « الملفات » المباحية
 وكذلك الكتب التى استندت إليها . لكتاب من أمثال « حاكوب -
 [يعقوب] - لاندو » و « إيل كدورى » و « هوما ماكدمامى »
 و « بكى كهدى » و « البرت قدسى راده » إلخ . ثم دعت هذه
 الجامعة الدكتور لويس عوض . ووضعت بين يديه هذه الأوراق فلما فتح
 الرجل هذه « الملفات » حيل إليه أنه « فاتح » حقا ؟ ! فكتب لنا عن جمال
 الدين الأفغانى « دراسة » ملعت صفحاتها - على الآلة الكاتبة - مائتين
 وثلاثين صفحة فرغ منها - كما أخبرتنا في ختامها - « ملوس انجليس » في « ٦
 يناير سنة ١٩٧٥ م » ؟ !

وعندما بعد نشر هذه « الدراسة » انصرف « نشرها الدكتور لويس في
 لندن ؟ ! » وحمل عمراتها « الأبراق العامة » في مصر ؟ ! . - بشرتها
 محلة [النصارى] في سبعة عشر عددا

لقد قال الدكتور لويس عوض في « دراسته » هذه - إنه - وضعه
 الحواسيس وكتاب الاستشراف . الصحابة وأنبياء الصحابة . الذين استند
 إلى أوراقهم - إما يفتحون « ملف » جمال الدين الأفغانى . من جديد^٣

ولم يدر الرجل أن ، فتحه ، و « فتوحات » الدين عمل معهم ولم . لم يكن
إلا « فتحا » للفتات ، المباحث ، و « دوائر الأمن والاستخبارات » في أحقرة
الحكومات الاستعمارية !

أما كيف كان ذلك ؟ ولماذا كان ؟ . فهو موضوع الحديث بعد هذا
« التمهيد » ؟ ! نعم إنه مجرد « تمهيد » عن [قصة الشطوط وأبعاده
ومراميه] !

الدوافع . . والمتطلبات

لكن لماذا اختار الدكتور لويس عوص معسكر البائدين للعروة القوية والسياسية ، وللإحياء الإسلامي ، وصنع المشروع العنصري المأمول بالصحة الإسلامية ، وتأسيسه على قواعد الثلاث الإسلامي ؟

إن العص يقطع بأن مرجح ذلك هو « تعصسه للمسيحية » ضد « الإسلام » ! لكنني لست مع هذا العص في هذا التصريح^{١٧}

إنه تصح سهل ميسور ، وقد تكون عليه بعض الشواهد والقرائن ، بل والخبيثات ، ثم إنه سهل وقاطع ، يريح الدين يختارونه من عاء الحوار مع الأفكار التي يطرحها الدكتور لويس ، وليس هذا في رأي هو المطلوب !

إن المطلوب ليس هو ، إدانة ، من تختلف معهم في الرأي ولا تصيغهم بوصفهم في ، الخانات ، الحاضرة التقليدية وإعنا المطلوب هو إقامة أوسع دائرة من الحوار مع الأفكار التي يطرحونها حتى ولو كان إقناعهم أمرا بعد الحدوث ، أو مستحيلة - كما يرى البعض في ، حالة الدكتور لويس ! فالحوار مطلوب ، أساسا - من أجل القراء الذين يفتنع فريق منهم بما يطرح الدكتور لويس من آراء !

ثم إن الدكتور لويس ليس أول من شهر حرماً طائفة ضد رجال الدين الأفعاني فقد تعرض الأفعاني لسهام الخصوم منذ بدأ الدعوة إلى إيقاظ الشرق وتحديث « ديباه » بواسطة محمد « الدين » . ولقد ضم موكب الخصوم هذا أغلبية من المسلمين وقليلاً من غير المسلمين ؟ بل لقد يدهش البعض إذا علم أن الثيار « السلي - الصوم » وجميع أسرى الشعوب والحرفاء - وخصوم « العقلانية » - في صفوف الإسلاميين - ياصون رجال الدين ودعويته عداء لا يقل عن عداء الدكتور لويس - رغم اختلاف المطلقات . وثبأت العايات أ وفي حدود علمي فإن هناك رسالة جامعة أحييت في الستينات من هذا القرن تدعى الأفعاني بالعمالة للاستعمار ليس « الاستعمار العثاني » - كما هو اتهام الدكتور لويس للأفعاني وإنما الاستعمار العرقى ، الذي هم صاحب الرسالة الأفعاني بالعمالة له ، لأنه - في رأيه - هو الذي موضح دعائم الدولة العثمانية يدعونه إلى التجديد ؟؟

ثم إن كل « العلمانيين » - ومنهم مسلمون يؤدون شعار الإسلام بإحلاص وفي حشوع - يقومون من دعوة الأفعاني إلى تأسيس المحدث الحديث على أسس إسلامية موقف الرخص أو العداء ؟ وكذلك يفعل « الاتقيبيون » ، الذين يريدون لمصر أن تغرب بهومها واهتماماتها عند حدودها الجغرافية الوطنية كإقليم !

فليس الدكتور لويس عوص يدعى في عدائه لما دعا إليه الأفعاني من آراء ومن ثم ما لحوار ضروري ومطلوب حتى ولو كان إبداع الدكتور لويس هو صرب من صروب المستحيل !

وعني تنبئ وحدد القضايا التي يجب أن تدور حولها الحوار لابد من نوعي حبيقة للدواع والنطلقات التي حركت الآخرين إلى نسي الآراء

والأفكار التي برعها وشاؤها بالتوضيح والشد والتعبير . ومن هنا تأتي أهمية استكشاف دوافع الدكتور لويس للهجوم على استقلالية الأمة العربية بمشروع حصارى متبصر عن الحضارة العربية . وعقداته لصيغ هذا المشروع الحصارى المستغل بمسعة الإسلام

وكما صفت الإشارة . فأننا لست مع الذين يفعلون تدليس الدكتور لويس - بالمسيحية السبب الأول في حيازه الفكرى جدا - فالمرحل - كما عرف القريون منه . والمتمسكون لأحاديثه وكتابات - ليس - من ناحية الروحية - الأساس البار للمسيحية ولا للكيفية القطعية بل إن آراءه في المسيح والمسيحية تحطه موضع عصب المسيحيين الننديين . وفي صحفه (الأخبار) - تاريخ ٢١ ٩ ١٩٨٣ م - كتب كاتب فاضل من الأصدقاء المسيحيين - بل ومن تعاطفون مع كثير من آراء الدكتور لويس - كتب عن رأى الدكتور لويس في المسيح عليه السلام . فإذا هو رأى أدخل في نطاقه الهرطقة والسياس . وأبعد ما يكون عن النندس بالمسيحية كما يعرفها المسيحيون الننديون !

ثم من من المسيحيين يطعن عليه لما كتبه الدكتور لويس في « دراسته » عن جمال الدين الأفعاني - عن المسيحية ، وقوله : « إن الشيوعية هي أقرب التخرجات إلى روح المسيحية » ^{١١} ١٤

بل كيف يكون « النندس » بالمسيحية هو دافع الدكتور لويس ومطلقته . ونحن نراه مفصل « الاملاص » على « المسيحية » . يقول - عند حديثه عن آل ، أديان التوحيد الثلاثة - اليهودية والمسيحية والاملاص - تتبنى : في كل

(١) من ١٩٨٣ من فصل ، الدراسة : « ولقد حملنا إلى أصل الدراسة كما رجحنا في حلقاتها المشروعة في مجلة [لسان] .

تحليل -هائى - إلى يسوع ميثاهيريقى واحد يستقى من مبدأ ازدواج الفكر والمادة
 وأسقية الفكر على المادة ق الزمان والمكان وكلية الفكر وجبرية المادة فى
 سائر الصفات والأسماء والأفعال . يقول الدكتور لويس - مفصلا
 ، الاسلام ، على ، المسيحية : « ولا شك أن روح الاسلام أقرب إلى
 الحيوانية - [الإنسانية] - والعقلانية من روح المسيحية ذات الازدواج
 التام والأسرار الكثيرة لأن الله فى الاسلام لا يحور تماما على مكان
 الانسان . ولأن الروح فى الاسلام لا تنسحق المادة سحقا شديدا . ولأن
 الآخرة فى الاسلام - رغم أنها خير من الأولى - لا تلعبها تماما من الوجود .
 كما هو الحال فى المسيحية ^{١١} ! »

والأمر الذى لا شك فيه هو أن هذا النص العام رحيم للتدبير بالاسلام
 بالفكر الذى يعصب للتدبير بالمسيحية ^{١٢} ! الأمر الذى يؤكد أن الدكتور
 لويس - من الناحية الروحية - ليس الأس لدار للمسيحية وكنيستها ^{١٣}

كذلك - ليس التعصب ، للتصبة ، للمسيحية ، بالمعنى الروحي هو
 دافع الدكتور لويس إلى العداء لأسلمة المشروع الحضارى للأمة
 بالقسطية . عند الرجل « عصره أكثرهما » ذى « وهى عبء تساوى
 ، المصرية » إذا حردت من العروة العمومية والسياسة - بل والثقافية إذا
 أمكن ذلك ^{١٤} - وإذا هى حردت كذلك من الاسلام السياسى
 والحضارى إن الدكتور لويس ليس صد أن تتدبر أغلبية الشعب فى مصر
 بديانة الاسلام . ولكنه صد صبح الخطابة فى مصر بصيغة الاسلام ومن
 هنا فإن عداءه ليس موجها إلى « الدين التقليدى » القابع فى المساجد
 والزوايا والنكبات . ولكنه موجه صد « التحدث الدينى » الذى يجعل

(٢) من ١٨٣ من أصل « الدراسة »

الاسلام دنيا وحضارة - عقيدة وفانونا - ومن هنا كانت سهامه موجهة إلى رائد التجديد الديني في عصرنا الحديث - جمال الدين الأفغاني - وليست موجهة إلى رموز الحمود في الدولة العثمانية - بل لقد اتفق الرجل مع مشيخة الاسلام العثمانية - وهي القبة في الحمود والتخلف - ونبي دعاها واتهاماتها لجمال الدين الأفغاني ١٢

وإن الذين يتطلعون إلى مراد من « الوقائع » الشاهدة على صدق هذه الحقيقة أقول

● لقد تحدث إليّ الدكتور لويس عبد سوات - بمكتبه - [الأهرام] ، في معرض الضوم لما قدمته للمكتبة العربية والاسلامية من أعمال فكرية في إطار « تحديد دنيا المسلمي وتحديد فكرهم الديني » . تحدث إليّ حديثاً فيه الكثير من البناء والتقدير - لكن عبارات من حديثه تأثرت مني من الانتماء ما لم تثر عبارات البناء والتقدير - لقد قال بـ « إن جهودك عظيمة لكنها خطيرة - وحضارة ١١ »

فلما أتيت تعجني ودهشي - وطلعت المرء من الإصباح - قال الرجل : « إن تحديد الدين - فيه - ويطلق عمره - إنما تركه في صورته التقليدية التي هو عليها عند المؤسسات المحافظة - فهو الذي سيمحل عوته وهذا هو المطلوب - ١٢ » .

فعزاء الرجل هو « للتحديد الديني » - [وليت أهل الحمود معهود وحو ١] - ومن هنا كان تعامله - في « دراسته » عن الأفغاني - مع رموز الرجعية العثمانية ضد جمال الدين - رائد التجديد ١

● وإذا كان « الأهرام » قد علت على بعض من مبادئه الفكرية المحافظة - وإذا كانت « السلطة العثمانية » قد استأنت بعضاً من مبادئه - بالعريب أو الترهيب - فهذا مهملة انقراض على الشرع والعربية

وعلموها . دون أن يعود الحركة التجديدية التي تمتد بالاسلام إلى صميم الدولة والحدود بالصيغة الاسلامية . إذا كان الأهرقي محمله « محافظا » - فإنه - لذلك - ليس موضع سحق الدكتور لويس . أما موضع سحقه فهو « دار العلوم » تلك التي علق عليها محمد محمد [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨١٩ - ١٩٠٥ م] آمالاً في لحظات أسفه من تجديد الأهرقي فهي - بما استهدف مشيئتها من ورائها - الجامعة بين « الأصالة الاسلامية » وبين « المعاصرة » - والمزاينة « للمعاصرة » على قواعد الاسلام . أو هكذا كان الهدف من وراء إنشائها - وفي ذهن كوكبة من الأعلام الذين حرقوا منها قدود حركة تجديد دينها للمسلمين بتحديد دينهم !

وس « دار العلوم » هذه بعد الدكتور لويس دراسة يوحده فيها إليها الشهام كما صبح مع حبال الدين الأعفاني !

● ورغم حاكته الدكتور لويس عن الإمام محمد محمد من إشارات تحمل له التقدير من مثل قوله في إحدى دراساته « [الأهرام] منذ سنوات « إنه أعظم من تكويت من حوله مدرسة في الفكر المصري الحديث » - [لاحظ كلمة المصري وليس العربي ولا الاسلامي] - رغم هذا التقدير للعلى من الدكتور لويس محمد محمد - وهو من أبرز رموز التجديد الديني الحديث - إلا أن عداء الدكتور لويس لمحمد محمد عبده هو أمر كامن ومكشوف ! في لحظة من اللحظات التي نعت فيها « عقد الألم » - دفعت « الشبهة » الدكتور لويس ليصيح محمد عبده بأنه « راسوني » ! صعب ذلك منه - وجمعه من إخوة وأصدقاء - كان منهم الأستاذ سيد يحيى - في فلورنسا - بإيطاليا - وكما شارك في ندوة فكرة في السنوات الأولى من عقد التسعينات ! وفي ذات

الجلسة وصف الدكتور لويس الأفعلى بأنه « حاسوس » وتساءل ما الذى جاء به إلى « بلادنا » ؟ !

فعداء الرجل ليس للإسلام ، كدين وسهامه ليست موجهة إلى الدوائر أو المؤسسات الإسلامية المحافظة لأن وجود الاسلام الشعائرى والمؤسسات الاسلامية التى قدح ما لم يقصر تقبصر وعائقه قد لا يفسد مضامح الدكتور لويس أما نبار التجديد الدينى ، الذى يحبى لمعالجات الاسلام ، والذى عمد بصيغته إلى شزون الدنيا وقصاها العمران والحضارة فهو العدو اللدود للدكتور لويس !

ذلك أن الدكتور لويس عوص - وإن لم يكن الاين البار ، روحيا للمسيحية وكتبها القبطية إلا أنه الاين البار للحضارة الغربية وعلمائها ، والاسلام السباسى والحضارى هو المنقبض الذى يرمى - بالتجديد - ليكون البديل - فى بلاد الاسلام - للحضارة الغربية التى جاءت إلى هذه البلاد فى ركاب العروة الاستعمارية الحديثة والرجل الذى بدأ التصدى لحركة التعريب - ودافع عن المحربة الحضارية المنعيرة للأمة - ودعا إلى تأسيس النمدن الحديث على أسس إسلامية ، وفاد نبار البقطة الاسلامية فى مواجهة العروة الاستعمارية وفكرتها هذا الرجل هو حمال الدين الاصفى ومن هنا كانت سهام التعريب موجهة إليه وإلى ما يشر به من آراء وأفكار

فالتنافس ليس بين « لويس - المسبحى - وبين « الاسلام - الظليدى » وإنما هو بين « لويس - الاقلبى - العلى ، وبين « المشروع الحضارى الخاص ، لهذه الأمة ذلك المشروع الذى بهمس فيه الاسلام السباسى والحضارى بدور اخور والذى عمد آفاقه - عبر العروة - إلى كل عالم الاسلام والدكتور لويس لم يكتب « فواسته » الطائلة لحال الدين

الأعناق لمواجهة بها وغرح الثورة الإيرانية - كما حسب بعض الفضلاء الذين انتقدوا - دراسته - لأن هذه - الدراسة - قد كتبت لمواجعة - الصحوة الإسلامية - بنشوبه واندها وأبرز رموزها في عصرنا الحديث - وهي قد كتبت قبل قيام الثورة الإيرانية خميس سنوات - أما نوبت النشر لها - ونوطلبه في الاساءة إلى الثورة الإيرانية - فذلك أمر آخر !

« » »

عندما رجع الاستعمار العربي على وطن العروبة وعالم الإسلام في القرن التاسع عشر - كانت عروته الحديثة هذه أكثر من حوش تحتل الأرض - وشركات نهب الزوة - ذلك أن « فكرة التعريب » قد جاءت إلى بلادنا في ركاب هذه العروة الاستعمارية

وكان التحالف المطوكن - العثماني - الذي صاد بلادنا لعدة قرون - قد حجب فعالية الإسلام الحصارى ونألق الحصاراة الإسلامية عن الأنظار - فكان الضاق على السطح من موارينا متقلبا بالتعبدة والحرافة واحمود وهذا هو الذي أفقد هذا « الموروث المتحلف » حدارة المعاربة والمعارعة والمباينة لفكرية « التعريب » - التي مثلت رهوة الانقصار للحضارة الأوربية الحديثة فكان ذلك هو المباح « السبب في اعتبار « الصغوة والمخنة » إلى فكرية « التعريب » - واختبارها « الخيار العرفي الحصارى » سبيلا لهضمة الأمة - بل وسلاحا تنصدي به للاستعمار العربي

أما مؤسسات التعنم التقليدية ففقد حمد جمهورها عند هذا « الموروث المتحلف » - وراد من حمودهم الاحساس باخطار التي يمثّلها - فواليد الغرى « على دابة الأمة وهوسها الحصاراة

هكذا حدثت الاستقطابات في الدين صلكوا التعدم سبيل العرب - وفي الذين حمدوا عند فكرية موروث عصر المالك والعباسي

ولقد تمثلت عمقية جهال الدين الأفغان ، أول ما تمثلت في رفضه لكلا الخيارين اللذين استقطبا متقى الأمة وجمهورها . وفي اوتياذه واحتيازه الطريق الثالث والوقوف الثالث . المثلل لوسطية الاسلام . والساعي لمعورة الدليل الحصارى الاسلامى . القادر على مناصرة فكرية « التعريب » . والمتجاوز . في دامت الوقت . للتحلف النوروث

لقد كان الحمود عقبه في طريق « التعريب » . وكانت تلك إيجابيته العظمى ١٩ . لكن عمر الحمود وأهله عن تقديم البدل الحصارى الذى يستحجب لروح العصر . ويهبط بمواجهة تحدياته . كان بمثابة الشرقة التى تفتح السيل . بل والسيل . في حذار الأمة . ليلطف منها ، التعريب . . في بقاء . ولكن باستمرار ٢٠ . فلما جاء تيار التحديد الدينى . الذى ملو من حول جهال الدين الأفغانى . شعرت الدوائر الاستشرافية و « المتعمرون » بخطر الأسكر . لأنه ينزع عن « التعريب » ، الحدودى والمشروعية . ويقدم الدليل الاسلامى الفصام لتقدم الأمة دون أن تفصل عن مواربها الحصارية . ودون أن تعقد ذاتها وهويتها . جاء الأفغانى - وبقائه - ليرفض الحمود والعلانية وأن تكون أوربيى في الحصار . وأن تقف في لهنتا للقرمية عند الفهم العلمانى الغربى لما ودعا إلى « الجامعة الاسلامية » . وإلى تأسيس البصة الحديثة على قواعد « التمدن الاسلامى » . وإلى تحديد الدين كسبيل لتحديد الدنيا

وكان هذا المقروع هو التحدى الحقيقى لفكرية « التعريب » . التى رامت عزى أمنا عن نواتها الحصارى . لتبدأ من حيث اسبى الأوربيون كما رامت بالعلانية . نزع النصفة الإسلامية عن مؤسسات الدولة وشؤون الإنسان في حياته الدنيا

وهذا هو حذر الحلاف وسبب العداء بين دعوة جهال الدين الأفغان

وبين دعاة الاقليمية والعزلة والنشردم . وأنصار العلمانية الذين يريدون
 لبلادنا أن تصبح . في الحصار . قطعة من أوروبا . أو . إن شئت الدقة .
 هامشا حضاريا لأوروبا . والدكتور لويس عرض واحد من هؤلاء !^{١٢}

إنه - باحتصار شديد . وبدقة - الخلاف الخفى من الدعوة إلى
 « الاستقلال الحضارى » . والدعوة إلى « النجاة الحصارية »^{١٣}

ومن إداشنا الأدلة على أن هذا هو جوهر الخلاف . وحيدا للكثير منها
 في كلام الدكتور لويس . وفي فكر جمال الدين

● هي رأى الدكتور لويس أن « نقطة الصعب » عند الأتباع منبهة في
 نفسه « فكر » الحصار الأوروبية واقبها . « على حين ينهل » عليها .
 وتطبيقات هذا العلم « التكنولوجيا » على حين يدعو الدكتور لويس إلى
 نفي الحصار الأوروبية ككل . إنه رافض للاختيار والتعيز بين ما لا ثم أمنا
 ومالا بلانها . لأن الشرق . عنه . ليس مقولة حصارية متميزة . وإعنا
 هو مراع حصارى يجب أن يمتنى بحصاره الأوروبي . يقول : « إن نقطة
 الصعب في دعوة الأتباع قيامها على نصب وحدة الحصار » . والفصل بين
 العلم والفكر . وبين التكنولوجيا والفهم . واعتار الشرق مقولة حصارية
 مكتوبة بداتها «^{١٤} . وفي مكان آخر يقول . إن الأتباع قد ماصر « العلم
 والعقل . وبين في كل مكان أن الدس الإسلامى لا يتعارض مع العلم . بل
 على العكس من ذلك جصر عليه حصارا . ولكن الأتباع يفتت الحصار
 الحديثة إلى شطرين . هما وجهها المادى . أى العلم والتكنولوجيا .
 وجهها الروحى . أى الفكر والفهم . وهما عنه غير مترابطين . وبالتالي
 فالفكر والفهم من عندنا . والعلم والتكنولوجيا من عندهم »^{١٥}

(٣) مجلة النصارى | العدد ١٦ من ١٧

(٤) أصل . الدراسة من ١٨٢

وحي تقول إذا كانت هذه ، تهمة ، فإن الأفعالي يشرف بها . وهي ليست « نقطة الضعف » في دعوتها . بل هي « الجوهر العبقري » في هذه الدعوة الإسلامية ١ . فقط سأل

١ - هل هناك . حقاً . وحدة في الحصار على نطاق العالم ٢ . ومن لدى سكر الحمايز الحصارى لدى أمم شرقه كالهند والصين . واليابان . ومثل ذلك الحصار العربية . والحصار الإسلامية ٣ . إن ، الحماز ، الحصارى هو فرع من « المعايير » . وهو يختلف عن « العداء » وعن « الاتعاق » الحصارى . فالحماز الحصارى - على النطاق العالمى . وفي عصرنا الراهن حقيقة موضوعية . لا تنكرها إلا عملاء التعصين للحصار الأوربية . من أهلها الذين أرادوا أن يمارس مع الحصار الأخرى . في عصر المد الاستعماري الأوربي . مما مارسه المستوطنون والمهاجرون الأوربيون مع الشعوب المحرقة ! المسح والتفويه والاتعاق والسج والإحلال ! وما الزاعمون . في صفوفها . أن الحصار الأوربي هي حصار العصر الوحيدة . والحصار العالمية المفردة إلا « أتباع » هؤلاء العملاء ١

٢ - وأليست دعوة الأفعالي إلى الاستعادة من « علوم » الغرب وتطبيقاتها . مع الحفاظ على ما تتميز به حصارنا وشخصيتها المومية من فكر . و « قيم » . أليست هذه الدعوة هي « القانون » الذي يحكمه التعامل . والتلاقح بين الحصار الكبرى عبر التاريخ الحصارى للإنسان ٢

ماذا صنعت اليابان إن كان يهونها ٣ . لقد أخذت « علوم » الغرب وتطبيقاتها . واحتفظت « بفكرها » و « قيمها » . ولا زالت تصنع ذلك حتى الآن !

وعاداً صبح العرب والمسلمون عندما افتتحوا على حصارات اليونان
والعرس واليهود ؟ لقد ميزوا بين ما يمكن « مثله » - دون أن يطمس
« الثوابت » الحصارية التي تتميز بها الأمة - وبين ما يختص به تلك الأمم من
« قيم » ، و« مثل » غير مقبولة في المناخ العرفي الاسلامي . لقد أخذوا
« العلوم » و« تطبيقاتها » ، ورفضوا « الميتافيزيقيا » و« القيم » و« العقائد » .
وحتى الفلسفة التي ترجموها « براهيم مد » قرأوها براءة اسلامية « - وأصابعوا
إليها بشدا وحلقا وإدعاء » جعلها « فلسفة إسلامية » إلى حد كبير . على
حين ظل « علم الكلام » هو الفلسفة الحقة لحصارة الإسلام !

بل ماذا صنعت أوروبا . وهي تسعى للنهضة . حتى تعاملت مع حصاراتنا
العربية الإسلامية ؟ لقد أخذت من حصاراتنا « العلوم » و« تطبيقاتها » ،
وأخذت « المسح التحريبي » .. ثم رفضت « العنكر » و« القيم » ، فلم نجد
« للتوحيد » ولا « للوسطية » ولا « للروح القوية » أئراى حصاراتها الحديثة .
التي ظلت ذات طابع مادي كما كانت مد جاهلية اليونان !

إن الأوروبيين عندما تعاملوا مع ابن رشد ١٢٠٦ - ١٢٩٥ هـ ١١٢٦ -
١١٩٨ م أخذوا منه بصاعته - أرسطو - فقط . أما ابن رشد
« الشكك » ، و« العقيد » ، وصاحب « التوحيد الاسلامي » ، و« القيم
الاسلامية » ، فهو الذي صدرت قبله مبررات التحريم والمنع . لقد
أخذوا منه « عقلانية أرسطو اليونانية » ، التي لا تعيم وزنا للوحى والفعل
والثأورات ، على حين رفضوا « عقلايته الاسلامية » التي أحب ما بين
« الحكمة » و« التبريع » ، ورفضت ما بين « العقل » و« الفل » ، حتى
لديت بها فلسفتها وتخلص بها الدين في حصاراتنا العربية الاسلامية !

فالتصير بين ما يوحده وما يترك بين ما هو ملائم وما هو غير ملائم
بين ما « مثله » الشخصية الحصارية لتفوى به وتدعم ذاتيتها وبين ما هو

حظر على هذه الذاتية . لأنه قوة طامسة لمعناها مشوهة لا يحاياتها إن هذا التمييز هو ، القانون ، الذي حكم ، تفاعل ، الحصارات العظمى و « تلاقحها » عبر التاريخ والأفعالي عندما دعا إلى إعمال هذا القانون ، إنما كان يشهد للموقف الواعي والتناصح بين موقفين كلاهما حاطي موقف أهل الحمود . الذين عكفوا على « التحالف للوروث » . رافضين التفاعل مع الحصار العربية بإطلاق وموقف دعاة « التعريب » . الذين أسلموا عقولهم كله للحصار الأوربية . وكأنما هم « ثقطاء » . بلا مبررات حصارى . ولا سمات حصارية تستوجب أن يكون التفاعل والأخذ والعطاء من موقف الراشد وموقع الاستغلال !

٣ - وأخيرا فهل قال الأفعالي - كما رعه الدكتور لويس - أن « الشرق معولة حصارية مكتمية بداتها » ؟^{١٤}

إن الرجل لم يقل بذلك وعبارات الدكتور لويس تشهد على ما نقول فالذين يقولون إن حصارنا « مكتمية بداتها » هم أهل الحمود . الذين يرفضون التفاعل والاستفادة من الحصار الأخرى بإطلاق والدكتور لويس يقول عن الأفعالي إنه دعا إلى أخذ « علوم العرب » وتنشقاتها « . فكيف إذن يكون من القانوني إن « حصار الشرق مكتمية بداتها » ؟^{١٥}

لقد أحاد الدكتور لويس تلخيص موقف الأفعالي في هذه القضية عندما قال : « إن الحل عبد الأفعالي هو الحل الوسط أن يرتبط الإنسان بتراته القومى وثقافته القومية . وأن يفتح في الوقت نفسه . لما هو متاح في تراث الغير وثقافته »^{١٦}

(١٤) | المصاحف | العدد ١٦ ص ٦٩

لكن هذا الموقف الوسط لا يجيب الدكتور لويس فهو لا يدري كيف يمر . في مرثنا القومى ونعائنا القومية . النافع من المضار ؟ ومن الذى يحدد لنا . في موازينه الآخرين . ما تأخذ ؟ وما يدع ؟

ومن يقول له إن الأمم الساعية إلى النهضة . بعد ضعف وركود . تحتفظ من موارثها ، بالكوابيت ، . التى هى غذاء « البصمة » الميرة لها . حصاريا . بين الأمم ذات الحضارات . ونحتط بالمناهج والفهم والعقائد التى جربت في تاريخها الحصارى . فكانت عوامل نهضة ولوحة وازدهار ثم هل هناك صعوبة حقا في التعبير وفي الاختيار . مثلا . بين « العقلانية الاسلاميه » و « السموذة والحرافة » أو « الحمود عند طواهر النصوص » ١٢ . أو أن نميز وختار بين « الوسطية » و « التطرف » . بحسب كتاب أو بشار ١٣ . أو أن نميز وختار بين « موازية الدين والدنيا » و « الشره واللذة والتعبد » أو « الزهد المفرط » الذى يجعلنا ندير الظهر للعالميا فمحلى عمارها ١٤

وكذلك الحال في التعبير ما هو نافع وملائم وما هو صار وغير ملائم في حصارات الآخرين . فأيّة صعوبة من أن نميز بين مصادر القوة ومصادر الضعف في الحصارات الأخرى ١٥ . لا أعتمد أن الصعوبة فائقة . على الحق الذى يصورها الدكتور لويس طالما كان هناك ، ولأن « حقيق التراث القومى والثقافة القومية » أما إذا انعدم هذا ، الولاء « أو ضعف فإن إعراف « النجبة الحصارية » ، بالبدء من حيث انتهى الآخرون . سيكون له سلطان شديد . إذ ما الذى يعزى « التقيط » غمائم البحث وتشبيب في « عامة الآساب » ١٦

ثم لمّا الدكتور لويس . إليك تعترف بأن العرب قد صوح المسيحية لطابع حصارته للتعبير . ولواقعه الاجتماعي الخاص . حتى لقد « استعد عن

عبادة الله وتوكل في عبادة الآلهة . ولم يبق له من المسيحية إلا دم وأطلال ،^(٢١) فإذ كانت الحصار العربية . ذات الطابع المادي والروح الإلخادي . سيد اليونان . قد أخذت ما يلائم طابعها وبهجتها . وطلعت ما أخذت . حتى ولو كان دينا . وحتى لو بلغ هذا التطويح ، حد التنويه للدين وإفناء المسكون الموهري والمخترى الحقيقي فكيف نذكر على حصارنا العربية الإسلامية الحق في الاختيار والانتقاء والتمييز بين ما هو ، مع وملائم وما هو غير ذلك من حصارات الآخرين ؟ إن ما رأيت ، نقطة صعب ، في موقف الأفغان من الحصار العربية . هو بداهة ، نقطة القوة ، في موقفه ودعوته . فهي القيد بين الدعوة ، للاستقلال الحصارى ، والدعوة إلى ، التبعية الحصارية ،

وليك قد قرأت أعمال الأفغان قراءة مبحث عن الحقيقة . إذن لو قست طويلا عند كلماته التي تقول . عن ضرورة ، تميزا واستقلالاً ، الحصارى

، إن الظهور في مظهر القوة . لدفع الكوارث . إنما يلزم له التمسك ببعض الأصول التي كان عليها آباء الشرقيين وأسلانهم . ولا ضرورة . في إيجاد المنفعة . إلى احتياج الوسائط وسلوك المسالك التي جمعها وسلكتها بعض الدول العربية الأخرى . ولا ملجأ للشرق في بداهته أن يقف موقف العربي في نهايته . بل ليس له أن يطلب ذلك . وهما مضى أصدق شاهد على أن من ظله فقد أظلم نفسه وأخته وفرا . [أي أدلها وصدها] . وأعمرها وأعمرها . إن التمدن الغربي هو . في الحقيقة . نمذ للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتياح الإنساني وتقليده حذر لأنت الأمة . بشرة وجهها . وعط بشأها ! لقد علمتنا التجارب أن المقلدين .

من كل أمة . المتحذرين أطوار غيرها . يكونون بها مبالغ لتطرف الأعداء
بها . وطلائع غيوش العالين وأرباب العارات . يمهّدون لهم السبيل .
ويفتحون الأبواب . ثم يبتلون أقدامهم ١٢

وإنا . معشر المسلمين . إذا لم يؤسس موهنا وعمدنا على قواعد دينا
وفرأنا فلا حير لنا فيه . ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا
عن هذا الطريق . وإن مانراه اليوم من حالة ظاهرة حسنة لنا (من حيث
الرزق والأخذ بأسباب التمدن) هو عين الظاهر والانحطاط لأننا في تمدننا
هذا مفلدون للأهم الأوروبية . وهو تفضلد بحرقنا بطبعته إلى الإغجاب
بالأجانب . والاستكانة لهم . والرصا بسلطانهم علينا . وبدلت تحول
صفة الإسلام . التي من شأنها رفع راية السلطة والغلب . إلى صفة خمول
وصعة واستئناس لحكم الأجنبي ١٣ .

لو قرأ الدكتور لويس كلمات الأعمام هذه . بروح الباحث عن
الحقيقة . وتأملها في ضوء ما حره علينا . التحدث على السطح العرفي . من
« تعب » في كل شيء . « للمركز العرفي » . لاحتدب تقويمه لحال الناس

لكي العرض وسوء الفصد واللبه قد صرف الدكتور لويس عن رؤية
الحقيقة . وعندها كان يرى طرفا منها كان يجتهد للشكك فيه ١٤
« عمله » على هذا البحر العريب . وصدق رسول الله . صلى الله عليه
وسلم . « إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرئ ما نوى » ١٥

(٧) [الأنوار الكاملة حول المسير الأممي] ص ٥٣٣ - ١٩٥٠ - ١٩٦٧ - ٣٢٧ - ٣٢٨

صحة النسخة سنة ١٩٦٧ .

طريق الحواميس . . لا طريق العلماء ؟ !

لقد ترددت . لبعض الوقت . في أن أكتب هذا العدد « لـ دراسة »
الدكتور لويس عوض عن جمال الدين الأفغاني . وذلك على الرغم من
طلب العديد من الصحف والمجلات إلى . بل وإلحاحها على . إلى درجة
« الاستمارة » . أن أكتب هذا العدد . وعلى الرغم من إلحاح العديد من
الأصدقاء . بل واستعراب بعضهم . وشك البعض في أن يكون مابين وبين
الدكتور لويس من وديعة منعت حرجي في أن أبدأ عن الأفغاني ما وجه
إليه من اعتراضات ؟ .

أما أسباب التردد فعدة . أهمها

١ - أنني . بالطبع والعادة . عروف عن الخجل . ولست سافا إلى
الخصومة واللجاج

٢ - وهما يتعلق جمال الدين الأفغاني . فلقد عدت إلى المكتبة العربية
والإسلامية عن عدة أعمال فكرية . عدت . والحمد لله . مراراً
لداخلي والقراء . بها تحقيق أعماله . ودراسات عن حياته وفكره
الأمر الذي جعل « القصير » مسترجعاً حتى ولو لم أسهم في هذه
المعركة . التي أقامتها « دراسة » الدكتور لويس

٣ - ثم - وهذا هو السبب الأهم في التردد - إن « دراسة » الدكتور لويس قد بلغت في « الافتراء » إلى حد « الشذوذ » ، الأمر الذي يجعلها « ساقطة » بمراتبها ، قناعتها ولا معقولة ما جاء بها من اعتقاده على حوال الدين الأعماق يعقدها « التأثير السيئ » الذي قصد إليه الدكتور لويس ؟ ١٩

لكنني رغم وحاجة أسباب التردد هذه - راجعت نفسي - حدثت في حقيقتي راجحة كلمة الكتابة على كلمة التردد

● فالدكتور لويس له جمهور من القراء - محترمه - وعرض كل الحرص على ألا تدعه والأفكار المعلوطة التي تلقى إليه - ومن الأهمية بمكان إدارة الحوار للموضوعي والمنطوق حول القضايا الفكرية التي عرضها الدكتور لويس - لأن جمهورا ذا وزن وتأثير في حركتنا الفكرية قد يتبنى - لثقتي في الدكتور لويس - النتائج والفتولات التي انتهى إليها في « دراسته » فالحرص على وصول الحقيقة إلى هذا الجمهور الذي أحترمه يجعل كتابته هذا « التمدد » من أوجب الواجبات

● ثم إن الدكتور لويس قد ملى في « دراسته » هذه طريقا ملتويا - ولا أريد أن أقول : « حشا » - في التعامل مع حقائق الموضوع - لقد أهمل الحقائق التي لا تشهد « لفرس » الذي سعى إليه - وعندها كانت تصطره طبيعة الأمور للإشارة إلى بعض الحقائق - سراعا ما كان يعود للدكر تقييدها ؟ ١ - حتى لقد أكثر - إلى حد مثير - من وضع الحقيقة من العوازل التي تشكك فيها - حتى يسلل فكر القارئ ! - وليس كل قارئ مختصص أو ماهر - ولما ساعد « دراسته » هذه على أن يفعل هذا الفعل السيئ - نشرها على « حذبات » فهو يفتص في « حلقة » ما أنته في « حلقة » أخرى الأمر الذي يعطي الانطباع - لا يشافعه الدكتور لويس - وإنما

يتناقض أفكار الأتباع ومواضع إن حد العموص والريية واللا معقول ١

وعندما « نصح » « دراسة » « هذا الأسلوب » في أن تترك هذا الكم
من « التثبيك » الذي بلغ ذروة « الإغراء » على « الفكر » و « النضال »
الذي حسده جمال الدين الأتباع نالسة للإحياء الإسلامي والاستقلال
الخصاصي - الذي هو ملوق حاة هذه الأمة مما يريد لها أعداؤها الكثيرون -
فإن المصدي هذه « الدراسة » « بالمقد والخلوار الموضوعي » يصبح
والحا بل من نوحب التواضعات ١

١ ٥ ٥

إن جمال الدين الأتباع ليس مجرد « مفكر » - ولا هو - المناضل
العادي - لقد أصبح جزءا كبيرا وعزوا من صميم هذه الأمة الإسلامية في
عصرها الحديث - فحيته - ولا أقول - نذكره - - عندما نبحث عن
ذاتنا الخصاصية المتميزة - وعندما نتصدي لأعدائنا - مصعيرين كانوا أو
مستبدين - وتسلطهم عندما نرد للعبان الضرورة والمصادفة للمقولة التي يمر
ها - [إن تحديد دينا المسلمي رهى تحديد ديسم - ولن يكون فيه عتد
حقيق إلا إذا فانس على روح الشريعة وفواعد الإسلام]

ولذلك - فلم يكن عريبا أن - يجمع - الأئمة والمناضلون والعلماء
والأعلام - في الشرق - بل وفي العرب - على أن جمال الدين هو - حكيم
الشرق وموقفه وفيلسوف الإسلام - ١ ومن ثم - فلاند من النظر
إلى السهام التي نوحهاها - دراسة - الدكتور لويس على أنها موجهة إلى « صميم
أمة » - لنطس - حيارها القومي - الإسلامي - - هادقة إلى عول مصر عن
محيطها العربي وانهايا الإسلامي - وحصرها في قصص الإقليمية الذي حاهد
الأعداء لفرصة عليها معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م - ونصم عرى الوحدة
مع سوريا سنة ١٩٦١ م - وعدوان يوشو سنة ١٩٦٧ م - وعكرية

« الغرب - العثمانية » - التي اجتهدت - بالفكر - حتى تجعل مصر قطعة من أوروبا - كي لا تكون العقل والقلب والقاعدة والقيادة لوطن العروبة وعالم الإسلام^١

إنهم يريدون تزج سلاح العرب والمسلمين - المتمثل في مصر^٢ - وتزج سلاح مصر ، المتمثل في محيطها العربي وانتمائها الإسلامي وما الهجوم على جمال الدين الأفغاني إلا سهم موجه إلى هذا الانتقاء ؟ !

تلك هي الحقيقة التي عدا الأفغاني زمرًا وتصيدًا لها ، والتي كئذ أن « يجمع » عليها الأئمة والعلماء والأعلام - إن في الشرق أو في الغرب

● فالأفغاني ، في نظر قادة الصحوة الإسلامية المعاصرة ، هو الرائد الذي ارتاد هذا الطريق في عصرنا الحديث - وواحد من أبرز رموز هذه « الصحوة » - وهو لماصل أحمد بن ملا - يقول : « إن جمال الدين الأفغاني هو « فكر » نريد فعلاً » . لقد مثل - [بالنسبة للإسلام وعالمه] - بروع حركة الإصلاح الديني والثقافة والبهمة الحديثة - لقد كان حقة من الكتوبين - الأذربائليين - أبعثت حمى الإسلام^٣ »^١

● ولإمداد « بالقبر وال » - بوس - عقدتها « جامعة الأمر المتحدة » - مارس سنة ١٩٨٣ م - لدراسة ظاهرة [الصحوة الإسلامية] « سي أن » هذه الصحوة ترتبط بمرحلة جمال الدين الأفغاني وأنها برزت في عصرنا كرد فعل على العثمانية . والتحديات الحضارية المعاصرة وهي مسجلة في وجه الاستلاب المسلط على المجتمع العربي^(٢) »^٢

(١) من جهات المؤتمر الإسلامي - باريس - ديسمبر ١٩٨٢ - انظر مجلة [المنق] العدد الأول - باريس سنة ١٩٨٣ م - ص ١٢

(٢) [سلف للمصطلحات العربية البسطة] العدد ١٠ - أكتوبر سنة ١٩٨٣ م - ص ١٧

● وهو صرح العسكر المسلم - البثوري - الأمير شكيب أرسلان [١٢٨٦ - ١٣٦٦ هـ ١٨٦٩ - ١٩٤٦ م] ، فيسوق الإسلام ، وعلم الأعلام ، وكوكب الإصلاح الذي أطلعه الله في أفق المشرق بعد أن أشد به الظلام حجة المشرق الماهضة . وآية الحق الباهرة (١) ، !

● وهو في رأي الإمام المسلم - الشبلي - السيد محسن الأمين [١٢٨٤ - ١٣٧١ هـ ١٨٦٧ - ١٩٥٢ م] ، متوفد الذكاء ، فصيح الكلام ، بليغ ، عالي الطمة ، حسن الأخلاق ، حر ، مبال بطلعه إلى معارضة الحكام ، والدعوة إلى الإصلاح (٢) ، !

● وهو - كما يقول عنه عالم تونس الشيخ محمد الفاضل بن عاشور [١٣٢٧ - ١٣٩٠ هـ ١٩٠٩ - ١٩٧٠ م] - ، حكيم ، صبور ، راهد ، متواضع ، كانت سنوات إقامته عصر هو طور مرور حكمته ومعرفته ، والإصداغ بدعوته في الإصلاح الديني حتى لقد بعث ما كان مهجوراً من مواد الثقافة الإسلامية وطرائفها ، بتدريس ، الكلام ، والحكمة ، و الرياضيات ، وتحريك منارات الشاخص ، وفتح مسالك السطر ، ونهضة حركة التفكير والتحرير وصقل ملكاتها بالنقد والمواز (٣) ، !

● فإذا ما جئنا إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ -

(٣) [حاضرم العالم الإسلامى] مجلد ١ ص ٢ ص ٢٨٩ طبعة بيروت سنة ١٩٧١ م

(٤) محسن الأمين [حياته الفكرية لأفعالي] ص ٩ طبعة بيروت تاريخ ، وديوان خلد مكنان المص

(٥) محمد الفاضل بن عاشور [المصير ورحاله] ص ١٥٦ ، ١٥٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م

١٣٢٢ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] . الذي شارك الأفعاني الفكر والمصباح اثني عشر عاما . فتمرد وانفرد عما جعله . عندما يكتب عن الأفعاني . مصدر - كما قال - من : كمال الخيرة . وطول العشرة . والذي قال عنه الامام محمد رشيد رضا : : «انه أعلم الناس بمقاصد الأفعاني وأعماله » . والذي وصفه سلم الصحوري - وهو من عارفي الأفعاني ومعاصريه - بأنه : «أعز أحواله الحكماء حال الدين» .

إذا حشا إلى محمد عبده لمرى وصفه لمكانة حال الدين . وتقويته لمؤوره في النهضة الإسلامية - مع الشبه والتشبيه إلى أن محمد عبده عندما يكتب فإنه يشحير أفعاله بدمه من يؤدي شهادة سيحاسب عليها أمام الله - أمانته على ذلك قدرات لغوية وحكمة فلسفية جعلته إماما في البيان كما هو إمام في الحكمة وتعليق الدين ^{١٥} - إذا حشا إلى تقويته للأفعاني . وحدناه يقول - فمن ما قال - : « فكأنه حفيظة كلية . تحلث في كل دهر بما يلائمه . أو قوة روحية قامت لكل نظر بشكل بشاكلة

فهو في السياسة يسعى لظلمن الأمة مالا يمل العزيرة - والدولة بالدول الغربية . ليعود للإسلام شأنه . وللدين الحق عبده

وهو في الدين حقيق حتى لم يكن مقلدا في عقيدته . لكنه لم يفارق السنة الصحيحة . مع ميل إلى مذهب الصوفية وهو أئند من رأيت في المحافظة على أصول مذهبه وفروعه له حمية دينية لا يساويه بها أحد يكاد يذهب غيرة على الدين وأهله

وهو في الفلسفة له سلطان على دقائق المعاني . وقوة في حل ما يعضل بها . كأنه سلطان شديد البطش ! وله آسن في الحدوث وحدني في صماعة الحجة لا يلحقه فيها أحد - إلا أن يكون في الناس من لا يعرفه ^{١٦} -

وهو في الآداب : له في الشعرينات فائدة على الاختراع كأن دعه عالم
المصح والابداع

وهو في المعارف : إذا لکلم في العنون حکم فيها حکم الواضعين فاما
وهو في الأخلاق : ولوع بعظائم الأمور . عروف عن صفاتها سلامة
القلب سائدة في صفاته . كرم بذل ما في بده . قوى الاعتماد على الله .
لا يائي ما تأتي به صروف الدهر . له حلم عظيم يسع ما شاء الله أن يسع .
إلى أن يدوم أحد بحس شرفه أو دينه فيغلب الحلم إلى غضب نقض منه
الشبه . فيها هو حلم أواب إذا هو أسد وثاب . شجاع مقدام .
لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه .

ثم بحم محمد عبده وصفه لجمال الدين بهذه العارضة التي يقول فيها
وبالحملة . فإنني لو قلت إن ما أنعم الله من نعمة الدهى وسعة
العقل ونهوض البصرة . هو أقصى ما قلنر لطير الأسياء لکنث غير مبالغ
ذلك فصل الله يؤنه من يشاء والله ذو فضل عظيم (١٦٦)

ذلك هو جمال الدس الأصمعي . كما وصفه وحدد مكانه ودوره . الأئمة
والعلماء المسلمون . الذين أشرنا إلى رأيهم فيه . وعلى درهم سار كل
الذين كتبوا عنه الكتب أو الدراسات . أو عرصوا للحديث عن مكانته في
أهاس الأمة وإصلاح دينها ودنياها . من مثل رشيد رضا وحسن
المنا . وعبد الحميد بن باديس . وعبد الغافر المغربي . ومحمد الصومسي
ومصطفى عبد الرزاق . وعبد الله النديم . وسعد رعلول . ومحمد إقبال
وعاصي العقاد . وأحمد أمين . وعبد الرحمن الراعي . ومالك بن نبي
والدكتور محمود مأمم . وأديب اسحق . وسلمم نقاش . وصليم

(٦٠) [الأمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٢ ص ٣٤٩ - ٣٥٢ طبعة بيروت سنة

العنبري والصكوت هليلج دي طرازي الحج الحج الحج
 وإدراكها قد أشرنا إلى ، كلمات ، الأئمة السبعة وأعلام حياتهم في حيات
 الدين . فإن كلمات العلماء والفروحي . من غير المسلمين . شاهدته . من
 الأخرى . على عظمة الأفعالي وزيادته وتآلقه في محله ، الفكر
 و « الصال »

● المأثورح المسيحي العربي حرجي ريدان [١٢٧٨ - ١٣٣٢ هـ ١٨٦١ م -
 ١٩١٤ م] يقول عنه . « لقد ساء الأفعالي قطعا من أخطأ - الفلسفة -
 وعاش ركبنا من أركان السياسة . ونوامرت فيه قوى الملائسة ومراهم
 وحال الأفعال » (٧) !

● والفيلسوف العربي إيوانت ريدان Ernest Reano [١٨٤٣ -
 ١٨٩٢ م] يقول عن حال الدين . « كنت أفتنل أمامي عندما كنت
 أعاطفه أين سيبا . أو ابن رشد . أو واحدا من أساطير الحكمة
 التشرعبي » (٨) !

● والسيامي والمشرق الأحميري - [الأورندي] - ولعقد سكاوول
 سلب S Hamd [١٨٤٠ - ١٩٢٢ م] - وهو الذي عاشره . وتعامل
 معه . وحبره - يقول عنه . « إن حال الدين كان وحلا عسريا . أثرت
 تعالجه تأثيرا لا يمكن العصى من حسمه على حركة الإصلاح الإسلامي
 وأثا أشعر بالشرف العظيم لأنه عاش ثلاثة شهور تحت سقف ذي الخلقرا ولكنه
 كان رجلا مريا . كل ما فيه أسوى . وليس من السهل تأنيبه للعادات
 الأوربية ! » (٩) !

(٧) حرجي ريدان [برنامج مشاهد الشرق] طعة القادد

(٨) [حاضر العالم الإسلامي] مجلد ١ حد ٢ ص ٢٨٩

(٩) اصل . دراسة الدكتور لوسر عوصي ص ٢٣٠

● والسليحي الأمريكي لوثر روب ستودارد Lothrop Stoddard - مؤلف كتاب [حاضِر العالم الإسلامي] - يقول عنه : « كان جمال الدين سيد السامعين الحكماء - وأمير الخطباء السعفاء - وداعية من أعظم الدعاة - دافع الحققة قاطع البرهان - ثبت الحقائق - متوعد العزم - شديد المهابة - كان في مصلحته استمرار لمطبيعته - وكان داعياً مسلمة كثيراً كأنما خلقه الله في المسلمين لنشر الدعوة فحسب - صحى نفسه في سبيل إيقاظ العالم الإسلامي - وليس هناك منظر من الأفق الإسلامي وطئت أرضه قبلما جمال الدين إلا وكانت فيه نورة فكرية اجتماعية لا نحو نارها ولا يشدد نورها »^{١٠١} .

● ما للتشريق اليهودي المخرى جولدم سير Goldnher [١٨٥٠ - ١٩٢١ م] فإنه يقول : « كان جمال الدين من أبرز أعلام الإسلام في القرن التاسع عشر أثر تأثيراً كبيراً في الحركات الحرة والدمورية - وسعى إلى إيقاظ الشعور الوطني وتحرير الدول الإسلامية من العبود والاستغلال الأوربي »^{١٠٢} .

وعلى موالد التشريق جولدم سير - في تقدير عظيمة الأفعلى - سار المستشرقون الكبار الذين كتبوا عنه - من أمثال براون EG Browne [١٨٦٢ - ١٩٢٦ م] وتشارلز أدامر Gh Adama الخ الخ الح

ذلك هو رأى الأئمة والعلماء والأعلام - مسلمين ومسيحيين ويهود - شريفي وعربيين - في جمال الدين الأفعلى

(١٠١) [حاضِر العالم الإسلامي] جلد ١ ص ١ ص ٣٠٥

(١٠٢) [دائرة المعارف الإسلامية] الترجمة العربية الصفحة الثانية القاهرة - ١٩٥٦

لكن الدكتور لويس عوض له رأى مخالف بل ومضاد ومعدود
لكلمة « رأى » إذا نحن أطلقناها على ما حطه قلعه في وصف جمال الدين
الأفغانى ؟ ! أنعمول عادة وصفه ؟؟

لقد قال عن الأفغانى . وبالحرف . وبدأت الألفاظ

« إبه زنديق ملحد محذوف متعرج . في الفكر
والسلوك عقالى ثيوقراطى ؟ ! تقدمى ثورى جدلى
رحمى ١٧ نغليدى . محالط ١٩ وسطى حالم
هكاز ١٧ سلق . نجى ١٢ هائى باطى ماکر
إرهاف موصوى عدمى عامض مرب حاهل
متعصب غلى في الفكر . غلبى في السياسة شعل بعه سفاست
الفكر وسفاست الفكر الباسى مردوخ الشخصية . بل ومتعددها
مندوب متناقض محامى روسيا في السياسة الأفغانية صاحب
نظرية « المسند العادل » صاحب عصبية فارسية شخصية
مأساوية لم يكن يعرف ما يريد عدو للشعور القومى وللحركات
الاستقلالية على درجة من التفص في الإخلاص باحث عن استبداد
الأموال - وبالنظر الملتوية - لتصب في حبه يتصب على كل
الأطراف انتهازى من طراز قاندر متوصل للعاهات النبيلة بالوسائل
الحسنة مغامر مغامر بل وأفغانى دولى (١١٢) ١٩٢٧ !!

ذلك من - عبد لويس عوض - أوصاف الرجل الذى صفنا طرفا من
وصف الأئمة والعلماء والأعلام له . مند قليل - والذى قال عنه الأستاذ

(١٢) تنازهده الأوصاف للأفغانى في صحفاته ، دوايه ، الدكتور لويس عوض . وانظر
على وجه الخصوص عدد [الثامن] ١٤ من ٨٠ وأصل الدراسة ص

١٧٣ . ١٩١

الإمام الشيخ محمد عبده . إنه لا يبالغ إذا قال : إن مائتة الفقه من هوة
الدعى . وسعة العقل . ونور البصيرة . هو أقصى ما قدر لغير
الأنبياء . ١

وذلك هو الذى جعلنا نقول . إن « دراسة » الدكتور لويس من
الأهمى قد بلغت فى الشكوك إلى الحد الذى جعلها « ماقطة » بالقطع
والذات . ولولا أن الرجل قد ملك إلى عرصه هذا كل السبل
« المثوية » - ولا أريد أن أقول « الحقة » - لما احتجنا إلى هذا « القدر »
لحقى به « الحقة » من « الافتراء » !

فأمر هذه السبل الشادة . التى ملكها المذكور لويس ليلع بواسطتها
قوة الشكوك التى بلغت « دراسته » من حال الدين ٢٥

● من « التقاليد الحديثة » . التى عدت بديهة فى دنيا الفكر . تلك التى
تعلو بطيعة ونوعية المصادر والمراجع فى كل بحث من الأبحاث . وعلامة
هذه المصادر والمراجع - من حيث الموضوع والمستوى - بالبحث الذى
تستخدم فيه

فإذا كان البحث فى الاقتصاد . فإن آثار الفكر الاقتصادى لابد وأن
تصدر قائمة المصادر والمراجع . وإذا كان فى التاريخ . فهناك مصادر
ووثائقه . وإذا كان فى الدرس . فهناك مصادر الفكر الدينى . وإذا كان
فى الأدب . فهناك الآثار الأدبية وأعمال العقاد . تلك بديهة من
البداهيات

وفى حال حال الدين الأهمى فإن هناك أعمالاً فكرية كتبت عن الرجل
- ما بين رسالة جامعية . أو كتاب متخصص . أو دراسة حادة . أو فصل أو
مصول من كتاب - كتبها أكثر من خمسين مفكراً . فيه ما يريد على الثلاثين

إماما وعالمًا ومفكرًا ومنصفاً . من الشرق والغرب . ومن كل الديانات والانتماءات . وبديهي أن تنصدر هذه الأهمال الفكرية نائمة المصادر والمراجع في أي بحث جديد عن جمال الدين - مع ما يصل إليه الباحث الجديد من مصادر جديدة جديدة بالاحترام . وبديهي كذلك . في التاريخ لأي مفكر . أن تكون أهماله الفكرية وآراؤه الثابت منها إليه . موضع الاعتراف الأول في تقديم أفكاره وإسهاماته . كما أن شهادات المعاصرين . وخاصة الغربيين من العلم الذي يكتب عنه . هي الأخرى مصادر لابد وأن يكون لها وزن كبير . كل هذه بديهيات . استقرت كتقاليد تعارف عليها المفكرون والباحثون . في كل ميادين البحث ومجالات التفكير

لكن المذكور لويس غوص قد جاء . في «دراسته» عن الأفغاني . فخرج عن كل هذه القواعد . ورفض كل هذه البديهيات . واستل للمباحثين سنة سيئة لم يسبقه إليها أحد من الناس !

● فهو يرفض أن يصدق الرجل الذي يكتب عنه ؟ ! صفحة ٤٠ أن الأفغاني كان كثيرًا ما يلجأ الأحاديث عن نفسه . لأسباب متعددة^(١٣) . ١٤٠ . وحق ، أن الأفغاني عودنا أن يروي الأمور دائمًا من وجهة نظره^(١٤) . ١٤٠ !

● ثم هو يرفض آراء محمد عبده عن الأفغاني . رغم عدالة الرجل . ودقته . وموضوعيته . التي جعله لا يقل نقد الأفغاني . رغم ما يكره له من تقديم منقطع التطير . ورغم أنه قد صحبه وشاركه لأكثر فترة - اثني عشر

(١٣) [التصانيف العدد ٦ ص ٦٨]

(١٤) [التصانيف العدد ١٤ ص ٧٨]

عاماً - حتى لقد صدى عندما قال إنه يكتب عنه ماء على طول العشرة
 وكمال الخبرة ، ولم يشفع محمد عبده - كمصدر ثقة - عبد الذكور لـ
 إجماع معاصري الأفتاء ، وكل الذين كتبوا عنه بأنه - أي محمد عبده -
 « أعلم الناس بمقاصد الأفتاء وأعماله » - كما يقول رشيد رضا^(١٥) - .
 و « أمر أحماء الحكيم الأفتاء » - كما قال سليم العتجوري

● بل لقد رفض ما أجمع عليه أئمة العصر وأعلام علمائه ، الذين أخرجوا
 لحمل الدين ، وتزودت في « دراسته » عبارات كثيرة من مثل « هناك
 رواية محمد عبده ، وهي بوجه عام رواية حرجي ريدان - وأدمز -
 وبراون - وهي الرواية المعتمدة من أكثر الناس^(١٦) » ثم يرفضها
 ومن مثل عبارة « ولى رواية محمد عبده وحرجي ريدان وبراون
 وغيرهم من المصادر التقليدية^(١٧) » ثم يرفضها ومن مثل عبارة «
 « وقد أجمع محمد عبده وأذهب اسحق وسليم العتجوري وحرجي ريدان
 وعامة معاصري الأفتاء من المصريين وأبناء البلاد العربية^(١٨) » ثم
 يرفض هذا الإجماع ! »

وبالطبع ، فليس من حق أحد أن سكر على ما حدث أن يرفض « الروايات
 المعتمدة » ويرفض « الإجماع » ، إذا كان قد استند إلى مصادر أوثق مما
 استندت إليه « الروايات المعتمدة » ، وإذا كانت لديه الحقائق النصية
 والواضحة التي تنقض « الإجماع »

(١٥) [تاريخ الاسماء الإمام] ج ١ ص ٣٠٦ طبعه الماعز سنة ١٩٣١ م

(١٦) [التخصيص] عدد ٥ ص ٩٩

(١٧) [التخصيص] عدد ٥ ص ٩٨

(١٨) [التخصيص] عدد ٧ ص ٩٢

لكن أن يرفض لويس عوض ، إجماع علماء العصر وأعلامه ، -
 مستندا إلى ، تقارير الحواسيس الانجليز ، - وإلى ، ملفات المباحث ، الخاصة
 بالأفغان في دوائر الأمن والتجسس في إنجلترا وفرنسا - وهي الدوائر التي
 ناصبه العداء - لعدائه لاستعمار حكوماتها بلاد الشرق واستغلالها شعوبه -
 وإلى عدد من الكتب التي ألفها تفرس ، طلاب الاستشراق ، - ولجوا من
 علمائه - استنادا إلى ، تقارير الحواسيس ، و ، ملفات المباحث ، - أما أن
 تكون هذه هي ، مصادر ، المذكور لويس - التي يتقصد بها ، إجماع الأئمة
 وأعلام علماء العصر - ، فذلك هي الخطيئة الكبرى - والسنة السيئة التي
 استند إلى ، فواسته هذه عن حال الدين الأفغان !

إن المذكور لويس يسمى ، الأوراق ، التي استند إليها ، وثائق ، وهو
 يتحدث عنها في معرض حديثه عن الكتب التي أخذ بها ، والتي استندت
 إلى هذه ، الوثائق ، - ويقول صراحة إنها لا تخرج عن ، تقارير حواسيس ،
 و ، ملفات مباحث ، صحت ، تقارير المحرمين ، ! ! فأصحاب ، المراجع
 الحديث ، - التي استند إليها في ، فواسته ، - ، اضطروا - [في سبيل تقص
 إجماع علماء العصر] - إلى نشر ملف حال الدين الأفغان وتحركاته في آسيا
 وإفريقيا في .

١ - سجلات وزارة الخارجية البريطانية

٢ - وى ، جيمبات كايول ، عن عامي ١٨٦٨ و ١٨٦٩ م في ، أعمال
 حكومة الهند ، في مصلحة الشؤون الخارجية (كلكتا سنة ١٨٦٩ م)
 (مكتب علاقات الكومنولث)

٣ - وى ، موخر حوادث كايول ، في الأعوام ١٨٦٣ - ١٨٧٤ م (مكتب
 علاقات الكومنولث) الصادر في سبلا سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٧٤ .

٤- ول « أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية (ملف مارس ١٨٨٨ - ١٨٩٦ م)

٥- بل اضطروا إلى نشر مجموعات البوليس الفرنسي والبوليس الإنجليزي^(١٩) .

لكن هل صحت هذه « الأرشيفات » و « الملفات » أوثاقا يمكن - حق أن تسمى « وثائق » حق الساحت أن يفسر - اسادا إليها - إجماع العلماء ؟

السطر ولتأمل

إن « الوثيقة » - عبد الدكتور لويس - مفهومها لمرييا - فهو ينج هذا الاسم لأوراق يكره عليها - ليس عنما التاريخ وحدهم - بل والمطلوب للتدوين في هذا الفن ! - ولقد صحت أن أشرنا إلى قصة تلك « الأوراق » التي كتبها رجل اسمه « لاسكاريس » - هو - باعترااف الدكتور لويس - وبصر كلماته - مصاص نوع من الخوس أو الخيال المصروف - والتي صعبها « هديان » رجل مريض بالحمى - ساعة الاحتصار - هو المعلم يعسوب اللعين » - عندما حصرتة الوفاء على ظهر السفينة التي ألقته هو والحوة اللعين شعائوا مع الحملة الفرنسية على مصر - ألقته مع حدود الحملة عند حلاتهم عن مصر سنة ١٨٠٦ م - لقد سمى الدكتور لويس هذا « الهديان » - الذي كتبه « مهروس » - « وثائق » - وثال - ليصلي عليها المهادة - إنها في مجموعات وزارة الخارجية يلائن تحت رقم [FO 781238] وليتها كانت « وثيقة » يورج فيها « معلمه يعسوب اللعين » تركته الشخصية - إذن

(١٩) [التماس] عدد ٦ من ٥٣

هذان الأمر - ولكنها - في رأي الدكتور لويس - « وثائق مشروع الاستقلال الأول لمصر »^(٢٠) !

ذلك هو مبلغ « الاحترام » عبده لمصطفى « الوبيقة » وهو يكتب هذا الكلام لقراء هم أبناء حصارة ها في نقد النصوص والمأثورات والروايات جهود تطورت في علم اسمه [علم المخرج والتعديل] ؟ ! أمة تعلمت في سيرة نبيها - عليه الصلاة والسلام - أنه في لحظات احتضاره - طلب صحيفة ودواة ليحل كتابا - فأحجم عن الإجابة بمرس أحقة الصحابة - على رأسهم عمر بن الخطاب - قائلين « يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد غلبه الوحج » . وعبدكم القرآن حسبما كتاب الله^(٢١) ! « حتى النبي - عليه الصلاة والسلام - لم يحلوا ما أراد أن يحل عندما اشتد عليه الوحج ساعة الاحتضار » احتراما منهم « للمصادر » الحديرة بأن تكون طاعة التوجيه وتكون الأفكار والآراء في أمة هذا شأنها وشأن حصارتها مع « الوثائق » و « التوثيق » . يسمى الدكتور لويس « هديان » « معلمه يعقوب » عندما اشتدت عليه الحمى - لحظة الاحتضار « وثائق مشروع الاستقلال الأول لمصر »^(٢٢) !

ولقد سار على هذا الدرب في « درسه » عي خيال الدين

● إبه منهم الأفعان بالكذب وبالتقية وبالناطقة وبالصب
لأنه قد أحق « إيرانيته » ورعهم أمة « عثاني » عندما عاش في بلاط أمير
الأفعان سنة ١٨٦٨ هـ . و « الوثيقة » التي اعتمد عليها الدكتور لويس هي
تقرير حاسوس أفعاني كان جعل لحساب الاستعمار الإحليبي وعبارات

(٢٠) | تاريخ الفكر المصري الحديث | ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٤

(٢١) | المصفاوي [الأعمال الكاملة] ج ٤ ص ٢٨٨

الدكتور لويس : « هي تقرير كتبه موظف في حكومة كابول سنة ١٨٦٨ م كان يعمل حاسوباً لحساب الإغثير والتقرير بعنوان [سجل بأوصاف السيد الرومي في كابول] » وفيه اتهام للأفعاني في عقيدته ووطنية إذ يقول عنه : إنه « فيما يبدو لا يتبع ديناً معيناً وأسلوب معينته أقرب إلى أسلوب الأوروبيين منه إلى أسلوب المسلمين وهو ليس بلباس الوعاني (أترك جنوب غرب التركستان) ويشبه أن يكون عميلاً روسيا »^١ .

تلك هي ، الوثيقة ، التي اعتمد عليها الدكتور لويس في فصل : إجماع العلماء ، على ندب الأفعاني وصدق إخلاصه في وطنيه

وعن إدنا خاورنا ، حدداً - عن « التندق واصوط » في إطلاق اسم ، الوثيقة ، على هذه الورقة التي كتبها حاسوب سؤال الدكتور لويس أما كان الأجدر بك أن تقف موقف الناقد أمام هذه النصوص ؟ إن « نقد النصوص ، ليس خاصية من خصائص الموزج وحده ، حتى يمكنك الاعتذار بأنك « مؤرخ هاو » . لم تتعلمه فلما تعلمت ! وإعما هو حظه من صحة « الناقد الأدنى » التي هي وظيفتك الأصلية ! فلماذا لم تقف الموقف البغدي من هذا النص ؟ وأنت لو صغت ذلك لأنتيت في سله المهملات ؟ ! وذلك لأن :

١ - هذا التقرير يتحدث عن « السيد الرومي » وليس فيه أية إشارة إلى أن هذا « السيد الرومي » هو جمال الدين الأفعاني ! فمن قال إن المقصود هو جمال الدين ؟ !

٢ - ثم إن وصف « السيد » يعني « الشريف » - من « السادة » .

المحذرين من تسلل آل البيت ، أبناء علي من نفي طالب من السيدة فاطمة الزهراء ، أي أنه ، عري ، هزئي . هاشمي ، أما ، الرومي ، لهاها ، الفرقي العثاني ، . لأن العرب ، في صراعهم مع الفزلة العثمانيين ، قد سموهم ، الأروام (٢٣) ، فكيف يكون إسم واحد ، سيدا ، و ، روميا ، في ذات الوقت ؟ أي كيف يكون ، عربا ، و ، تركيا عثماني ، في وقت واحد ؟

٣ - ثم هذا الجاسوس - وهو أفعالي - كيف لم يكشف ، إيرانية ، جمال الدين ، والأفعاليون والإيرانيون أبناء أرومة واحدة ؟ !

٤ - وأخيرا ، فهل من حصاعة العميل ، الذي يمارس نشاطه في بلاط دولة محافظة دينا ، أن يكون متفرغا في أسلوب معيشته ، إلى الحد الذي ، يبدو فيه أنه لا يتبع دينا معيا ، ؟ ! وأنت أنت الذي أوردت عبارة ، بليت ، عن أسلوب معيشة الأفعالي في لندن . والتي تقول : « إنه كان رحلا يربا - كل ما فيه آسوي . وليس من السهل تأنيبه للعداات الأوربية ، ؟ ! » كان ، آسويا يربا ، في لندن . و متفرغا ، في ، كابل ، ؟ !

عزيزنا الدكتور لويس ! إن من الحكم الشعبية للأثورة تلك الحكمة التي نقول ، « إذا كان المتحدث محموتا . فليكن المستمع عافلا ، ؟ ! » فلم نضع ذلك مع هذا ، الفراء ، الذي سمعته ، وناقض ، . فقصت بها ، إجماع الأئمة والعلماء والأعلام ، ؟ ! هل هو الغرض السبي ؟ والغاية الربية إلى صرب الإحياء الإسلامي بنشوبه رائده في عصرنا الحديث ؟ أم ماذا باعزيزنا الدكتور لويس ؟ !

(٢٣) اطرح عبد الرحمن الكواكبي [الأعمال الكاملة] ص ٣٢٥ طبعة بيروت سنة ١٩٧٥ م

وعبر هذا الحاسوب المجهول الاسم وغير التثوير الذي كتبه عن
 « شخص » مجهول الاسم كذلك ترد في « درامة » الدكتور لويس
 الاشارات إلى تقارير الحواسيب - من أمثال « حسين ديجرامى » - سكرتير
 الحاكم الاغليزى لحيدر آباد - « عزيز الدين » - الذى كلفته الحكومة
 البريطانية برصد تحركات الأفعالى - « هوى » مصادر « فى » دراسته « عن
 جبال الدين »^١

لقد كان لابد للدكتور لويس كى بلفس « إجماع الأئمة والعلماء » من
 أن يرفضهم - كمصادر له « دراسته » - وبذلك فهو قد تنكب طريقهم -
 على حين رأينا قد سار على الحواسيب - باعتناده على التقارير التى كتبها
 عن الأفعالى - بل والتى لا دليل على أن المعنى بها هو جبال الدين^١

● وعبر هذه « الأوراق السامطة » التى يحميها الدكتور لويس
 « وثائق » - نراه يعتمد على نوعية من « الكتب » ليست بأحسن حالا من
 هذه « الأوراق »^٢

مهر حتم - في تشويه موقف الأفعالى من الثورة الهدي بالحدود -
 وتوجيه الاتهامات إلى موقفه أثناء المفاوضات بين الاغليز وبه - بواسطة
 « لبس » - حول الثورة الهدي - تعتمد على الترجمة الانجليزية لكتاب
 الصحفي الفرنسى « هنرى دوشغور » [معامرات حياتى] ؟^٣ ثم راد - كما
 هو عادته - لا يتخذ أى موقف نقدي مما جاء فى هذه [المعامرات]
 فهو - استنادا إلى هذه [المعامرات] - يوجه للأفعالى « تهمة » أنه « طرح
 نفسه وسيطا فى المفاوضات » مدعيا أنه يعرف الهدى معرفة شخصية^٤
 ويحسب إلى الأفعالى عبارة « تلميذتى السابق فى جامعة الأزهر - وهو الآن
 الهدى^(٢٤) »^٥

(٢٤) أصل « درامة » الدكتور لويس من ١٩٤

ولو تأمل الدكتور لويس ما جاء في هذه [المعامرات] حين نقضى
لظهرت له هذه الحقائق .

١ - أن الأفعان - وفق كتابات « بلس » التي أوردتها الدكتور لويس
داته - ليس هو الذي طرح نفسه وسيطاً في المفاوضات - بل إن الأخير هم
الذين سحوا إليه - بواسطة « بلس »

٢ - أن الأهرام لم يكن يسمى « جامعة » وهو لم يتصل هذا الاسم إلا
في ستينات القرن العشرين - لتذكّر كان اسمه « الجامع » - بالتدريج - وعندما
عرض البعض على الشيخ سليم المشري [١٢٤٨ - ١٣٣٥ هـ - ١٨٦٧ -
١٩١٧ م] تسميته « جامعة » - رفض قاطعاً - مادام يؤمن مادّته
التي هي : ١

٣ - أن جمال الدين الأفعان لم يدرس في الجامع الأهرام

٤ - والمهدي - محمد أحمد - لم يدرس في الأهرام - بل قد سمع فقره من
معارضة السودا ١

لم ير الدكتور لويس شيئاً من هذه الحقائق البسيطة - والعديدة - التي
تفصّل [المعامرات] التي اعتمد عليها - فقط رأى « تهمة » موجهة للأفعان
بجانب « العرض » إليه وبين التصديق في مدى تماسكها ومصادقتها ١

● وكتاب آخر - هو « العمدة » في أغلب ما وجد إن الأفعان من
اتهامات - منه أنه « شيعي » - كذب على العالم عندما ادعى أنه
« سني » - وأنه « يرائي » - كذب على العالم عندما رعب أنه « أفعان »
وأنه « غير متدين » - كذب على العالم عندما ظهر في صورة المتدين ١
الحج الحج وعنوان هذا الكتاب هو [جمال الدين الأسد آفادي -
المعروف بالأفعان] وهو مسوّب إن « مرر المظف الله حان » - الذي رعب

أنه ليس تحت حمال الدين . ويصم ملاحق بها ، شهادات ، على هذه
النداءات المداخلة لما قاله الأفعاني عن نفسه . ولما أجمع عليه الأئمة
والعلماء

ومرة ثالثة ، نقول : إن الدكتور لويس لو نظر نظرة نقدية إلى ما حواه
هذا الكتاب ، لكشف تهاوته وزيغه ولأراج واستراج حتى هذا
الكتاب من « اللامعقول » الشيء الكثير... وعلى سبيل المثال

١ - بدلل هذا الكتاب على « ايرانية » حمال الدين بأن له في « أسد
آباد » ايرانية أسرة تسمى « الأسرة الحمايلية » . « نسبة إليه » ونحن نعلم أن
الرجل لم يتزوج ولم يحب فكيف تكون له أسرة « حمايلية » تشب إليه
هو . لا إلى أبيه وأجداده ؟ ! ..

٢ - والكتاب تحدث عن إحنة حمال الدين . فيقول إن له تحتين
طيبة ، ومرم - وليس لنا ملاحظة على اسميهما . هما - اسمان - مأخوذان في
الأوساط الإسلامية - لكنه يذكر أن اسم أحده الوحيد هو « مسيح
الله » ! فلم لم يقف الدكتور لويس أمام هذا الاسم . ويقول لقراءه
إن هذا الاسم محال أن يكون مأخوذاً في أسرة إسلامية - ولابد أن يكون
القصد من هذا الكتاب هو تشويه الصورة الإسلامية لحمال الدين ؟ ! أه
إن هذا الاسم - « مسيح الله » - قد أعجب الدكتور لويس فقص الطرف .
ومضى يعلم الاتهامات ؟ !

٣ - وفي هذا الكتاب - [حمال المدين الأسد آبادي] - كما من
المعلومات التي لا يكتبها إلا جاهل أو محرف ! فعليه : أن ، الحرب
الوطني - [الذي ترجمه الأفعاني عمصر] - كان دقيق المظلم للعباية

والمعروف انه كان « تمعنا للصعوة » ولم يكن « حربا » ، بالمعنى المتعارف عليه ، حديثا . من مصطلح « الحرب » !

وفيه . أن « التبرعات النقدية من أعضاء هذا الحزب » في تسعة أشهر فقط ، بلغت ١٨٠٠٠ جنيه ، وهذا كلام يدخل في عالم الخيال المريض !

وفيه . « أن جميع من كانوا في الإدارات الاخرى - من المصريين - قد تركوا أعمالهم . وانضموا إلى المجاهدين من رجال الحرب الوطني » ؟ ! ، والمعروف أن هذا « الحرب » ، ورعيته الأفعاني ، لم يكن موجودا بمصر عندما قامت بها « إدارات الخليزة » فلقد بق الأفعاني من مصر سنة ١٨٧٩ م ، وانتهى أمر هذا الحرب ، تقريبا ، قبل الاحتلال الإنجليزي لمصر الذي حدث سنة ١٨٨٢ م ١٧

وفيه : أن « اللورد كرومر ، المستشار المالي البريطاني » في مصر قد اترشح من نشاط الأفعاني وحزبه الوطني . فكتب إلى حكومته تقريرين حول خطورة هذا الحزب على التجارة الإنجليزية في مصر وأمريكا وآسيا .. وأنه - أي « الحزب الوطني - هو أوضح مظهر لهذه العرب من ثلاثة عشر قرنا من الزمان . وهو يرمي حقا على كيميائية سيطرة العرب . على ثلث المعمورة في أقل من ربع قرن » ؟ ! ،

وحيث يعلم - وتلاميذ المدارس الابتدائية يعلمون - أن كرومر كان « المعتمد البريطاني » في مصر وليس « المستشار المالي » وأنه لم يأت إلى مصر إلا بعد الاحتلال بسنوات ، أي بعد تنفي الأفعاني عنها ، واحتفاء الحزب الوطني بسحر الخمس السنوات . ومن ثم لم يكتب كرومر إلى حكومته التقارير عن نشاط الأفعاني وحزبه في مصر أنها ١٧

وميه . أن الموطع الاثليز . وأعضاء الطمع الكسبي قد شاركوا
 وكرور ، فرعه من الأعمالي وحرية الوطني . وتصحوا من : تفهقر سعياته
 مليون من المسيحيين المثقفين الأقوياء أمام أربعين شخصا يقودهم درويش
 إيراني هو جمال الدين الأسد آبادي ، ١ . وبعد سقوطه يذكر أن أعضاء
 هذا الحزب - الذين قال عنهم مرة أنهم ثقافة . ومرة إهم أربوب . يذكر
 أنهم قد بلغوا ، في تسعة أشهر ٢٠.١٨٠ عضوا . وأصبح الحزب بذلك
 رئيسا لكيرالي المصارف ١ مع العلم أن مصر . يرمثل . لم يكن بها أية
 مصارف ؟ !

وميه . أن الاثليز . عندما انزعجوا من نشاط حزب الوطني . بقوا
 جمال الدين إلى أوروبا ، ١ والمعروف أنه قد بقي إلى اصد ؟ ١

وميه : أنهم قد بقوا كذلك محمد عبده . الذي كان معتبرا ثلاث
 سنوات ، ١ . ومعلوم أن محمد عبده لم يبق إلا بعد فشل الثورة العربية .
 وبالتحديد في ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢ م . كما أنه لم يكن ، معتبرا قبل سنة .
 وإنما شغل هذا المنصب بعد عودته من المنى بعشرين سنوات - [في ٣ يونيو سنة
 ١٨٩٩ م] ١ ٢

وفي هذا الكتاب . أيضا . أنه بقي جمال الدين من مصر كان سنة
 ١٨٧٩ م . عند قضاء الاثليز على الثورة العربية ، ١ ٢ . والمعروف أن
 القضاء على الثورة العربية كان في سنة ١٨٨٢ م وليس في سنة
 ١٨٧٩ م ؟ ١

وبعد أن ذكر الكتاب أن بقي الأعمالي من مصر كان إلى أوروبا . عاد
 وذكر أنه توجه من مصر للهند ١ ٢ . كما جعل استضافة ، بليت ، للأعمالي

« بمنزلة بياريس » . على حين يعلم الجميع أنها في لندن (١٩٧٢) ؟
إلى آخر هذا الكم من المعلومات « التي ما كان يجوز لطالب مبتدئ أن
يراهم ثم يخدم على هذا الكتاب في نفس إخراج الأتمة وأعلام العلماء الذين
كتبوا تاريخ جمال الدين ١٩٠٩ .

ثالث هي « مصادر » دراسة الدكتور لويس عوض عن جمال الدين
الأفغاني .. التي رجمها على كتابات محمد عبده . ورشيد رضا . وحسن
البيها ، وابن باديس ، ومحسن الأميني ، وعبد القادر المجرني ، ومحمد
المجرومي ، وشكيب أرسلان ، ومصطفى عبد الرزاق ، ومحمد الناصلي ،
عاشور ، وعبد الله البديع ، وأديب اسحق . وسليم نقاش . وسليم
المحجوري ، وجرجي زيدان . وسعد رطلول . ومحمد إقبال . وعباس
العقباد . وأحمد أمين . وعبد الرحمن الرافعي ، وعالمكس بي . ومحمود
فاسم . وعلي دى طراي . وزياد ، ويراون . وآدم . وبلت . وحول
سير وعبرهم من العلماء والمفكرين والكتاب ؟ !

• • •

لقد شامت الصدفة ، وأنا أقرأ « دراسة » الدكتور بوبس عن الأفغاني .
أن أقرأ في صحيفة [الأهرام] - بتاريخ ٢٨/٩/١٩٨٣ م - نقلا عن
ال [ديلي تلغراف] البريطانية - أن راجا أمريكيا . هو الدكتور . ريتشارد
نوارتر ، قد طلب الاطلاع على « ملف » العالم الرياضي - صاحب السب -
الرب أبشيني [١٨٧٩ - ١٩٥٥ م] في « إدارة المباحث الصبرالية
الأمريكية » . فوجد أن تقارير المباحث تصور أبشيني في سواب إقامة
بأمريكا - من سنة ١٩٣٢ حتى وفاته سنة ١٩٥٥ م - في صورة « الفضل المدر

(٢٦) [حكاية الدكتور أحمد تاني] ص ٦٢ - ٧٥

وراء مؤامرة شيوعية تستهدف السيطرة على هوليدو والمسئول من شبكة
تحسس ، تستخدم مكنته في برلين . لتلقى رسائل حواسيس الاتحاد السوفيتي
على حواء . إلى آخر ما في تقارير عبد المطلب . البالغ عدد
صفحاته ١٥٠٠ صفحة ١٢

ولقد تساءلت . ترى . هل يسمح الصمير العلمي ، للدين جمعوا
للدكتور لويس . في لوس انجليس . تقارير الحواسيس وملفات الباحث
ليكتب . استاذاً إليها . « دراسة » عن حال الدين الأفغاني . هل يسمح
، صميرهم العلمي ، بكتابة تاريخ ، أبنيتي ، استاذاً إلى ملته . في
، إدارة الباحث الفيدرالية الأمريكية ، ؟ أم أن ، الصمير العلمي
مسموح له أن يأخذ ، إحازة ، إذا ما كانت الدراسة ، عن أعلام العروبة
وقادة الإسلام ؟

ثم تساءلت . إذا كان الدكتور لويس قد رفض السير على درب العلماء
الدين كتبوا عن الأفغاني ، وارفضي لنفسه السير على درب الحواسيس .
عندما اعتمد تقاريرهم ، مصادر ، له ، دراسته . فلم لم يرجع إلى ، تقارير
حواسيس الدولة العثمانية ، في ، محفوظات الأستاذة ، أيضا ؟

لقد شملت ، محاضرات ، السلطان عبد الحميد للأفغاني . في سنوات
إقامته بالأستانة . إلى جانب الفول والرائب والعربة التي تذهب به إلى ، مشرق
الكاعدحانة . « عدداً من الحواسيس . حتى لقد دأب حال الدين
السلطان يوماً . عندما طلب منه تخصيص عربة للجاسوس الذي يتبعه . لأن
الجاسوس يلهت . في حالة يرقى لها . حلف عربة حال الدين ؟

فلم لم يرقى ، دراسة . الدكتور لويس أنرا لتقارير حواسيس
السلطان ؟ أم أن فرط إعجابه ، بالعرب . ، وإزدائه ، بالشرق .
قد اسحب . أيضا . على الحواسيس ؟

تشكيك .. وانفراء ..!

كثيرون - مع بحسب الظن بالدكتور لويس عوص - قد أقلقهم ذلك المستوى - البالغ السوء والبيس الشدود - الذي بلغته « دراسته » من حال الذين الأهالي

ولقد كتب إلى فضلاء كثيرون - ثقة أعتز بها وتقدير أوفر به - يطلبون إلى جلالة وجه الحقيقة في الأمر ، بل ويستعرون لتقوم « دراسة » الدكتور لويس - فالأستاذ الفاضل الدكتور الطاهر أحمد مكي - الناقد الأدبي ، وأستاذ جامعة ، ورئيس تحرير مجلة [أدب وبعد] - يكتب إلى « » إن دراسة الدكتور لويس - تشير كثيرا من التناقضات . وتود أن يعرف كلمة العلم ، والكاتب الفاضل الأستاذ مصطفى مزيل - مدير تحرير مجلة [العربي] - يعبر عن الصدمة التي أصابت الأوساط السياسية والصحافية . ذات التوجه القومي - [فما بالنا بالاسلامى ؟] - من هذه « الدراسة » . فيكتب إلى يقول ، أنصوّر أن مقالات الدكتور لويس - قد أثارتك مثلما أثارتنا . إنه لا يمكن أن تمر هذه المقالات بلا تعليق . إنه ليس من المناسب أن بلوث بالوحل أحد رموز النهضة العربية الحديثة . ولذلك تأثروا على « المشروع العربي » . لقد سبق واطلعت على كتيب صغير مؤلفه يهودية ، صدر في لندن - يردد ذات الأفكار التي يعالجها الدكتور لويس ١٢٠

من إن [النصاص] - وهي اعلم التي قبلت أن تشر - دراسة ، الدكتور لويس - بعد أن رفضت وسائل البشر بمصر بنهرها - قد أدركت ماها من غروح على ، المألوف ، فكتب إلى رئيس تحريرها ، الأستاذ فؤاد مظهر ، في مارس سنة ١٩٨٣ م - أي قبل صدور المجلد - يطلب إلى المكتبة لها حول « دراسة » الدكتور لويس ! وعندما نشرت [النصاص] تلك « الدراسة » قدمت لها عما يشبه التوصل بماها من أفكار فكتب في التقديم لها - صلي ماكتت - إن الدكتور لويس « يتحمل اسمه شعاع رأيه ومناقشته تبدو واحدا فكريا » !؟

ولذلك فإن من « الحق » ، بل ومن « الواجب » أن تتعامل عن الأسباب التي دعت ، بدراسة « الدكتور لويس عن « حال الدين » هذا الحد من « الفصح المنين » !؟

وفي تقديمي أن مرجع ذلك أسباب . في مقدمتها

١ - أن الدكتور لويس قد اشترك بهذه « الدراسة » في الوصول إلى تحقيق ، عرض ثلاثي مبيت « ولم تكن » الحقيقة للصوبية ، هي مدعه ، ولاهدف المنس دعوه وهياؤا له « الأوراق » التي استند إليها في الأحكام التي أصدرها على حال الدين . لقد جاءت هذه « الدراسة » حلفة في المخطط الذي يتصدى لظاهرة « الإحياء الاسلامي » ، لتبيل الزراب على الرمر الذي ارتاد . في عصرنا الحديث ميدان هذا الإحياء

٢ - ولقد كان طبيعيا « لدراسة » هذا هو « عرضها » . أن تكون ، مصادرها ، هي « الأوراق » والتفارير والمطامير ، التي كتبها الجواسيس والعلماء - من موطن ، المباحث ، وتلامذة الاستشراق - صهاية وأثناء صهاية - لهؤلاء . وأمثالها - هم « كتية التصدي المكري » ، بظاهرة « الإحياء الاسلامي » ، التي قادها حال الدين الأعفاني |

لما كان « لغرض » ، « الدراسة » ولا لوعية « مصادرها » إلا أن شعرا هذا « المشهود » الذي خرج به عليا الدكتور لويس - والعقد سبق « نقدا » طبعين العالمين . فيما تقدم من صفحات - أما القدر من « المعلومات » . التي اطلع عليها الدكتور لويس ، والخاصة بتاريخ حال الدين الأعماني وحركته الثورية التحديثية . فقد أسدها - حتى يطلعها لخدمة « العرص الثأري الميت » أسدها عما امتلأ به « دراسته » من « التشكيك » ومن « الافتراء » ١٩ .

٣ - فلما يتعلق بـ « التشكيك » . ولوى عنق « الخفائي » و« المعلومات » . لتذهب لعابها . بل وتنعطي الأثر المعاكس لأثرها الطبيعي لا أعظم أنني قد قرأت . من قبل . « دراسة » بلغت ما بلغته « دراسة » الدكتور لويس وإذا شئنا الأمثلة على ذلك . فليطر مع الفارئ العزيز في هذه المواطن والألوان التي سلكت أكثر الطرق « الهواء » لتعصى إلى « التشكيك » فيما استقر من « حقائق » ومعلومات « عن حال الدين الأعماني » -

● كل الأئمة والعلماء والأعلام الذين كتبوا عن الأعماني قد أجمعوا على وصوحيه وحسنه . حتى كأنه السيف المسلول في وضح النهار بل لقد تحدث الإمام محمد عبده عن اقتتار الأعماني إلى « المسيرة والملازمة والكياسة » مع مخالفيه وحصومه وانتقد هذا الجانب في طبع أستاذ . فقال - بعد الحديث عن إيجابيات طبعه - : « إلا أنه كان حديد المراح وكثيرا ما هدمت الخدعة مارهته العجلة » ٢٠

(١) [الاسرار الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٢ ص ٣٥٢

والأفعلى ذاته يحدثا حديث الراض « للنفية » - التى تجعل المرء يظهر
غير ما يعلل لدواع برأها - والداعى إلى الجهر بالرأى . منها كانت المخاطر .
ومنها تكن الظروف والملاسات يحدثا الأفعلى عن رأيه فى هذه القضية
فيقول : « لا أرى فى هذا الكون من القول أو الفعل ما يكون كتابته لازماً إلا
ما كان فى علامته شياً ومعرفة . ولا يكون الكمال النسبى فى الشر إلا حتى كثر
إعلاسه . وفى كتابه . مذولة تكتم عن أمثاله كل أموراً لا حير فيها . ولا هى
بالدولة الأبدية من أمانتها وحسن تصرفها . ورحل يرى كل شئ » يقال له . أو
يجب أن يقوله مرا مكتوباً . لا يرحى إلا ما به . وما هو بالرحل الرحل .
ولأنه رحل [ومن أحب فليعل] . والخمسة هنا على مطلق المعنى . لكل
شئ . حتى ومستحسن بالمطرقة من أموال وأعمال وصفات وذات ^{١٦} .

لكل الدكتور لويس بأنى إلا أن « يشكك » فى هذه الصفة من صفات
الأفعلى . فهنمه « بالعموم » وه النفية . وه اردواح الشخصية بل
ونعدها . فيقول : « لقد انتشرت » النفية « بين الشيعة » وبدأ الأفعلى
فى هذه التفاليد التى جعلت منه مردوح الشخصية بل ومنعدها . بعصل
الكلام والمنعالم حسب من خاطبه وحس ظروف الزمان والمكان ^{١٧} .

والدكتور لويس يستعين . ها . بالخلط لكى يهل إلى « التشكيك »
وه التشويه ^{١٨} . ذلك أن الفرق بين والبعد شامع بين « النفية » و« اردواح
الشخصية » ونعدها وبين مراعاة حال المخاطب ووضع ظروف الزمان والمكان
فى الحسبان . رسولنا . عليه الصلاة والسلام يقول : « أمرت أن أحاطب
الناس على قدر عقولهم » ! ولقد استمر واشهر فى تراثا المعكرى أن

(٢٦) [الأعمام الكاملة لحمل النيس الأفعلى] ص ٢٦ .

(٢٧) [النقص] العدد ٢ ص ٧٠ .

« وحدة الحقيقة » لا تمنع تعدد أساليب الوصول إليها ولا تعدد أساليب إيلاجها إلى الآخرين . وأن تعدد المستويات الفكرية للناس قد اقتضت وتفتضى تعدد وتويع سبل الإيلاج . فهناك - كما تحدث من رسل السبل « الوعظية » و « الجدلية » و « البرهانية » . التي تختص كل واحدة منها بتوعية من المخاطبين ! . فأين هذه من « التبعة » والناطقة . - وادّواج الشخصية « ؟ ! » . وأين « تشكيك » الدكتور لويس من « الوصوح والحكم » الذي تمير به طبع جمال الدين ؟ !

● ولقد كانت حياة الأفعاى ودعوته وحركته التصعيد لمقاومة الشرق للعاصفة الاستعمارية التي هبت من العرب فرحمت على وطن العروبة ودول الشرق وعالم الاسلام . والذين قرأوا وقرأون كتاباته . وخاصة في « العروة الوثقى » ، يرون وصورها في الخداف . وحرارة ثمارة بصراعات السياسة الدولية وتناقضات أقطابها . ومحاولة واعية ودائبة للاستفادة من هذه التناقضات لدفع الآثار المدمرة لعاصفة الاستعمار عن وطن العروبة وعالم الاسلام . ولتحقيق « الدولة النموذج » . التي تهضم الثقافة الاسلامية . وبعثرات العلم الحديث . فتستقطب شعوب الشرق ودوله في مراحلة التحديثات

تلك كانت رسالة جمال الدين في الحياة . تحلوها كتاباته وتؤكددها فضائله . ويجمع عليها أنصاره وأعداؤه دون استثناء¹

لكن الدكتور لويس عزم أنى ، لينكك ، في هذه الحقيقة . فيحرد علمه من كل آثار الدقة . بل والأمانة . ليحكم على الأفعاى - حياً - بأنه كان « محامى روسا في السياسة الأفعابية »² . - وحيناً آخر - بأنه « أتماء وجوده في كلكتا » [بالهند] - عرض حملاته على الحكومة البريطانية . ولكنها اعتذرت عن موافا . مع الشكر³ .

ورغم أن الدكتور لويس - فيما يتعلق بالانتقام الأول - ، ، ، ،
 نصاحته ورفى « كتبها حاسوب أفعاني يعمل لحساب الانجليز عن من يسميه
 « السيد الرومي » - الذي لا دليل على أنه جمال الدين الأفعاني ! ورعى
 دعوة الدكتور لويس إلى الحيطة والحذر فيما يتعلق بتقارير الخوارجيين عن
 محصوم الاستعمار ، إلا أنه لا تخورج عن استخدام « أفعال التوكيد »
 « إن » . واستخدام كلمة « بوضوح » . ليؤكد نسبة الانتقام إلى
 الأفعاني . فقول عبارته : « إن الأفعاني كان بوضوح يحامي روسيا في
 السياسة الأفعانية » ثم يعمى ليدعم هذه التهمة بقوله : « إن بعض
 تصرفاته العامة المريبة تدعمها » . وذلك دون أي ذكر لأي تصرف من
 هذه التصرفات « القائمة والمرة » !

بل إن الدكتور لويس يوغل في سبيل « التشكيك » . حتى يبلبل قارئه
 فتصبح من ذهنه ، الحقيقة ، صياغا كاملا - يوغل في ذلك إلى الحد الذي
 يجعله « يشكك » في عمالة الأفعاني للروس . ولكن بالأجاء ، بعالله
 للعانيين ! فيقول « إنا قد منتهى إلى أن جمال الدين كان في نهاية الأمر
 يخدم مصالح الخلافة العثمانية ، مستفحا كصالح مسلمي آسيا الوسطى ، فما
 يمكن مستقلا من وحدة العالم الإسلامي تحت الخلافة العثمانية . »

إن الهدف هو « التشكيك » في عداة الأفعاني للإسلام . ولما كان إبتكار
 حقيقة ، عداة للاستعمار مسند مقاومة لدى القارئ ، فيمكن
 « التشكيك » هو السبيل لإغراق ، الحقيقة « في بحر من الاحتمالات » .
 من مثل تلك التي تجعلها صارات الدكتور لويس عن الأفعاني ، هل كان
 حقا صبيلا للروس ، كما توحي الوثائق البريطانية ؟ أم أنه كان مجرد سياسي
 فاضل ، وه رقيق طرس ، يرى أنه لا خلاص للمسلمين من رائي الأجليز إلا
 بالتعاون مع روسيا ؟ أم أنه كان مثاليا حاك حطة لاستغلال الحد المسعة

وروسيا المنظمة ويحاول أن يجهد . بالعمل السياسي والفكر . لوحده
إسلامية كبرى ١٩ «

تشكيلك واحتالات وعلاقات استصهام هدفها طمس حقيقة
عداء الأفعان للاستعمار !

أما فيما يتعلق ، بالانهاام ، الثاني - سعى الأفعان ليعرض خدماته على
الانجليز - فرغم أن « مصدر » الدكتور لويس هو « إشارة » في تقرير
حاسوس اخبيري كتب من الأفعان لحكومة الهند الانجليزية سنة
١٨٩٦ م . . ورغم أن هذه ، الإشارة ، لا تحدد طبيعة هذه ، الخدمات ،

فإن الدكتور لويس يتطوع ، بالتكهن ، - أي والله ، بالتكهن - فيقول
« وتستطيع أن تكهن بأن الخدمة التي عرضها الأفعان على الحكومة
البريطانية ، في الهند ، هي أن تعيده إلى مصر لإطفاء الثورة العربية وتأييد
الحديوي توفيق » ١٩ ١٥

تكهن الدكتور لويس هذا التكهن بالرغم من ميل الحقائق
والمعلومات التي تواترت عن عداء الأفعان للاستعمار الانجليزي في كل
مكان . وبالرغم مما كتبه الكاثولون عن هذا العداء الذي بلغ حدا جعل
البعض يظن أنه عداء « لحسن الانجليز » . فسألوا الأفعان عن ذلك .
فحدد أنه موجه للاستعمار الانجليزي ، لا للأمة الانجليزية ١٩ ١٥ بل
ورغم النصوص التي أوردها الدكتور لويس بنصه في « دراسته » . فعلا عن
، بلت ، وعن السامه الانجليز ومراسلي حريده ، التاير ، الانجليزية ، وكلها

(١) [التماس ٢ العدد ٢ من ٧٦ ، ٧٨ ، والعدد ١٥ من ٦٦

(٥) [الأعمال الكاملة لمول الذي الأفعان] من ٦٣ ، ٦٤

تؤكد عداء الأفعاني للاستعمار الانجليزى وممارسته له في كل البلاد وفي جميع
البيادر^١

إن الدكتور لويس بوعل في « قرب التشكيك » إلى الحد الذى يجعله
يلتكر النسي ، ويصبه ، ليليل القارئ في « الحقيقة » حقيقة عداء الأفعاني
للاستعمار.

فعبا يتعلو خليع الخلدوى اسماعيل [١٢٤٥ - ١٣١٢ هـ - ١٨٣٠ -
١٨٩٥ م] عن عرش مصر سنة ١٨٧٩ م . ينقل الدكتور لويس عن أخيه
اسحق أن هذا « الخلع » كان قد تمرد من قبل انحطزا وهرسا والدولة
العثمانية . وأن سعي جمال الدين الأفعاني . علي رأس [الحرب الوطنى]
المصري إنما كان ليخلف الأمير « توفيق » - الذى كان سدى ميله لتعاليم
الأفعاني - أبناء « اسماعيل » ، بدلا من الأمير « حليم » - الذى كان مع
فرنسا - ينقل الدكتور لويس هذا . ثم يعود فيتهم الأفعاني بأنه هو الذى
« قاد شرمة من أعضاء الحرب الوطنى . من الاصلاحيين المحافظين الموالين
لمحور تركيا - انحطزا ، فعمل بالاحهار على اسماعيل . وعلى انتفاضة الوطنيه
الدمستورية . رائعة كانت أم محلقة »^(١٢)

فكيف تهم [الحرب الوطنى] بأنه هو الذى عمل بالاحهار . على
الخدوى اسماعيل . مع الاعتراف بأن « الخلع » كان قد تمرد . فلما تحرك
[الحرب الوطنى]^{١٣} ومع الاعتراف بأن هذا التحرك كان خاصا على
جلف اسماعيل^{١٤} ثم ما هي حيليات انتهاء [الحرب الوطنى] بالمحافظة .
وموالاه محور « تركيا - انحطزا »^{١٥} أليس هذا هو حرب « مصر
للمصريين »^{١٦} وحرب الثورة العربية^{١٧} أليس هذا الحرب هو غدو

(١٦) [التمام] العدد ٧ ص ٦٣ . ٦٤

التدخل الأجنبي في مصر - والذي كان انجليزياً في الأساس ١٢

وهي تعلق بموقف الأتقيان من الاستعمار الانجليزي . أثناء إقامته بالهند .
بعد أن تسبب الانجليز في بغيه من مصر سنة ١٨٧٩ م . ينهيم الدكتور لويس
الأتقيان معاهدة الانجليز : « وأن نشاطه لم يكن فيه ما يعصبه أو يلفت نظر
حواصينهم » - « ولقد صيقت إشارتها إلى اتهامه له بعرض خدماته
عليهم ! » - « لكنه يعود فيعرف - عندما ينقل عن - قلت - أن آراء
الأتقيان المعادية للانجليز لقيت « اطمئناناً حسناً » عند الرجيم الاسلامي عند
اللطيف . وأن وصوح هذه الآراء وحدة هذا العداء قد بلغا إلى الحد الذي
جعل « مولاي عبد اللطيف يحاف على نفسه من لقاء الأتقيان مخافة عصب
الانجليز » ١٣ !

وبعد أن يعرف الدكتور لويس - تفلاً عن « كتاب القاصي عند
العصر » - أن « الانجليز قد وضعوا الأتقيان تحت المراقبة » وأنه كان يحدد
الإقامة : « حود يشكك في الهدف من بغيه إلى الهند ، أثناء صراع الانجليز
صد الثورة العربية » . فيقول : « أما لما أصبح الانجليز للأتقيان أن يقيم في
اقصد - بعد أن طردوه من مصر ، فأمر غير مفهوم - فقد كان في إمكانهم أن
يشحروه - [كما !] - إلى بلاد في إيران ربما ليضعوه تحت المراقبة . أو
ربما لأبد موسى عليه من الباب العالي . صديق الانجليز في تلك
الفترة » ١٤ ١٥

لقد نقل ما يؤكد عداء الأتقيان للانجليز عندما كان صديقاً بالهند وكيف
كان هناك مراقباً يحدد الإقامة ثم عاد ليشتك في الموضوع . ولوهم
القارئ بأن الأمر كان مجرد مسرحية مثلها الانجليز مع الأتقيان . تعيدنا لوصية

(٢٧) [التتامي] العدد ٦٥ من ٦٤ - ٦٥ - ٦٦

صديقهم - ، في تلك الفترة - ، السلطان العثماني ١ - وذلك دون أن يسأل الدكتور لويس نفسه - هل كان السلطان العثماني صديقا للاخيلير في الفترة التي كانوا يتنحرون فيها مصر ١٩ - وهي التي فخر احتلالها كل شامصات العثمانيين مع الاخيلير ١٩ !

بل ويخصي الدكتور لويس ليعمل أسباب تقي الاخيلير حال الدين الأفعاني من مصر إلى الهند - فيكشف لنا ، لا عن « تناقضه » فقط ، بل وعن « قلة في المعلومات » ، نسحي أن نسميها « جهلا بأسط الحقائق والمعلومات » ١٩ ! نقول - ، وفي تقديرى أن قرار الاخيلير بإبعاد الأفعاني إلى مصر يرجع إلى عاملين

- ١ - أنهم أدركوا أن الأفعاني يعمل لحساب الباب العالي مباشرة
- ٢ - أن الأفعاني خرج من حلقات المتقنين والداورة مع سادة البلاد إلى خط حديد مصر عاليا مع « تركيا الفتاة » وإصلاحى تركيا - يقوم على الإرهاب المتمثل في مؤامرات الاعتقال ، وعلى تحريك الشارع - على قرار ما كانت تفعله الجمعيات السرية للألوف في أوروبا في ذلك الزمان (الفوضيون - والبيست)^(٨)

وحس نقول ، إن الدكتور لويس لو كان يحترم الحقيقة - ويحرم عقله فارقه لما كتب ما كتب

(أ) لقد سبق وحكم أن تقي الأفعاني إلى الصدكالة بتوصية من الباب العالي لأصدقائه الاخيلير ثم هاهو يدكر أن التي قد حدث لأن الاخيلير قد أدركوا أنه يعمل لحساب الباب العالي مباشرة وفي مكان آخر أورد مصر تقرير المصطلح الاخيليرى بالقاهرة ، الذى يتحدث فيه عن حادثة التي ،

(٨) (التماس) العدد ٨ من ٦٣

وفيه يقول : إن الأفعاني قد حطر عليه الإهانة في أي من أجراء
الامبراطورية العثمانية ، ١ ١٩١ فكيف تنعقد هذه المناقشات الثلاث ؟

(ب) وهو يذكر أن الأفعاني جعل لحساب الباب العالي مباشرة - ثم
يذكر - في ذات العنقرة - أنه يعمل مع « تركيا الفتاة » وإصلاحية
تركيا - ويعمل - أو يتعامل مع أن « تركيا الفتاة » وإصلاحية تركيا
« هؤلاء هم أعداء الباب العالي - الذي قال إن الأفعاني يعمل مباشرة
حسابه ! »

(ج) والدكتور لويس يتحدث عن نوع الأفعاني من مصر سنة
١٨٧٩ م - ويعتقد بتسويق الأفعاني مع « تركيا الفتاة » . وذلك دون أن
يكلف نفسه مزونه سؤال أهل الذكر عن تاريخ نشأة « تركيا الفتاة » .
تلك التي بدأت حينما في صفوف الطلاب الأتراك في جيف سنة ١٨٩١ م -
في رأي أولي سنة ١٨٩٤ م - في رأي آخر - ثم هي لم يعرف لها نشاط داخل
الدولة العثمانية إلا في العقد الأول من القرن العشرين أي بعد وفاة جمال
الدين الأفعاني بسنوات طويلة ^١ فكيف سبق الأفعاني بداخله . أثناء
القامنة عصر - في سبعينات القرن التاسع عشر - مع جماعة هي من ثمرات
القرن العشرين عندما كان في رحاب مولانا

(د) كذلك لم يسأل الدكتور لويس نفسه - ولو من باب الاحترام لعقل
الفارسي - كيف يكون التسيق بين دعوة « الجامعة الإسلامية » - التي هي -

(٩) [التمام] العدد ١ من ٥٥

(١٠) ص ١٢١ حتى [تاريخ سوريا ولبنان و فلسطين] ج ٢ ص ٣٥٠ جمعة بيروت

١٩٥٨ م - ولوتسكي [تاريخ الأندلس لعمدة الحديث] ص ٣٩٤ طعة موسكو سنة

١٩٧١ م

كما يقول - الخط الأصبل في تفكير الأتباع السياسى^(١١) - وبين دعوة
 « تركيا الفتاة » . التى نعى سيطرة القومية الطورانية على دولة الخلافة ؟
 كيف . بالذات . يمكن أن يتم هذا التنسيق . على قرص المستحيل وهو وجود
 « تركيا الفتاة » فى عصر جمال الدين ؟ !

● ولما كان سيود العصر وألمته ومزجوه وعلمائه الأعلام قد أجمعوا على
 اختيار جمال الدين وتفرده وبميزه . فى كل موطن حاش وباسل قد تعد
 شق الدكتور لويس على نفسه وعلى الحقيقة وعلى قرانه كى « يشكك » فى
 قيمة وأهمية جمال الدين !

(أ) والمحاضرة التى ألقاها الأتباع عن « المصاحبات » وطلعتها « فى
 دار القون » بالآستانه

والتي ست أزمة عيفة مع « مشيخة الاسلام » العثمانية . انتهت من
 جمال الدين من عاصمة الدولة العثمانية هذه المحاضرة - وما أحدثت من
 أحداث وجدل وصراع - يتعه الدكتور لويس من شأنها . يقول « وغير
 صحيح بأن محاصرته النورية . مسة الأزمة . أقامت الدنيا وأقعدتها - كما
 صور - وإنما كانت مجرد مظاهرة فى الحو الثقافى التركى سرعان
 ما انتهت » !

وعن إذا جعلنا « دراسة » الدكتور لويس مصدرنا الوحيد . وذهبنا
 بجمعها الآثار وردود الأفعال التى أحدثتها هذه المحاضرة لمسجد
 ١ - أن شيخ الاسلام العثمانى حسن أحمدى مهس قد طلب من الصدر
 الأعظم حال ما شا إصدار الأمر بقرء الأتباع من البلاد . ولقد استجاب
 الصدر الأعظم لذلك مصدر أمر الطرد

٢- أن أمرا سلطانيا صدر من السلطان عبد العزيز [١٢٤٥ -
١٢٩٣ هـ ١٨٣٠ - ١٨٧٦ م] يحصل حال الدين الأفغان من مجلس
المعارف « العتاي » ويحصل مدير الجامعة - [دار العلوم] - تحسين أفضى
كذلك !

٣- أن لجنة من هيئة كبار العلماء قد تشكل لإصدار الحكم على
الأفغان وإصدار الفتوى بحكم « الشرع » - كما نراه منيحة الاسلام
العتاية - في محاصرتهم - وأن رأى هذه اللجنة وحصولها مداولاتها قد صدر -
في صورة كتاب عبادته [السوف المواطع] ، وعليه اسم أحد أعضائها -
حليل موري - في سنة ١٨٧٢ م - وفي حديث عن مهمة اللجنة ، التي
تشكلت للرد على « ربيعة » الأفغان - ومن الكتاب - الذي هو نمرة
لمداولاتها - والذي كتب نصدا لأوامر الخليفة السلطان لعصرة الدين وتسليمه
« الملازمة الحرة » - والنتيجة التي وصل إليها « شيوخ الرحمة العتاية »
هي أن الأفغان مرتد - وإذا لم يعطى ثوبه فقد حق قتله ١٩

٤- أن الصحافة الأوربية في استانبول - وليس التركية والعربية فقط -
قد حاصت عذاب المعركة التي أثارها هذه المحاصرة (١٢)

٥- وأخيرا - استمرت هذه المحاصرة تثير ردود الأفعال ، فيكتب
الشيخ مصطفى المعري رسالة عنوانها [عين الصواب في الرد على من فأن
إن الرسالة والوجه صحتان تبالان بالاكتمال] يشير إليها اسم الشيخ عبد
القادر المعري - تلخيص الأفغان - الذي رأى الأفغان مما انتهجه به أبوه (١٣) ١٠
يذكر الدكتور لويس كل هذه الوقائع التي مثلت أحداثا وردود أفعال

(١٢) [التماس] العدد ٥ من ٦٨ - ٧٠

(١٣) [الأنوار] الكلمة لحال الدين الأفغان [هـ ١ ص ٣٢

لخاصته الأفعاني من « الصناعة وفلسفها » لكنه كفى « بشكك » في أهمية الأفعاني ويقل من قدره . يقول عنها إنها « مجرد ففاعة في الحو الشفافي الذكي سرعان ما اعتأت » ١٢٠ نرى ماذا كان يريد بهذه « الخاصرة » أن نصنع . حتى لا نكون « مجرد ففاعة » ١٢١ هل كان يريد لها أن « تفضل نظام الحكم في دولة آل عثمان » ١٢٢

● والدكتور لويس عوض يذكر في « دراسته » : إجماع محمد عبده وأديب إسحق وسليم العنحوري وحمدي زبدان . وعامة معاصري الأفعاني . من المصريين وأناء البلاد العربية على ثلاثة أشاء

الأول هو دور الأفعاني الكبير بين المثقفين والعامة في خلق الحدوي اسماعيل

والثاني . هو دور الأفعاني الكبير بين المثقفين في التمهيد للثورة العربية والثالث هو دور الأفعاني الخاص في حركة التحرير المصرية . إلى جانب دوره العام في حركات التحرير الإسلامية في مواجهة الاستعمار البريطاني على وجه التحصيص ١٢٣

يذكر الدكتور لويس هذا الإجماع على أهمية دور الأفعاني وتعدده وامتياره وريادته في هذه الميادين . وهو إجماع شهد العصر ورحالائه وأعلامه الذين عاشروا الأفعاني . بل وشاركوه صبح الكثير من الأحداث في هذه الميادين لكن الدكتور لويس عصى على درب « التشكيك » منهم المندرة على هدم هذا « الإجماع » !

وعن يعلم أن « الشك » فيما أجمع عليه علماء عصر من العصور أو اتفق عليه مفكروه ليس منكرا من القول ولا زورا هذا الشك

(١٢١) [التماس] العدد ٧ من ٦٤

المنهي ، ، الذي هو طريق التفكير إلى ، البقن ، أمر مشروع . بل
ومطلوب لكن الذي صممه الدكتور لويس كان شيئا مختلفا ومخالفا ، ، إنه
« الثالث العنى » ، بل « التشكيك » الذي بلغ حد الهدم والنفس
للحقائق التي اضطر الدكتور لويس . أحيانا ، إلى الاعتراف بها أو إلى
إيرادها إذا كانت مصفة لسيرة حيال الدين ؟ ١

(أ) في حديثه عن خطبة الأفعلى بقاعة « ريجيا » بالاسكندرية
يذكر أن ، أهم ما جاء في هذه الخطبة هو
أرار الأفعلى لدور « الفوميات » في مهمة الأمم
وإداته للنعصب الدينى
واستداد الحكام

ودعوته لإنشاء نظم سياسى . هو الحرب الوطنى . ليحى النظام
الباقى

ودعوته لحرية الاحتجاج . وحرية الصحافة
وتعظيم المرأة

والأخذ ، عامة ، بأسباب القوة والتقدم في الخصارات الأحيية ٢

هذا هو تلخيص الدكتور لويس لمحاضرة الأفعلى في « ريجيا »
والدين يتأملون هذه ، المخاور ، التي دارت حولها هذه الخطبة لابد منكون
لملح فوريتها وتقدميتها ، عقائلى مجتمعاتنا المعاصرة . فما بالنا هذه
الاجتماعات في سبعينات القرن الماضى أى منذ أكثر من قرن من
الزمان ١٥

لكن الدكتور لويس ، بعد ذكره لأفكار الأفعلى الثورية هذه ، يعود .

(١٥) [الناصر] لعدد ٩ ص ٩٩

في الصفحة التالية من «دراسته» - لى عن الأفعان شرف «الثورية»
بل ولينهم «بالاندماج في الحركات الوطنية والتقدمية المصرية كي يحكم
حقوقها إلى المطرف الراديكالي» (١٦) ١٢

وهنا تتساءل «أية» راديكالية «تلك التي تتجاوز» في مثل تلك البيئة
وذلك التاريخ - ذلك «المبرنامج الثوري» الذي طرحه جهالة الدين ٢٥
ولكنه «التشكيك» ١

(ب) وإذا كان المؤرخون قد أجمعوا - ومن بينهم رعماء الثورة العراقية
وحصونها - على دور الأفعان في العهد لهذه الثورة - إن في الفكر أو في
آلية القيادة التي فجرتها وبادتها فإن الدكتور لويس يذهب في
«السكيت» - هذه الحقيقة لا إلى حد إنكارها فقط - بل وإلى محاولة إبيات
تفصيلها ٩ يقول «غير صحيح ما يقوله محمد عبده وغيره من أن دور
الأفعان في تحريك الفكر المصري كان أهم عامل في إشعال الثورة العراقية بل
على العكس من ذلك - فقد أدب أفكار الأفعان العناية إلى استقطاب
ذلك الحياح المحافظ بين معاهدي الحزب الوطني الحر ثم معاهدي الثورة
العراقية مما أحبط الثورة العراقية بتوجيهها في مسارات دسيسة بدلا من تعميق
حدورها المصرية» (١٧) ١٢

إنه يجعل الأفعان مسؤولة مثل الثورة العراقية - بدلا من العرو
والاحتلال الإنجليزي الذي حارب جيش الشعب بقيادة عراق وهرمه
مسببا بالحياة ١ بدلا من إلقاء المسؤولية - في مثل الثورة - على الاحتلال
والعروة - يذكر عبارة لجامعة تحمل الفصل بأنها عن «توجيه الثورة في

(١٦) [العدد ٢ العدد ٩ ص ٦٠]

(١٧) [العدد ١ العدد ٩ ص ٥٨ - ٥٩]

مسارات دسه بدلا من تعميق جذورها المصرية ، ١

وهنا لابد من التناؤل . ماهي هذه المسارات الدسة ؟
إنما يعلم أن الثورة العربية قامت وهرمت وهي ترفع شعار : مصر
للمصريين . بمعنى العداء للتدخل الأجنبي والديب الخارجي . الذي
كان أوروبا في الأساس . وهذا هو جوهرها ومحتواها الوطني . وأنها قامت
وهرمت وهي مخلصه للحرية والديمقراطية والدستور . وهذا هو جوهرها
ومحتواها الديمقراطي . وأنها قد قامت وهرمت وهي مخلصه لأروع صور
، الوحدة الوطنية ، بين طوائف الأمة ومذاهبها الدينية . ، المجلس
العري ، رلمان الأمة الثائرة - قد صم أبومر من قادة الأمة . بينهم كل
المثالي الروحانيين جميع الطوائف الدينية . مسلمين ومسيحيين - بكل
طوائفهم - ويهود^{١٨٨} . وه الهند ، الخامس في برنامج [الحرب الوطني
الحر] - حرب الثورة العربية - يتحدث عن ، الوحدة الوطنية ، لأبناء
الأمة . على اختلاف عقائدهم الدينية ، فيقول . ، الحزب الوطني حزب
مباين . لا ديني - [معنى أنه غير طائفي . وليس معنى أنه ضد
الدين !] - فإنه مؤلف من رجال مختلف العقيدة والمذهب وجميع
المصري واليهود . وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلعنا مصر إله .
لأنه لا يطر لأختلاف المعتقدات . ويعلم أن الجميع إخوان . وأن حقوقهم
في السياسة والشرائع متساوية . وهذا مسلم به عند أحسن مناسج الأحرار
الدين يحصلون هذا الحرب ويعتقدون أن الشريعة الحميدية الحق تهي عن
البعضاء . وتعبر الناس في المعاملة سواء^{١٨٩} ١

(١٨) سليم بنارس [مصر للمصريين] ج ٥ ص ١٣٠ طعة الامكسرون سنة ١٨٨٤ ع

(١٩) [الأعرار الكاملة للإمام محمد عبد] ج ١ ص ٣٦٩

قائداً حليماً أب الذي صاغ هذا البرنامج هو الشيخ محمد محمد . بلصد
الأفعاني ومريده . راد التساؤل إيجاباً عن ذلك الخراج الشامل « - في
الحرب الوطني - الذي يقول الدكتور لويس إنه - تبع للأفعاني - قد قاد
الثورة العراقية إلى « المسارات المدنية التي أحفظتها » ١٥

لكنه ، التسلّيك ، فيما عدا . في تاريخه ، بدييات مثلث وتمثل
صفحات مشرقة في ذلك التاريخ !

بل إن الدكتور لويس يذهب . على هذا المنزب . إلى حدود
« الاقتداء » على الأفعاني القراء يستقر كل صاحب صمم . إنه بهم للرحل -
الذي كان مصياً . محدد الإلزامه . ومواقفاً من قبل الانحياز . ماخذ . أثناء
الثورة العراقية - يهجم بالمستولية عن « المشور السلطاني » الذي أعلن
عصيان عراقي . في سبتمبر سنة ١٩٨٢ م ١٦

يقول الدكتور لويس - في مقده لم نشرها [التخصيص] - ورجعاً إليها
أصل « دراست » من ١٩٧٧ - « ومن شذو تاريخ الثورة العراقية يعرف أن
« مشور العصيان » وإعلان خروج عراقي ورجاله من الملة والدين . حين
كانت جيوش الانحياز تطرق أبواب القاهرة كان من طبيعة الأشياء التي كان
الأفعاني يدعو إليها » ١٧

أما كيف ؟ فلا يذكر الدكتور لويس أنه حيثيات هذا « الاقتداء »
وهنا تسأل هل الرابطة - رابطة الجامعة الإسلامية - التي أرادها
الأفعاني بين مصر وبين الخلافة العثمانية - كانت من أجل مواجعة الاستعمار
الأوروبي - الذي تصدت له الثورة العراقية - ؟ أم أنها كانت من أجل تسهيل
مهمة هذا الاستعمار - كما حدث ووظف له « مشور العصيان » ١٨

وإذا كان الدكتور لويس لم يقرأ مصر « مشور العصيان » - كما يبدو - أو

فرأه ثم أضاف إليه من بعده «إما يقول له ان ، المسور ، » يذكر
« حروح عراقي ورجاله من الملة والدين » ، وإنما ذكر - في البند الخامس -
« عازرة » بناء على ما تقدم ، بحسب عراقي باسمه وأسماء عصابه ، ليسوا على
طاعة الدولة العلية السلطانية (٢٠١) « وحري إذا حنا ، العاء السلطاني
والمحاول العناني ، حانيا ، أنصرا دور ، الخداح الاخيرى » في صدور هذا
المستور . فلقد كان لإعلانه شرطا التعيريا لدخول الحيويس العنانية لمصر .
كبدلي للحيش الاخيرى . فلما صدر المسور . فاصعب موقفه عراقي
والثورة ، تشددت اغترابى شروطه ، أن طست حدم دخول الحيويس
العنانية إلى الاسكندرية ، وبورسعيد والسويس ، وبقاهها في دمياط وشيد
وأفي قبر . بل وطلبت أن تكون قيادة الحيويس العنانية للحدود الاخيرى
« ولسلى » ! . ولقد اعص السلطان الشروط الاخيرى ، فمضى الاتفاق .
واستعاد الاخيرى من ، مسور العصبان ، . وحاوروا طرف السياح بالدخول
العناني كي لا يكون سبيلا لاحتلالهم مصر . ولقد تعللت احلتر بأنها صطفت
كتابا مرسلا من السلطان إلى عراقي . وأعنت أن العلاقات لم تزل مستمرة
بين عراقي والأسامة . بالرغم من مبادرة السلطان بعصبان عراقي ورجاله
وعالت « النابرم » الاخيرى . ، إن هذا الكتاب لو نشر لكان له تأثير
عظيم (٢١١) « !! »

مهر . إد . ، العاء السلطاني والصعب العناني ، و الخداح
الاخيرى « - وليس فكر جمال الدين الأعناق - المسنول عن « مستور
العصبان » ! .

(٢٠) [مصر للمصريين] ج ١ ص ٢٠٦

(٢١) [مصر للمصريين] ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٣

ثم ألم يقرأ الدكتور لويس ما كتبه الأفعاني في [العودة الوثيق] إدامة
 لهذا المشور ؟ لقد كتب يقول : « إن على الدولة العراقية أن تتذكر أنه
 لولا قوامها بمصيان عراقي لما سهل للاتكليز أن يدخلوا أرض مصر . ولا
 أصابوا هذه القنبعة بأردف ، فتنظر إلى قوتها وبهردها . وتلاحظ أن الحل
 على من عقد . والعقد على من حل . وعليها ألا تعمل على السعيا وشرها .
 والروصيا وطعمها . وعرسا وآمالها . من الأمور الطبيعية أن المناقشة أو المفاوضة
 تدعو الأتراق إلى التسامح في الأطلاع . وإذا قرط منها حل في ملته هل يعد
 صبا بها بعد عوما ؟ » ١٩ ٢٢

وإذا كان الدكتور لويس لم يقرأ هذا الذي كتبه الأفعاني إدامة له مشور
 العصبان . علم لم يتأمل ما أوردته هو . في « دراسته » . فضلا عن
 « ليست » . الذي ذكر أن حال الدين قد وضع - في « معاوصاته مع الاتحدر
 لإيقاد » عورودون « المحاصر من قبل مهدي السودان في الخرطوم » . وحل
 المشكل السوداني - قد وضع ضمن شروطه شرط « إعادة عراقي من الشقي »
 إلى مصر ١٩ ٢٣ .

ولكنه « التشكيك » . الذي يعمل - بل ويتعالم - عن الحقائق . حتى
 يصل إلى حد « الاهراء » ! .

(ج) فإذا ما تعلق الأمر بالمكانة العامة للأفعاني بمصر . وبدوره القيادي
 في مجتمعها أثناء إقامته بها . لم يخوان الدكتور لويس عن الإصرار للتدوين من
 شأن الرجل فهو يورد فقرات من التقرير الذي كتبه الفصل الانجليزي
 عصر « السير هرايك لاسيلر » إلى وزير خارجيته الثوري سالسوري . في ٣٠

(٢٢) [الأعمال الكاملة لحال الدس الأفعاني] ج ٢ ص ٦٨

(٢٣) [التماس] جلد ٢٦ ص ٦٤

أغسطس سنة ١٨٧٩ م بخصوص بنى الأفعان من مصر - مفراً به - وصفا للأفعان - هذه العبارات : « وحال الدين ، فيما يبدو ، رجل ذو طائفة ضخمة وصولته كبيرة كخطيب ، وقد استحوذ للدرجة على قدر من التأثير ، ما يبعه فكان مصدر خطر ، وفي العام الماضي قام بدور إيجابي في إلهاب الشعور المعادي ضد الأوروبي ، وبصفة خاصة ضد الإنجليز ، الذين يحمل لهم كراهة عميقة » إن حال الدين سبق نفيه من وطنه ، ومن مدواس ، ومن مذبذبة الحقائق ، ومن استأبيل على التعاقب ، وقد حظرت عليه الإقامة في أى جزء من أجزاء الامبراطورية العثمانية .

ذلك هو صورة الأفعان ، كما صورها القنصل الإنجليزي - وهي صورة القائد الذي يقود الأمة ، والذي يصابه الاستعمار وتناصه الرجعية العداء الشديد ، إلى الحد الذي جعلوا حياته بعباً ونشيداً دائمياً . ومع ذلك نجد الدكتور لويس يعف على هذه الأقوال - لأفص هو . ولا حرجاً من « أمانته » - يقول : « ماذا نستخلص من كل هذه الأقوال ؟ نستخلص أن حال الدين الأفعان ، في تلك نشاطه في مصر سنة ١٨٧٩ م لم يكن علماً من أعلام البلاد أو رعيماً بارز المكانة في الحياة المصرية » (٢٤) ؟

ذلك هو « الخلاصة » التي ، استخلصها الدكتور لويس من تقرير القنصل الإنجليزي عن حال الدين .

(د) وحتى « الذمة المالية » للأفعان لم تسلم من « تشكيك » الدكتور لويس !

إن الدين عاصروا الأفعان وعاصروه قد أحجموا على أنه قد عاش « درويشاً فقيراً » لا يقيم ورثاً لعرص الدنيا . حتى لقد عدل عن أن يصحب

(٢٤) (الخصم) العدد ١ من ٥٥

معها وذاك بديلا . بعدما تكرر عليه من بلد إلى بلد ، فكان إذا خلقت تيامه استبدطا بأخرى ! وكثفت الإمام محمد عبده عن هذا الجانب من حياته فقال : « . وهو كرم يبدل ما يبدله عظيم الأمانة قليل الخوف على الدنيا . بعيد عن المرور برحازنها . ولوع بعظائم الأمور . عروف عن صغارها . شجاع مقدام لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه » ولقد مرا الدكتور لويس هذا الوصف . وأورد في « حواشيه » ولكنه صلت - هنا أيضا - سبل ، التشكيك « في » الدقة المالية ، للرجل فكاتب يتساءل « من أس للأفعافى مكل هذه المقود حتى يساعد كل هؤلاء المهاجرين الشواء على إصدار كل هذه الحرائق وتأسيس كل هذه المطابع ١٤ » ثم لا يلبث أن يقطع بأن « مصدر التمويل كان الباب العالي بصفة أساسية ، وفرنسا بصفة فرعية وهو يقطع ويؤكد ، استنتاجا ، ودعونا دليل ! »

ومن « الحق » و « الواجب » أنه نسأل هل أسس الأفعافى مطابع للمصحف التي ساعد على إصدارها في مصر ؟ إن صحيفة [مصر] صدرت من ، فكان في حى باب الشعبية ، الشعبية كما صدرت [العروة الوثقى] من غرقة على سطح المنزل رقم ٦ في شارع ، مارسيل ، باريس ولم تكن هناك « المطابع التي تأسست » والتي يتحدث عنها الدكتور لويس والذى يزيد من غمراه « العطفية المباحثة » التي يتحدث بها الدكتور لويس عن « التمويل » للمصحف الشعبية التي ساعد الأفعافى على إصدارها . أن الدكتور لويس قد عاش حقة من التاريخ المصرى - فيما قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م - كانت الصحف الشعبية تصدر فيها بالقروش التي يتبرع بها القراء . ومع ذلك فعلت هذه الصحف ما لم تفعله صحافة المطابع والمؤسسات فلم هذا الغبار المثار في غير موضعه . وبلاشب من الأساس ١٥

ثم إن الجميع يعلم . علم اليقين . أن افتراق محمد عبده عن الأفعافى في سنة ١٨٨٥ - بعد توقف [العروة الوثقى] ، فذلكان لاختلاف تصور كل منها ، لسبيل ، تحضيق الأهداف المتفق عليها ، والدكتور لويس يعلم « بالطاع المعكرى » للتحلاف بين الرحطين . ويقول : « نحن نعلم . على وجه اليقين ، أن حلالا شب بين الأفعافى ومحمد عبده في أواخر سنة « العروة الوثقى » . وهو حلال ذو طابع فكري . لأنه حلال بين مسجحين . مسيح المذكور محمد عبده . ومسح السياسي الأفغانى . كلاهما أراد تحديد شباب الاسلام وتحرير العالم الاسلامى ، ولكن على طريقته » (١٢٠)

لكن الدكتور لويس لا يعلم كى بها هذا التفرع الموضوعى لحلاف محمد عبده مع الأفغانى فبسرع - وفي ذات الصفحة من « دراسته » - ليتساءل عن الحب - الذى سيق وقطع ، يتيقن ، أنه فكرى - يتساءل . متشككا - . « هل كان سبب تحلاف على المال ؟ » ثم لا يتورع عن أن يحصى ليفور : « إن كل الأموال كانت تصب في حبيب الأفغانى . وهو يتوهم الاتفاق » - ويسبب إلى أعضاء [جمعية العروة الوثقى] التونسيين عالم يقولوا - ويسبب إلى محمد عبده عالم يقله - كل ذلك ، للتشكيك ، في « دمة الأفغانى المالية » ! - فيقول : « لعل - [لاحظ معنى ، لعل !] - التونسيين قبضوا العروة عن محمد عبده - عندما رازهم - لأبى كانوا يعدون أن الأفغانى تلقى مائة الكفاية وأكثر من يعرف ؟ - [لاحظ الاعتراف بأن لا أحد يعرف !] - لعلهم - [لاحظ معنى « لعلهم » !] - قالوا أشياء لمحمد عبده أبت عفته أن يتكلم بها » ؟ !

إن التونسيين لم يتوروا شيئا ضد الأفغانى ومحمد عبده لم يذكر إلا

مادكر عن اعادة الأفعالي وكرمه وفلة حرصه على الدنيا - وهو كلام كتبه في التقديم لنزحة [الرد على الدهريين] عندما أقام في بيروت ، بعد لرافته للأفعالي ١٢ - والدكتور لويس يقول إنه ، لا أحد يعرف شيئاً عن هذه الأمور ومع ذلك يجمع في « التشكيك » ، مستخدماً أدوات « حل » ، « لعل » ، « لعلهم » ، « على نحو غريب » ١٢ .

وإذا ما قرأ في تعاريف الحواميس الانجليزية - التي يسميها « وثائق » - كلاماً عن أموال تلقاها الأفعالي من بعض الشخصيات مثل حبر الدين التونسي ، والحوال حسن باشا ، لم يكلف نفسه البحث ليعرف أن هذه الشخصيات كانوا أعضاء في [جمعية العروة الوثقى] يزود لها ، الاشتراك ، المال ، وإعانة براء مثلهما على إهام الأفعالي بجمع الأموال ، لتصب في حبه ، ولينول وحده الانفاق ١٣

ملك عاذح - محمد عاذح - من « التشكيك » الذي امتلأت به ، دراسة « الدكتور لويس عن جمال الدين الأفعالي »



١ - أما فيما يتعلق ، بالافتراءات ، التي احتد الدكتور لويس كي يصفها بـ « الأفعالي وعقيدته وأسلوب حياته » فقد نازر بها في صفحات ، دراسته ، الكثير من التناقض . حتى لقد ناهت في العدد عاذح « التشكيك » ، .

● لقد سبق وأوردنا قول محمد عبده عن الأفعالي : « إنه أشد من رأيت في المحافظة على أصول مذهبه وعروجه وله حمية دينية لا يساوم فيها أحد يكاد يذهب خيرة على الدين وأهله . » وقول « بلست » عنه : إن كل ما به آسوى ، وليس من السهل تأنيبه للعادات الأوروبية »

لكن الدكتور لويس يتوكل على « قصاصة ورق » كتبها حاسوس اعطيت
 عن من وضعه ، السيد الرومي . فيفتري على الألفاظ تهمة « التعرّج في
 الفكر والسلوك » . كما يستند إلى إحدى الشهادات التي جمعها أثناء
 الاتّفاق ، المعادى لحال الدين . والتي تتحدث عن « إعطائه علما في هار
 رمضان ، أيام إقامته في الحف العراقية .. »^{١٢}

والعرب في الأمر هو أن الدكتور لويس لا يكتب بتركية « الرواية »
 والأكتونية التي اخترعها من رعبوا قرابتهم للألفاظ . من أهل « أسد آباد »
 الإيرانية بل مصى فحمل افتراءاتهم هو ما حملوها ؟^{١٣}

إذا قال قائلهم إن سبب رحيل جمال الدين من « أسد آباد » إلى
 « قروين » - وهو في العاشرة من عمره - ، أن فتنة شمس دين (السادة)
 هناك .. ، وأنه قد شاع في الصحف - فيما بعد أثناء إقامته بها - أن الفتي جمال
 الدين هو المهدي المنتظر - رعب إتكاف جمال الدين لهذا الذي شاع عنه .

إذا قال قائلهم ذلك . لم يكتب الدكتور لويس بالتركية والتصديق
 وإنما تطوع بالزيادات والاصافات . فربما يقول إن جمال الدين كان يتي
 أسطورة أو « إشاعة » المهدي المسوّه إليه . لكن الدكتور لويس يقول -
 « ولا شك - [لاحظ مقري استخدام « ولا شك » !] - أن جمال الدين
 أفعاله وأفعاله ، صراحة أو بالإنحاء ، بالخداع أو بالإيمان . كان يعدي هذه
 الأساطير التي كانت تنسج من حوله . . . ثم يتصوّر ليرجح أن هذه
 الأساطير هي سبب الفتنة التي حدثت من قبل في « أسد آباد » فهو يجعل
 لأسطورة « الصحف » تأثيرا ، ياتر رحى . في مرحلة « أسد آباد »^{١٤} ثم
 هو لا يطلب من نفسه القليل من الاتّفاق في التصكير . فمن ينبغي حول نفسه

أسطورة المهديّة - ومن بعدى الزعم بأنه « يوحى إليه بأنه المهدي المنتظر »
 هل يليق به ، وهل يدعم من معناه هذا - في بيئة محافظة في تنبيه
 كالخشب - ، عدم الاهتمام بالمحافظة على شعائر الدين - والافتقار علما في
 رمضان ١٤١٩ هـ !

لقد كنا نتظر من الدكتور لويس أن يتف من هذه « الشهادات » التي
 صممها كتاب [جمال الدين الأسد آفادي] - والذي سبق لنا الحديث عن
 قيمته - أن يتف منها موقف النافذ ، المتمثل للحكمة الشعبية المأثورة : « إذا
 كان المتحدث محوبا عليكي السامع عاقلا » ! لكن الدكتور لويس - مع
 الأسف - لم يصنع ذلك بل لقد أضاف - من عنده - التخرجات
 والاستنتاجات التي رادت العظمى بلة تدعيمها لهذه الافتراءات !

● كان الأفعلى ، فطسوها - منصوفا ، وه درويشا - [فحقيا] -
 راعدا ، لكن الدكتور لويس عوض إمعانا منه في ، الافتراء ، حل
 الرجل - بل زيادة حرصه على إهالة التراب والوحل على الزمر الأسطوري
 الذي ارتاد للأمة طريق البعث الإسلامي في عصرها الحديث - هذا أراد أن
 يقدم لقراءه جمال الدين الأفعلى ، سكيرا ، ١٤٠٠ في سبيل تلويح هذه العناية
 لم يكتب الدكتور لويس بالافتراء على جمال الدين ، بل لقد اهتزى على الدس
 أرجوا له أيضا ! ، فكتب في دراسته يقول : « أما تردد الأفعلى على
 القهاوى والباروات فيشهد به محمد بنده وسلم العنبروري » ، ١٤٠١

فهل ، حقا ، شهد محمد بنده وسلم العنبروري بتردد الأفعلى على

(٢٧) [النصارى] العدد ٢ من ٢٩

(٢٨) [النصارى] العدد ٦ من ٧٠

« الباربات » - [نصيحة الجميع - أى أن الأمر لم يقف عند « التردد » على « واحد » - ؟!] لسطر

إن عبارة محمد عبده التى تتحدث عن الأماكن التى كان الأقباط يحتطب انتزعه فيها والخلوس بها ، وعقد محامسه بين ريوها ، تشير إلى حلوسه فى المنزهات العامة ، وفى « المقهى » الحديث الذى يماثل - فى عصره - « الكارنو » - فى عصرنا الحالى - وهى أماكن لم يكن مألوفها - فى ذلك العصر - من الشيوخ والعلماء اوتيادها - وليس فى عبارة محمد عبده - مابعه الدكتور لويس ، من تردد الأقباط على « الباربات » يفوق الأمتداد الإمام « وكان - [الأقباط] - يتوسع فى إتيان بعض المساحات - كالخلوس فى المنزهات العامة والأماكن المعدة لراحة المسافرين وتفرح الخزوين . لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار . وكان مجلسه فى تلك المراسع لا يخلو من الفوائد العلمية . فكان بعيدا من اللغو صرها عن المنهوى . وكان يواهبه فيها كثير من الأمراء - [صباط الجيش] - وأرباب المقامات العالية وأهل العلم . »

ثم يوصى الأمتاد الإمام ليرد نقد الناقدين ذهاب الأقباط إلى هذه المنزهات العامة فيقول « وهذا الموضع ربما عده عليه بعض حاصديه ، لكن الله يحب أن تؤفى رخصه كما يحب أن تؤفى عزائمه . وأنى عصاينة على المرء أن يفرح حصصه بما أفاض الله له ؟! » (٢٩) .

أما سليم العسحورى ، فهو وإن سعى المكان الذى كان جلس فيه الأقباط ، ويعقد به متداه . « ملهى » . إلا أنه يحدد صراحة أن هذا « الملهى » هو بالتحديد « قهوة متانيا » المحاورة لمبنى « البريد » -

(٢٩) [الأقباط الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٢ ص ٢٥٣

[البوسطة] - ميدان العتبة الحضرية ، القاهرة - يقول المحجوري عن مجلس جمال الدين : « وكان مجلس علمه في « ملهى » ، قرب الأرنكة .. يدعى (قهوة البوسطة) » (٢٠)

فهو « مجلس علم » - كما قال المحجوري - وهو الملتقى الذي كان تتحلق حول الأفغان فيه طلبة المجتمع المصري من المدنيين والعسكريين الذين حددوا حياة الأمة الفكرية والعملية . وارتادوا بالشرق ميدان الثورة للمرة الأولى في العصر الحديث . إنه المكان الذي تكون فيه فائدة من أمثال محمد عبده والبارودي وعراقي والديم وسعد زغلول الح الح الح الح لكه - تنفايس افتراء الدكتور لويس - « بار » بل و « نارات » (٢١)

● وشهد الافتراءات التي يقذف بها الدكتور لويس كل من وصف عبده الحقيقية في تاريخه حياة جمال الدين . فإن مقدمات الأستاذ الإمام :
فيذا ذكر محمد عبده حقيقة أن الأفغان لم يدرس بالأهر . وأنه لم يذهب إليه إلا مصليا أو زائرا . وأن مجلس علمه كان في منزله - م حجب ذلك الدكتور لويس . وأثبتنا سلك لقص هذا القول صلا توقعه في أحشاء لا يقع بها بصير بكتابة التاريخ (٢٢) ! إنه يقول : « وربما كان هناك محمد عبده بأمر أن الأفغان لم يدرس ثانيا في الأهر حاء من الأفغان نفسه . من حيث حرصه على إحياء صداقته مع علماء الأهر . حتى لا يجب تلاميذه من المحجورين » (٢٣)

(٢٠) [تاريخ الأسياد الإمام] ص ١ من ٤٤

(٢١) [الخاص] الجزء ٦ ص ٧٠

ففي رأيه أن محمد عبده يكذب - ليعا لكذب الأفعاني - عندما يبي
تدريس الأفعاني بالأهر ، كي لا يبر صداماته مع شيوخ الأهر ، صحاف
منه المحاورون فلا يفتون على دروسه ١٩

ولو كان الدكتور لويس عرص يحترم عقول قرائه لاحتزم الحقيفة ولما سود
الصفحات مثل هذا الكلام ، [ولو كانت للأفعاني صدامات مع شيوخ
الأهر ، عندما كان يدرس فيه ، لعلمها المحاورون -] من طلاب
الأهر [- ولما أطلع محمد عبده في إحصائها عنهم ، لأهم منه شهود
عبان] ؟ ثم - وهذا هو الأهم - إن محمد عبده قد كتب هذا الذي كتبه
عن الأفعاني في تقديمه لرسالة [الرد على الدهريين] ، وهو مني ، سيرت
سنة ١٨٦٦ م . وكان الأفعاني في باريس ، أين كان الأفعاني ، يومئذ .
من مصر ومن الأهر ومن المحاورين ، حتى يكذب محمد عبده . فيحق
تدريس الأفعاني بالأهر وصداماته مع شيوخه كي يعلم له المحاورون
فيستلمون على بيده ٢٠

أهذا كلام باعبره الدكتور لويس ٢١ على كل حال فحق محمد
الله على أن هذا هو مبلغ جهلك في دعم مارميت به الأفعاني من
« الأهراءات » ؟ وعلى فارتج « دراستك » أن يقبس ما لم نشر إليه على
ما نشرنا إليه في هذه الصفحات

• • •

ولقد زاد الطينة ، وأسهم في إشاعة الأخطاء الصارخة وغير الالتفة
في « دراسة » الدكتور لويس قلة بصاعة الرجل العلمية الملبدان الذي
بصدي ، للإفتاء ، فيه ! لقد دخل ميدان التاريخ ، دون أن يمتلك أيأس
أدواته بل واختار التاريخ للبحث الاسلامي وحركة الإصلاح الإسلامية
بالدات ٢٢ .

والباطر هياكتته الدكتور لويس يرى أخطاء تعدد فيجاء بمصاعته العلمية في هذا الميدان

● فالرجل الذي دفع إلى التكنية العربية كتابا ، يحمل اسمه ، في « فقه اللغة العربية » هذا « العالم المعوى » عندما يسب إلى « المهدي » يقول « المهديوية »^(٣٢) ولا يقول « المهديّة »^(٣٣) !

● وهو يزعم أن حمال الدين الأفعاني قد قال عبارة « والشعبة يقولون اني نصبي » ، ولا يستطيع تمييز الخطأ ، لأن صحة الكلمة « ناصبي » ؟ وبدلا من أن يسأل أهل الذكر عن معنى الكلمة ، ليصححها ، يتطوع لبني وفسر . فإذا « تعلمه الغرير » بنهر الصحف والرفاء ! لقد فتح « فرسا » لبصر كلمة « نصبي » فقال « من معركة نصبي . أي من أعداء علي » بن أي طالب ؟ والرجل لا يدري أن الإشارة إنما هي إلى لطف « النواصب » . الذين ماصوا علي بن أبي طالب وببهِ العداء وأن المقدّم بها « ناصب » . والسبب إليها « ناصبي » . أما معركة « نصبي » فلا علاقة لها بالموضوع - اللهم إلا أن تكون علاقتها به مثل علاقة الدكتور لويس بالموضوع الذي تصدى للكتابة فيه^(٣٤) - « لنصبي مدينة بالشام فتحت في زمن عمر بن الخطاب »

● ونحن نذكر الدكتور لويس إذا لم يميز بين الآية القرآنية وبين الحديث النبوي الشريف . لكنه إذا جاء فتحدث عن خطاب « ثم زعم أن الأفعاني هو كاتبه » ثم وحدها الخطاب يتحدث عن الآية القرآنية [إنما يؤمّنون بحجة] - المحرمات ؛ ٩٠ - على أنها « حديث »^(٣٥) « كان من حقنا أن

(٣٢) (المصنف) العدد ٣ ص ٦٩

(٣٣) فصل الدراسة ص ٩٩

يقول إن هذا جهل إن حار لغز الأفعافى فلا يجوز لإمام كبحال الدين^{١٢}

مهمل مثل الأفعافى من لا يميز بين الآفة وبين الحديث^{١٣} . وعلى غير
« مؤرخ » ، يطرئ مصوص مصادره نظرة نقدية . ألا يكتشف ريفسة
مثل هذا النص إلى مثل الأفعافى^{١٤} . وأيضا فكاتب الخطاب يتحدث
عن نفسه فيقول : « إن كاتب هذا الخطاب رجل وضع المقام لا أهمية
له »^{١٥} . مهمل مثل الأفعافى من قول هذا عن نفسه وهو الذى
هائمه الملوك والعباسرة حتى لقد أزعج منه السلطان عبد الحميد
[١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨ م] عندما طلب منه وقف المجوم
على القضاء الأيراني ناصر الدين [١٢٤٦ - ١٣١٣ هـ ١٨٣١ - ١٨٩٦ م]
فجاءت استجابه فى عبارة : « الآن . عرفت عن المشاء »^{١٦}

إن الدكتور يكثر من الحديث عن « عجمية » الأفعافى . ويحدث عن
« عناده الذى جعله يرفض التبعة للماب العافى » . وأقصى ما يتصوره هو حالة
من « التعاضى » . يسه وبين السلطان^{١٧} . مهمل يلقى عن هذا مقامه .
ومن هذه مكاته . أن يكتب لى هو دون السلطان فيقول عن نفسه : « إنه
رجل وضع المقام . لا أهمية له »^{١٨} .

أين العلم فقد المصوص . أحصى حصائص من يتصدى لكناية
التاريخ^{١٩}

● كذلك نحن لا نعدر الدكتور لوى عندما لا يكلف نفسه مؤنة النظر
فى « أطلس جغرافية » البلاد التى تحدث عنها . فى معرض اقتراعه على

(٣٤) أصل الدراسة ص ١٠٢

(٣٥) أصل الدراسة ص ٢٢٤

الأفعاني ، والتدليل على إيرانيته ، يسوق حكاية وعده لأمه ، وهو صغير .
بأن يجمعها حاكمة على خراسان !

وإذا صرنا النظر من الوقوف عند ألفاظ السحرية التي صبا الدكتور
لويس على الأفعاني ، بسب هذه الحكاية المرعوبة فإننا نسأله
لم لم يسأل عنه - من باب نقد النص - هل من المؤلف في البيت
الشيعة المحافظة مثل إيران - أو تكون المرأة حاكمة لخراسان^{١٤}

ثم إن خراسان - باعتبارها الدكتور لويس - ليست في إيران - حتى
تستدل بذلك على إيرانية الأفعاني - وإنما هي في أفغانستان - ولو نظرت في
معجم البلدان القديمة - بل وفي [القاموس الاسلامي] للأستاذ أحمد
عطية الله - علمت أنها « اسم فارسي يطلق على ما يعرف اليوم - بصفة
عامة ، باسم أفغانستان - وهو يطلق - بصفة عامة - على الأقليم الذي يحده
في الشمال بحر جيحون ، وفي الشرق حوض الهند ، وفي الغرب إقليم
فارس - ويقسم من المدن الشهيرة كابل وعرة وقندهار وتريبلدوخوس
وفاراب ولساوبورد وسرخس »^{١٥} .

● كذلك لا عذر للدكتور لويس عندما تطوع بالافتاء فيقع فيما لا يليق
من الأخطاء فهو يقل عن « بلغت » أن « السيد أمير علي » كان يتربعه -
في كلكتا - بالهند - طائفة متبعة بعهده . تدعو للأخط بالحضارة
العربية . وراء يذكر اسم الرجل « الأمير علي » بزيادة « آل - » لكن
هذا لا يهم . وإنما المهم أنه تطوع بالتصريح بفتح قوسا ليقول لنا إن السيد
الأمير علي (هو السيد أحمد خان)^(١٦) ولورجع الدكتور لويس إلى أي
قاموس للأعلام ، أو إلى كتاب [رعماء الإصلاح في العصر الحديث]

(١٦) [التمام] العدد ١٥ ص ٩٦

للاستاذ أحمد أمين . تعلم أن أحمد حان [١٢٣٣ - ١٣١٦ هـ - ١٨١٧ - ١٨٩٨ م] غير السيد أمير علي [١٢٦٥ - ١٣٤٧ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٢٨ م] . ولعلم أن الأول كان يهج للأصلاح طريق التربية والتعليم فقط . علي حين أضاف الثاني إلى ههجه حطة سياسية تعالج مشكلات المسلمين !

● وفي موطن آخر يستعمل الدكتور لويس ، لفظة العلم ، علي تشويه صورة رجال الدين الأعفاني ! .

فحين يلقن به تهمة التعاون مع الانجليز . في مصر . سنة ١٨٧٨ م . إبان الصراع بينهم وبين الحديوي اسماعيل . يقول : إهم صحوا بانتهابه رئيسا محفل ، كوكب الشرق ، ، الذي كان فرعا من المحفل الماسوني في إنجلترا سنة ١٨٧٨ م . ثم يتحدث عن طردهم له من هذا المحفل بعد هذا التاريخ . عندما وقع بينها خلاف . وانتهت فترة التعاون الكامل ، بينها (٣٧) . كما تقول !

ولو رجع الدكتور لويس إلى أي مرجع محرم من المراجع التي تدرج للماسونية . لعم أن المحفل الذي انتسب الأعفاني رئيسا له سنة ١٨٧٨ م . إبان صراع الانجليز ضد الحديوي اسماعيل . وهو محفل « كوكب الشرق » - لم يكن هو التابع للمحفل الانجليزي . بل كان تابعا للمحفل الفرنسي (٣٨) فهو المحفل الذي أنشأ الأعفاني . كموقع ضد المحفل التابع للانجليز وهو الذي يسميه سلم المبحوري ، جمعية (الماسون) العربية ، (٣٩) فلم يكن الأعفاني متعاونيا مع الانجليز . لا يومئذ .

(٣٧) [اتصال] العدد ١ ص ٥٦

(٣٨) صخر طعنه [للمسوية تحت العالم المجهول] ص ١٢٨ طعة بيروت سنة ١٩٧٩ م

(٣٩) [تاريخ الاساد الإمام] ج ١ ص ٤٦

ولا هي ذلك ولا بعده . فقد كانت كراهية استثمارهم طعنا من طاعه لارمه
حتى اشغل إن رحاب الله ا .

ثم إن الاعلير لبسوا هم الذين ، طردوا ، الألمان من اعمل الذي
كان يبيع محفلهم . وإنما الرجل هو الذي استقال . عندما اكتشف حوس
هذا المحفل عن التصدي للاستثمار والاستيداد . وعندما تبين له علاقة هذا
اعمل - وثريا الصمت والسيرة - تمخطط الاعلير في مصر . وحير دليل على
صدق هذا الذي يقول كلمته التي أداها فيها ماسوية ذلك عمل . والتي
استمال منه بعد إلقائها . لقد قال فيها : أول ما شوقني للعمل في ساية
الاحرار . عوان كعير حطير [حرية ، مساواة ، إخاء] عرس
[منفعة الانسان . معنى وراء ذلك صروح الظلم . تشييد معالم العدل
المطلق] . فحصل لي من كل هذا وصف للماسوية . وهو : همة للعمل ،
وعزة نفس وشعم . واحتظار للحياة في سبيل مقاومة من ظلم

كنت أظن أن أسمع وأرى في مصر كل حرية وعجبية . ولكن ما كنت
لأتحيل أن الحق يمكنه أن يدخل بين اسطوانتي الضاعل الماسوية ١٤ .

إذا لم تدخل الماسوية في سياسة الكون . وميا كل بقاء حر . وإذا آلات
النساء التي بيدها لم تستعمل لهدم القديم . ولتشيد معالم حرية صحبة
إخاء ومساواة . وتلك صروح العظم والعتو والحدود ، فلا حملت يد الأحرار
مطرقة حجارة . ولا قامت لينابهم راوية قائمة ا .

يؤلمني أنني الآن ما عرفت لتعسى . بصفتي ماسويا . ولا لمطلق الماسوية
معرفا يجعل لها صورة في الدهن ووصفا يطبق على من يحرق في تلك
المثيرة ا . ماسويتكم . أنها الإخوان ، اليوم لانتحاروا . كبس أعمال .
وقبول أخ . . بنى عليه من أساطير الأولين ما يمل ويحل في عقيدة الداخل .
ويسقط مكانة الماسوية في عيبه عالماسوية . على شكلها هذا .

وتقاليدها ، ليست فقط قديمة العهد ، بل هي لا تزال في المهد ، ونسوف -
إذ أصبحت وأصر أبنائها على الوقوف عند حدود رموز أكثرها لا يفقه مغناها
ولا المراد من وضعها - أنها مستحق في المهد ولا تدرج منه ^{١٩١١} .

تلك هي قصة الأفعى مع المامونية . إنها صفحة من صفحات صراع
صد الاستثمار . والاستثمار الإنجليزي على وجه الخصوص . وليست إطاراً
تعدون فيه الأفعى مع الاعلير كما ادعى الدكتور لوس !

لكنها « فله المعلومات » عميدان البحث وطبيعة مادته ومصطلحاته .
عندما أصبحت إلى « العرض الثأري المبيت » ، الذي حرك الدكتور لوس
للإمتهاء على الأفعى والشكيب في حقائق حياته وبعاله وفكره . أنتم كل
ذلك ما سعت هذه « الدراسة » من مستوى في الشدود فل أن يكون له
مظهر !

(١٩٠) [الأعمال الكاملة - الجزء الثاني - الأفعى] ص ٢١

هل كان الأفغانى ملحدًا وزنديقًا ؟ ١

من كان بتصور أن الدكتور لويس عوض « العلماني » ، الذي يكثر من الحديث عن المذهب الانساني - « الهيومانيزم » - والمعادى للإحياء الديني . والذي ترفعه فرائضه من التطرف والعلو الديني من كان بتصوره مستخدما لسلاح « التكفير » ، يحكم على عقيدة جمال الدين الأفغانى بالتحديف والزندقة والإلحاد . وكأنه أحد غلاة جماعات التكفير في العصر الذي نعيش فيه ١ .

صورة مأساوية لكنها وقعت في « فواسته » عن جمال الدين ١

ولقد جاز المرء في تفسير هذا العلو ، غير المألوف ، من الدكتور لويس هل انتابته نوبة من « الكهفوت المسيحي » فبهض كي يعبد تمثيل مشاهد فرارات « الخرماني » التي كانت تصدرها الكنيسة قديما ضد أحرار المذكريين ٢ | لا أعفد فالرجل منسوب إلى الكنيسة الفسطية . التي لم يشهر في تاريخها هذا التحاور والعدوان على صفائر المؤمنين ومعتقدهم وأغلب الظن أن عداء الدكتور لويس لمرم الإحياء الإسلامي والاستقلال الحضاري عن العرب جمال الدين الأفغانى . هو الذي دفعه إلى هذا « الخروج » العصري . الذي جعله يحارب بكل سلاح . حتى ولو كان محرما إسلاميا . وممنوع الاستخدام من قبل كل المستعربين والاسابيين ١

لقد سقت إشارتنا إلى مصادح من « الشكليك » و « الافتراء » التي أصابت سيرة الأفعاني وفكره في « دراسة » الدكتور لويس . والآن نقف لسطر في فحة هذا « الافتراء » . عندما أباح الدكتور لويس لفظه أن يحكم على « العقيدة الدينية » للأفعاني ، فيقول : « إنه غير متدين » بل « مجتهد » ، و « ملحد » . و « زنديق » ؟ !

في « دراسة » الدكتور لويس - وحتى عندما عرّض له تدين « الأفعاني » و « عقيدته الدينية » لاعتدأ به إشارة إلى كتابات الأفعاني الدينية . و « الكلامية » ، وما و « الصوفية » على وجه الخصوص . وينبغي أن من يكتب عن عقيدة إمام كجبال الدين . لابد وأن يرجع لما كتبه الرجل في « العقيدة » من مثل [تعليقاته على شرح البدائي للعقائد العصبية] و [رسالة الواردات في سر التحليات] وما كتبه من [القضاء والقدر]

الح الح

وحي لا ندري . هل قرأ الدكتور لويس هذا الجانب من أعمال الأفعاني الفكرية . أم لا ؟ . قد يكون نراه ، و لا يجد ميلا لفظه . حكم بكونه الديني وقدراته الفكرية المتكومة شخصه الأكاديمي المبد كل البعد عن هذا الميدان ! المهم أننا لا نجد أثرا لأعمال الأفعاني « العقيدية » فيما كتبه الدكتور لويس عن « عقيدته » . وهذا ظل مهجى بسقط أحكام الدكتور لويس من الأساس !

لقد وقف الدكتور لويس . في « دراسته » عن الأفعاني عبد حدود الأوراق والكتب التي جمعها له الذين استضافوه في جامعة لويس أنجلس . وما حموه له من كتابات الأفعاني ذات العلاقة بالعقيدة ترجمه تعبيرية لرسالة [الرد على الدهريين] و [المقاتلة الحالية] التي كتبها راشد عندما من إليها في مطلع ثمانينات القرن الماضي . وكلا

المختصر من الكتابات « الجمهورية » . التي تعالج الحواش السياسية والاجتماعية والحصارية . ولا تعوم عوص المتخصص في ميدان العقيدة الدينية عندما يكتب للمختصين .

ومع ذلك فسطر لمرى كيف تعامل الدكتور لويس مع فكر الأفغانى . الذى اطلع عليه . ورجع إليه في هذا الموضوع

لقد كتب الأفغانى رسالة [الرد على الدهريين] لتكون سلاحا في الصراع ضد طائفة من مسلمى الهند . يمكن أن نسميهم « المستعربين » الذين تهادنوا مع الاستعمار الانجليزى هناك . فهم قد تعرضوا في الحصار والعكر والسلوك . ووقفوا عند « الشورى » خصاميه العربية . وبمقتضى أيديهم من مهام الوطنية والمصال ضد الاستعمار . ولذلك . فقد غيرت هذه الرسالة عميرتين رئيسيتين

الأولى حدثها وعيها لأنها حملت روح الثورة العسفة التي حكمت موقف الأفغانى إزاء الاستعمار

والثانية التركيز على « المائدة » و « الردود » الاجتماعى والسياسى والمثاق . الذى نصيب الأمة إن هي استمسكت بالإسلام كهوة حصارية غيرها عن الحصار العربية الفارسية . فحدث [الرد على الدهريين] عن الإسلام هو حديث عن « البديل الحصارى » الإسلامى لحصار الغرب المادية العدوانية الاستعمارية . وليس حديثا عن الإسلام كدين محمى . بمقائده وأركانته . لأن [الرد على الدهريين] ليست . في الأساس . كتابا من كتب « علم الكلام » . الذى هو « فلسفة الإسلام » !

أما الدكتور لويس . فإياه - بعد أن أملى كتابات الأفغانى « الكلامة »

وه الصوفية - والتي منها نجد أن يسبق الدارس الأبي عقيدته ومذهبه الديني - قد اعثر رسالة [الرد على الدهريين] هي التجسيد العكري الحقيقة عقيدة حيال الدين فقال : « أما من هو الأفعلى الحقيقى فهو فى الرد على الدهريين » . فهو كتابه الخطير ^(١) .

لقد قرأ [الرد على الدهريين] فوجدنا تحدث عن « العائد » السياسى والاجتماعى والخصارى للإسلام الدين . بدلا من أن يلتبس فكر الأفعلى عن الدين ، كمعقيدة مجردة . وأصول وقواعد وأركان وصعها الشارح سبحانه وتعالى .. بدلا من أن يلتبس هذا من مواضعه فى أعمال الأفعلى العكرية . أباح لنفسه ولعلمه أن يستبج عقيدة الأفعلى . فيحكم عليه بالتخفيف والزندقة والإلحاد ، مدعى أن الدين عبثه ليس حقيقة موضوعية . وإنما هو مجرد مؤسسه اجتماعية ضرورية لتنظيم حياة الجملة من الناس . فعنده « أن الأفعلى - فى [الرد على الدهريين] - لم يكن مهتبا بإثبات صحة العقيدة الدينية بقدر ما كان مهتبا بإثبات صحتها للوجود الاجتماعى والسياسى ^(٢) » . لقد رفض الأفعلى المدرسة المادية فى مقاله كتابه [الرد على الدهريين] . ورفض موقف المدرسة المثالية فى مقاله [شرح أحوال الأعراب] . ولكن الأفعلى فى رفضه للعقيدة المثالية بدلا من أن يعصم بالمهم التقليدى ، أو بالعقل العام فى مهم الدين ، أسس رفضه للمثالية على رأى لايقبل تجديدها عن رأى المثالىين الأوربيين من الرومانسيين والصوفية وأصحاب العقل المتجاوز أو الحقيقة المتجاوزة أسه على أن زعزعة إيمان المسلمين بالمعجزات والمعقبات والنواب فى الدار الآخرة . وهذا « فى حال صحتهم وشقايتهم المراهمة » كقيلة بأن معظمهم

(١) [ليدرس] العدد ١٥ من ص ١٠٥

(٢) [ليدرس] العدد ١٧ من ص ١٧

ينحلون عن مقاومة القومية وينصرون إلى معسكر مستعمرهم . بل وربما
فرطوا في ذنبهم واعتنقوا دين جلادهم . ومعنى هذا بصراحة أن الأفغان لم
يكفوا بنظر إلى « المعجزات » وإلى « اليوم الآخر » على أنها مقولات دينية
حقيقية . وإنما هي عنده مجرد مفقذات تافهة لحفظ التجمعات وصيانة
الروح القومية فيها . وس هنا وجب النظر إلى الدين لاعتلى أنه مجموعة من
الحقائق الفكرية والروحية . ولكن على أنه مؤسسة اجتماعية وقومية
هذا هو جوهر رسالة الأفغان في [الرد على الدهري] . فالحق . عند
الأفغان . هو ما يرى المجتمع والباطل هو ما يوصفه . ولأداسي بعد ذلك
للبحث في الميادين (٣١) ^(٣١) إن الأفغان لم يكن متديبا بالمعنى المصهور .
ولكنه كان ينظر إلى الدين كمجرد دافع للحماة الحاملة لتحصيل
الاستقلال السياسي أو بناء الامبراطوريات . ١٠٢

ذلك جانب من جواب النحوي الصارح الذي الذي مارسه الدكتور لويس
في حديثه عن العقيدة الدينية لحال الدين الأفغان
وهنا سأل هل إذا حدثنا رجل عن «واند ظل الشجرة» كان
هذا الرجل . بالضرورة . مكرا لأصل الشجرة . كحقيقة
موضوعية ١٠٢ وهل استمتاع الإنسان «بالثمرة» يعنى وجوده بالشجرة
التي أثمرت هذه المرة ١٠٢ . وهل إذا تحدث الأفغان عن العائد السياسي
والخضاري والقومي للإسلام . بالنسبة للمسلمين في صراعهم ضد
الحضارة الغربية التي جاءت قافتحتهم عليهم ديارهم وجاهدت لطمس
معالم شخصيتهم القومية ونشوي ذاتيتهم الحضارية . هل إذا تحدث
الأفغان عن هذا الجانب من الإسلام . كان . بالضرورة . مكرا للدين

(٣) [انصاف] العدد ١٧ ص ٦٤

(٤) [انصاف] العدد ٣ ص ٧٠

إن تناول الإسلام ، كوصح إلهي ، والحديث عن عقائده ، كحقائق موضوعية ، والبحث المجتاهز في هذه المفولات الدينية ، قد سبق للأفغان وأقوامها حفيها قبل أن يكتب [الرد على الدهريين] عشر سوات ، في مصر كانت له ، أمل ، في علم الكلام الإسلامي تضعه في مصاف كبار فلاسفة الإسلام ! فهل إذا تحدث عن الإسلام الخصاري والسياسي والاجتماعي ، في [الرد على الدهريين] ، يكون منكرا للإسلام والدين ؟ ! أم أن الدكتور لويس كان يود للأفغان أن يطف عند حدود المباحث الكلامية ، و الصوفية . ثم يدع دنيا المسلمين ومبائستهم ولوميتهم وحضارتهم فريسة سهلة للحضارة العربية . فلا يشهر في وجه التعريب ، الهوية الإسلامية للذين تدبوا بالإسلام ؟ !

أعتقد أن هذا هو السبب الأساسي لتحميل الدكتور لويس لها يمه ليس ، تدبير ، الأفغان ، الذي يخصص له الحية يوم الحشر الأكبر ! وإنما الذي يمه أن لا يطف الإسلام الخصاري والتفاني والسياسي والاجتماعي في وجه الحضارة العربية التي يدين لها بالولاء ؟ !

• • •

إن الدكتور لويس مولع بتحرقة الأفغان إلى مراحل مصرة وهدية وعمدة وثني وتركبة الخ . ولذلك ، صحن عمادة لمبحة . مستقف أمام تفويجه لعقيدة الأفغان في المرحلة الهدية . . . لمرى رأيا في هذا التفويم . قبل أن تعرض لفكر الأفغان الديني . والذي ينقص اتهامات الدكتور لويس من الأساس

لقد رأيت تفويم الدكتور لويس لرمالة [الرد على الدهريين] . التي

آها المعلقة لطيفه الأفعان ورأساً حكمة على الأفقاني . من خلالها
وسمياً . بأنه « محدد » و « غير متدين » . وما المذهب عنه إلا : دافع
للسياهم اجاهلية لتحصيل الاستقلال السياسي أو «
الاميراطوريات » ١

لكن . يبدو أنه قد استعراً صيغ « المنجزة » . فبعد أن جعل
للأفعاني « مرحلة هندية » . مسمى « ليحري » عقيدته في ذات « المرحلة
افندية » الواحدة . بل وفي الكتاب الواحد - [الرد على
الدهريين] - ؟ ١ . لقد رأينا يحكم على الأفعاني . من خلال [الرد على
الدهريين] بأنه « محدد » ثم هاهنا . في مكان آخر من
« دراسته » . يحكم عليه . من خلال ذات الكتاب . بأنه « تقليدي
محافظ في تفسير الإسلام » ؟ ١ يقول . « لقد اختار الأفعاني في سنة
١٨٨٩ م . - هاتبا . الدفاع عن الموقف التقليدي المحافظ في تفسير
الإسلام . وحمل حملة شديدة على تحديد الفكر الإسلامي بالفكر العلمي
والفلسفي الذي عده الطريق المختصر إلى الزبدقة وإلى روعة الإيمان
الديني . وقد عبر عن كل ذلك في « الرد على الدهريين » وفي « مقالاته
الهندية » ١ ٢

وهنا سأل : كيف تكون رسالة [الرد على الدهريين] : « تعديداً -
أي كعرا ورصدقة ورعوة للايمان - وتكون هي ذاتها : « تقليداً ومحافظه في
تفسير الإسلام . ومعادلة للتحديد والزبدقة ورعوة الايمان » ١ ٢ كيف
يأتى ذلك التفوق لمن يحترم الحقيقة فيحرم عقول القراء ؟ !
إن الدكتور لويس يمر في هذا التناقض الصارخ والعرب عندما

يحكم على الأفعاني بأنه - من خلال [الرد على الدهريين] - قد أصبح
« عبثاً في الفكر » كما هو « عبثي في السياسة »^{٦٦} ، - [حسب دعوته
للإسلام السياسي والحامعة الإسلامية ؟ !] - فكيف تكون « العيبة في
الفكر » ، تحديداً ، ، باعتبارها المذكور لويس ؟ !

• • •

نحن لا زلنا في « المرحلة الحديثة » للأفعاني وحتى الآن صدر على
الرحيل ، من الدكتور لويس - أحكام متناقضات

● فهو « محدد » ، أي كما مر بأنه من خلال كتابه [الرد على
الدهريين]^{٦٧}

● وهو « تقليدي محافظ في تفسير الإسلام عدو للتجديد وللورثة »

من خلال [الرد على الدهريين] و [المقالات الصدية] !

لكن الدكتور لويس لا يقف عند هذا القدر من « التناقضات » بل
يمضي ليصدر على عقيدة الأفعاني - وفي ذات « المرحلة الحديثة » - حسب
ذات الأعمال المعكونة - أحكاماً أخرى بينها وبين بعضها أشد
التناقضات !

● فعند « التجديد » وعند « المحافظة والتقليد » يذكر أن

الأفعاني قد شق « طريقاً وسطاً » بين أهل الجور وبين المتمرعين
يقول : « يبدو أن الأفعاني حاول في كلكتا - [بالهند] - أن يفتح
لمسلمي الهند طريق ثالث ، وهو يفل هذا التفرع لموقع الأفعاني
الفكري عن « ثلث » ، الذي التقى بشاب هادي من أصحاب الأفعاني -
اسمه « مولاي أ م » - تحدث إلى « ثلث » عن التيارات الفكرية بين

(٦٦) [الصائم] العدد ١٥ من ٦١

مسلمى المد ، وكيف ، أن الأمير على وأصدقائه قد وصعوا أنفسهم خارج إطار المجتمع الإسلامى . يزعم الاعليرى وعاداه الاعليرى بها عد التظلم وحاجة المواى [علماء الدين] كانوا مسرعين فى المحافظة معاء الأفعلى بمكرة فوامها . الجمع بين إصلاح الإسلام والوحدة الإسلامية وهناك الآل كثيرون يدكرون على طرخته . ويعقدون فى موقف وسط بين هذين الحريين المتناصبين ..

إن الدكتور لويس يفل هذا التقوم عن ، ثلت ، ويعترف ، بتجمع الشان المعتدل حول الأفعلى . ورقصه طريق علماء الدين اعاطلين ، ومدرسة السيد ، أحمد خان ، الليبرالية . التى كانت تحدد تناقصها الأول مع التحالف الداخلى وليس مع الاستعمار البريطانى .

لكن الدكتور لويس لا يركى هذه « الوسطية » ، لأنها يعنى - كما قال الشان الذى تحدث إلى « ثلت » - « إصلاح الإسلام » ، أى تحديده ليكون البديل الحصارى للتعريب . و « الوحدة الإسلامية » أى [الجامعة الإسلامية] التى تجمع أئم الإسلام فى رباط تضامى يعيها على مواجعة الامبريالية والاستعمار . لا يركى الدكتور لويس هذه الوسطية ، بل يراها « معادلة صعبة » . تريد قبول حضارة العصر ورقض الاعليرى^(١٧) ، ١٢ .

وبن تسأل الدكتور لويس هل كان يريد لمسلمى العهد قبول الاعليرى كشرط لقضوهم ، حضارة العصر ، حتى تكون المعادلة سهلة ؟ ! . إنه واضح الانحياز لموقف « المتعربين » . من أمثال ، أحمد خان ، ، الدين ظرلجوا ، ورقضوا ، الموروث ، . وتعلقوا بأذيال ، الوائد الغربى ، بل

(١٧) [التماس] العدد ١٥ من ٦٥ . ٦٦ . ٦٧

هو أشد حياءً واحجازاً لهذا الموقف « الغربي » . لانعدام الصلات الى
نريضة هذا « الموروث » ؟ !

● وبعد الحكم « بالتجديف » و « بالمحافظة » والتقليد «
و « بالموسيقى » . يأتي حكم رابع للدكتور لويس . يقول . عن الأفعاي
- في ذات المرحلة الحديثة - « إن فكره يمثل « الإنسانية الإسلامية » -
[الهيومازم الإسلامي] ؟ ! .. فهو يورد فقرات من محاضرة ألقاها
الأفعاي في جامعة « البرت هول » . انتقد فيها إحكام المسلمين عن
الاستعانة من علوم العصر التي ازدهرت في أوروبا . على الرغم من
استمرارهم ترديد معولات أرسطو التي استعان بها أسلافهم . فهم يقلون
على « أرسطو » . وكأنما هو فظ من أقطاب الإسلام . ومع ذلك فإذا جاء
ذكر جاليليو ونيوتن وكلمر فالوا : هؤلاء كفار ! » .

والأفعاي هنا - وهذا عالم بلحظه الدكتور لويس - يقول للمسلمين
إن ما يحتاجه من الغرب ليس الفلسفة وإنما العلوم الطبيعية وتطبيقاتها
أما الفلسفة والثقافة والأفكار والاسانيات . فليتنا إليها هو الإسلام
وتراثه الثقافي والحضاري

ثم يخصي الأفعاي في محاضرته ليعول . « إن أبا العلم وأمه هو الدليل -
والدليل ليس أرسطو بالذات ولا جاليليو بالذات . والحقيقة فلنتمسح حيث
يرجع الدليل . وأولئك الذين يجرمون العلم والمعرفة . معتقدين بذلك أنهم
يصوبون الدين الإسلامي . هم في الواقع أعداء ذلك الدين . إن الدين
الإسلامي هو أقرب الأدبان إلى العلم والمعرفة . وليس هناك أي تعارض
بين العلم والمعرفة وبين أسس العقيدة الإسلامية . »

والدكتور لويس يعلق تعليقا إيجابيا على كلمات الأفعاي هذه

مقول : « والحق أن المرء لا يستطيع أن يقرأ هذا المعلق المتناسك . إلا
وبغف واحترام عيني أمام فكر الأفغان الساطع . الذي كان يمكن أن
يكون دعامة قوية من دعائم « هيو مازم الإسلامي » . واستكمالاً لتلك
الثورة الثقافية التي بدأها رفاعة الطهطاوي . »

وهنا وبعد هذا الحد . عر على الدكتور لويس أن يصمت . فيكون
قد قال في الأفغان كلمة حتى لم يصددها بتشكيك ولم يطمسها بتشويه
فغضب على كلماته هذه بقوله : إن الأفغان قد أفسدوا فكره الإنساني هذا
عندما « شغل نفسه بمصاحف السياسة ومصاحف الفكر السياسي التي
طمست في آثاره مبادئ الطوبى مازم . أو المذهب الإنساني . ولم تنس
للأخبار التالية إلا دعوته السلعية ودعوته الشيوعية » (١٨) ، ص ١٧

فإذا ما نخسا عن « مصاحف السياسة ومصاحف الفكر السياسي » التي
لا تعجب الدكتور لويس . وحدثناها متمثلة في تأسيس التمدن الحديث
على أصل إسلامية ، وإحياء الجامعة الإسلامية . كمرحلة لجميع شعوب
الشرق وعالم الإسلام في الصراع ضد الاستعمار ! .

على كل . لقد قال الدكتور لويس عن الأفغان - في هذا الموضع من
دراسته - وعن فكره في ذات المرحلة الهندية - إنه « إنساني » -
[هيو مازم] - بعد أن حكم على عقيدته وفكره بـ « التجديف »
وبـ « المحافظة والتقليد » وبـ « الوسطية » . ها هنا ، وحتى الآن قد
صدرت على الأفغان . من الدكتور لويس أربعة أحكام !

● أما الحكم الخامس فهو إنحائي . ونما يحمي للدكتور لويس - بعد
أن رأينا يحكم على الأفغان - من خلال مقالاته الحديثة - « بالمحافظة

والثقافة^(٩) - هاهو يحكم عليه - من خلال إحدى هذه المقالات الهدية
- مقال [فوائد الفلسفة] - ذاته : « إيمانى - تقدمى - حادى - وفيلسوف
احتجاجى من طراز عظيم »^(١٠)

لقد تحدث الأستاذ إلى أهل الخمود من معاصريه . الذين أصبحوا
قدراهم العقبة فيما لا عهد الأمة في صراعها ضد التحديات التي تطرح على
مستقبلها وتضيق على ذاتها الحناق . تحدث إليهم فقال : « لم تستخدمون
آراء هذه المفكرات الشائعة في حل معاسف المشكلات ؟ ومع ذلك فأنتم
لا تفكرون لحظة في هذا الموضوع الخطير الذى ينبغي على كل إنسان ذكى
أن يفكر فيه . ألا وهو : ماسب الفقر والعمر والبأس بين المسلمين ؟ وهل
هناك علاج لهذه الظاهرة . ولهذا الخطب الويل ؟ أم أنه لا علاج
لها ؟ » لما سئلت أوروب في أن امرأة لا يتفق حيائه كلها في حل هذه
المشكلة . ولا يجعل من هذه الظاهرة الخطيرة محور تفكيره إنما يصعب حياته
هنا ويتلقها . ولا يصح أن يلقب بفيلسوف . فالفيلسوف هو من يعرف
جوهر الأشياء . »

ها . عقب الدكتور لويس فأضف الأستاذ بقوله . هذه المواضع
المفكرية . عبد الأستاذ . لأشك كانت مواقف تقدمية في عصره . بل
هي تقدمية حتى في عصرنا هذا . لأنها تحمل حياة كل علم وكل فلسفة الرق
بالمجتمع البشري . ولا سيما بإلغاء العقر والجهل والمرض وضعف الإنسان
أمام الطبيعة وأمام أحبه الإنسان . هي فلسفة احتجاجية من طراز عظيم .
بل هي فلسفة جدلية . ترفض للعائد الإسلامى مافرضه فلاسفة النهضة
الرياسيس للعالم المسيحي من منطق العصور الوسطى^(١١)

(٩) [المصانير] العدد ١٥ من ٦٦

(١٠) [المصانير] العدد ١٦ من ٦٨ - ٦٩

لقد قال الدكتور لويس كلمة إصناف للأفعافى . لكنها جاءت في إطار
التناقضات الصارخة التي اتسمت بها أحكامه على فكره وسفيدته في
السنوات الثلاث التي قضاهاها ههنا . بعد مئة من مصر سنة ١٨٧٩ م .
وهي الأحكام التي مراوحت ما بين « التحذيف » و « المحافظة »
و « التقليد » . و « الوسطية » و « التقدمية » و « الاسامية » و « الحذلية »
و « الفلسفة الاجتماعية ذات الطراز العظيم » . ١٧

• • •

لكن هذا التناقض ، الذي اتسم به تفكير الدكتور لويس لصكر
الأفعافى في « المرحلة الحديثة » . على ما رأيناه به من انحياز واعتراء . هو
كما يكون عندما يقاس بالأفعافى الذي وجهه الدكتور لويس إلى العقيدة
الدينية الأفعافى فيما سماها « المرحلة المصرية » . فلتد ملع هياقة الاعتراء
عندما اتهم الرجل بـ « التزبدقة » و « الإلحاد » ؟ !

لقد نظر الدكتور لويس فيما كتبه ثلاثة من الذين ترجموا للأفعافى .
محمد عبده وأديب اصحق وسليم العسجورى فوجد الأول يتحدث
عن اعتقاد الأفعافى باعتباره « عالم الدين القويم الايمان » . ووجد الثاني
يصنفه مع « المفكرين الأحرار » أما الثالث - سليم العسجورى - فخلط
قال عنه ما معنى أنه « متعلق بملحد » . ففعل الدكتور لويس بهذا
الوصف الأخير ؟ ! وماذا العار الذي أوردنا العسجورى وقال فيها عن
حamal الدين ؟ . إنه قد مرر في علم الأدب حتى أقصى به ذلك إلى
الإلحاد والقول بقدسية العالم . زاعما أن الحرائم المحبوبة المنتشرة في العشاء
هي المكونة برق وتخوير طبيعي .

لقد كانت عبارة العسجورى هذه هي مظلة الدكتور لويس مدافع
عن العسجورى . وفيه ككل شبهة أو عرص يدعو إلى الاعتراء على

الأفعاني . ثم عقب قائلا : إن حدث الأفعاني عن تطور الفكر الديني قبل ظهور أديان التوحيد هو مما يستقيم مع العلم والدين معا . « وإنما يبدأ الإلحاد - [إلحاد الأفعاني] - حيث يبدأ الحداثة ، بتقديم العالم ، . وليس بحلقه . وحيث تسبب الصورة المخرقة لذات الله المطلقة في الزمان والمكان والوحد والصفات إلى عيال الإنسان ، وليس إلى إدراكه للحقيقة . سواء بالعقل أو من رسائل السماء ^(١١) . » ا

وحيث - قبل أن نسوق من أعمال الأفعاني الفكرية ما يبيح عنه هذا الإغتراف - وقبل أن نعرض رأيه في « قدم العالم وحداثته » ، وفي « القاب الإلهية » ، وفي « المسوة » ، وفي « الخلق أو التكوين الطبيعي والداني للكنائس الحية » - قبل أن نحلو للقارئ أولا . وللدكتور لويس ثانيا : رأى الأفعاني وعقيدته ، من خلال كتاباته ، الكلامية - الفلسفية - « - بود أن تقوم آراء سليم الصخوري وبمعناها ومصداقيتها ، ليعرف القارئ وربما ومقدار ما تستحقه من ثقة ، وخاصة إذا ما قوربت بأراء الأستاذ الامام الشيخ محمد عده ، أو أديب إسحق عن حال الدين - وذلك حتى يعرف القارئ لماذا رجع الدكتور لويس قول الصخوري عن أقوال محمد عده وأديب إسحق ا .

لقد كتب الصخوري ترجمته للأفعاني ونشرها في مقدمة دوائه [سحر هاروت] . ولقد أعاد وضيد رحبا نشر هذه الترجمة في الجزء الأول من [تاريخ الأستاذ الامام] . ونحن إذا تأملنا ما كتبه الصخوري عن حال الدين ملنا إلى إسقاط روايته ، كمصدر ثقة للتاريخ ، لأن روايته قد امتلأت بالأخطاء والأكاذيب والمعارقات - فعل سبيل المثال

(١١) [العاصم] العدد ٦ من ١٩ . ٧٠

١ - يقول المحجوري عن حطة الأفعافى في « دار الصور العنانية بالآستانة : إن الأفعافى قد « عالى فيها إلى حد أن أدمج الشدة في عدد الصنائع المعنوية » (١٢١)

والحقيقة غير ذلك . وكلام الأفعافى مشهور وموثق - وسيأتى إيراد بعد قليل - والذين ادعوا ذلك هم حصوم الأفعافى من شيوخ الآستانة الرحيمين . فالمنحصرى إما أنه قد نقل كلام هؤلاء الحصوم أو أنه فهم كلام الأفعافى منطلق اللاهوت المسيحي الذي تنفصه عقلانية الإسلام !

٢ - وهو يقول عن الأفعافى إنه دار مكة . لمدة عام . بعد معادته الآستانة . عقب أزمة محاصرة « دار القلوب » وليس هذا بصحيح . فلقد عاد الآستانة إلى القاهرة . كما يرغم المحجوري أن الأفعافى قد تعلم اللغة العربية عمكة في هذه الزيارة المؤحومة (١) . والثابت المتواتر الشهير أنه قد تعلمها في صماء . وأنه قد شرح للطلبة السوريين الذين كانوا يدرسون بالأهر بعض كتب البحر العربي في رايته الأولى لمصر سنة ١٨٦٩ م (٢)

٣ - ويقول المحجوري إن رياض باشا [١٢٥٠ - ١٣٢٩ هـ ١٨٣٤ - ١٩١١ م] قد أنزل الأفعافى حجرة في الجامع الأزهر - [أى أنه قد سكن في أزقة الجامع الأزهر] - وأنه - [أى رياض] - قد عين له راب مدرس بالأزهر .. والثابت تاريخياً أن الأفعافى لم يسكن بأزقة الأزهر . ولم يدرس فيه . كما لم يكن لشيخ الأزهر « روائف » في ذلك التاريخ ؟ !

(١٢) تاريخ الأستاذ الامام ج ١ ص ٤٤

٤ - ويقول المصحوري إن الأفعافى قد عاين مسكنه بالأحرى إن منزل « حارة اليهود » والثابت أن مسكنه كان في « حان الحليل » ، وليس في « حارة اليهود » ١

٥ - وزعم المصحوري أن الأفعافى قد أراد نقول مصر إلى « جمهورية » بتولى زعمائها ١ . وفصلاً عن تهاوت هذا الزعم . فإن رأى الأفعافى في « الحكم الجمهورى » معروف . فلفظ كان يرى أن بلاد الشرق لم تتباً لمثل هذا اللون من الحكم في ذلك التاريخ . فهو المائل « أما الحكم الجمهورى فلا يصلح للشرق اليوم ولا لأهله » ١٢١ ، ١

٦ - ويقول المصحوري : إن من الأفعافى من مصر سنة ١٨٧٩ م كان من طريق « بورسعيد » . والصحيح أنه كان عن طريق « السويس » ، ويقول إن حادم الأفعافى « أنوتراب » قد سجن بمصر . والثابت أنه قد بى معه ١

٧ - ويقول عن الأفعافى : إنه عندما أصدر العروة الوثقى « - باريس - « عاود الاستعصاك بالدين الحبيب » ١ . وكأنما كان الأفعافى في بلاد المسلمين لا يتدين . ثم تعاوده القدس في باريس ١ ٩

٨ - ثم إن المصحوري هو أقبل الثلاثة - محمد عبده . وأديب اسحق . وهو - صحة لحال الدين محمد عبده قد عاشه ولأرمه وكان أقرب الناس إلى فكره وحياته اثني عشر عاماً . أما أديب اسحق فلفظ صحبه لسنوات . على حين لم ترد صحة المصحوري للأفعافى عن لعام . فلفظ جاء إلى مصر سنة ١٨٧٨ م ولما لم يطق تحمل العمل السياحى والفكرى الذى كان يعوده حمال الدين عاد إلى مواعده في الشام ١

(١٣) [الأمان الكاملة لحال الدين الأفعافى] ص ١٧٩

٩ - وأخيرا فنقد راجع العنحورى نفسه . عثنا لقبه الامام محمد عبده في الشفاء ، وأوضح له خطأ قوله بإلحاد الأفعاني وبين له أن الأفعاني كان يورد حجج الماديين ليرد عليها . من غير المقبول أن نسب إليه هذه الحجج باعتبارها آراءه وعقيدته . فافضح العنحورى . ورجع عن اتهامه للأفعاني بالإلحاد ، وكتب نقدا لما سبق أن نشره خاصة بعقيدة الأفعاني . وأذاع هذا النقد على الملأ ، حتى لقد نشره بالمصحف السبارة - من مثل صحيفة [لسان الحال] وصحيفة [الحجة] - وذكر في هذا التصحيح أن المصدر الذي جعله يقول ما قال هو ما نقلناه ، عن بعض المصريين والسوريين . - فلم يكن الرجل كانا لما كتب أولا بآء على السماع المباشر من حناك الدين . كما هو حال محمد عبده . الذي كتب ترجمته للأفعاني بناء على ، طول العشرة وكان الحيرة ، فهو - بشهادة العنحورى ذاته . بل وبالملاحظة ، أعز أعملاء الحكماء الأفعاني ١ - ولقد أعلن العنحورى في تصحيحه لما سبق وكتبه عن عقيدة الأفعاني أعلى أنه ، لم يبق محل للريبة في كمال اعتقاد الأفعاني وجلاء بيقينه .^(١٤٤)

لكن الدكتور لويس لا يقيم وزنا لكل هذه الحقائق الناصحة الموضح إبه بتعلق الرواية المعبدة . الملبنة بالأخطاء والمفارقات ، ويعتمد على أقل المصادر ثثة وخمسة وعشرة للأفعاني بل وينشئ بالرأى الذي رجع عنه صاحبه ، وينقد نفسه على ابدائه ، وأذاع نقده هذا على الملأ من الناس ٢

ذلك هو الدكتور لويس في الموقف من الأفعاني وفي أي

(١٤٤) [تاريخ الاسماء الامام] ج ١ ص ٤٢ - ٤١

الفصايا ٤ . في الأخطر منها في الحكم على الصائير والصرائر والعلاقة الخاصة بين العبد ومولاه ..

وإذا كان هذا هو مكان الرواية التي اعتمد عليها الدكتور لويس في انهام الأفعاني بالزندقة وبالألحاد . فإن حظها الوافر من البهات - ورجوع صاحبها عنها - لا يجعلنا نكتفي بما قدمناه . إذ لابد من حلاء موقف الأفعاني - من خلال أعماله الفكرية وكتابه « الكلامية » - من الفصايا التي انتهج سبيلها الدكتور لويس بالزندقة وبالألحاد

لما هو موقف الأفعاني من : « قدم العالم أو حدوثه » ٥ . ومن مقولة « التكوين الذاتي والطبيعي للكانات الحية » ٦ . ومن « الدين ، كوضع إلهي وحقيقة موضوعية » ٧ . ومن « البوة » وعلاقتها بالحكمة - [الفلسفة] - ٨ . ما رأى الأفعاني في هذه الفصايا . انني هي - في الفكر الديني - أمهات في صدق التدبر ، وركائز في سلامة الاعتقاد ٩ .

● لم يقل الأفعاني « يقدم العالم » . بل قال « حدوثه » ! ورأيه هذا ثابت ومعلم وشهير . أو صحه بحلاء في مجلس علمه الذي شرح فيه أمهات كتب المطق والتصوف والكلام والأصول لتلاميذه . في السوات الأولى لإقامته محضر الناظر في تعليقاته على [شرح الدواني للعقائد العصبية] - وهي [التعليقات] التي تمثل نصا « كلاميا - فلسفيا » على المسوري . يضع الأفعاني في مصاف عظماء فلاسفة الإسلام - إذ الأخطر في هذه [التعليقات] - التي مرع الأفعاني من إملائها أو امر ذي الحجة سنة ١٢٩٢ هـ - أوائل سنة ١٨٧٦ م - والتي دواها محمد عبده - بعد موقف الأفعاني المحجج إلى « حدوث العالم » واضحا ومحددا وحليا وحاسما لا يحتمل التيسر أو العوض أو التأويل فهو - بعد أن عرض آراء الفلاسفة والمفكرين في هذه القضية - ص ٢٢٣ وما بعدها - أعلن انحياء

إلى جانب القائلين بحوادث العالم ، بما يستلزمه هذا القول من إيمان
 بأحاثي ، الذي أحدث هذا العالم بقول الأفعالي ، وأصغر أهل الحق
 على أن للعالم - الذي قد ثبت حدوثه - محددا أزليا . أمدا . لم يستطع
 وجوده في آن من الآيات الماضية . ولا يقطع في آن من الآيات المستقبله
 واستدل أصحابنا على ذلك بأن العالم مُحدث - بالفتح - وقد سبق دليله -
 وكل مُحدث فله مُحدث - بالكسر - بالضرورة ، إذ من البديهي أن
 المعدوم لا يوجد إلا بموجد ، فوجوده إما أن يكون ذاته ، أو ينتهي إليه .
 فيدور أولا يكون ذاته . ولا ينتهي إليه . بل يذهب حادثا عن
 مُحدث . لا إلى نهاية . فيتسلسل ، أو يسهي إلى ما ليس حادث . وهو
 القديم والدور باطل . بالضرورة . والتسلسل ، بالرهان . ثبت
 الثالث فالعالم ينتهي إلى مُحدث قديم . فهو أزلي . وما كان أزليا .
 استحال أن لا يكون أمدا .^{١١}

إيه . هنا ، يقطع حدوث العالم ومأمية . عن محدث أحدثه ومأمية .
 هو الله . سبحانه ، الأزلي الأبدى . هــين قوله المزعوم : تقدم العالم .
 وـ بالكون الداني للكانات الحيه ،^{١٢} الذي رحمه الدكتور
 لويس ؟^{١٣}

ليس من حق الدكتور لويس أن يتعطل بأنه لم يقرأ [تعقيبات]
 الأفعالي على شرح الدواقي للعقائد العصبية . ولا بأنه قد قرأها فلم يستطع
 فهم مقاصدها ، كنص إسلامي كلامي متخصص^{١٤} والكتاب لديه . قد
 أهديته نسخة منه مند صوات . وكان عليه أن يسأل أهل الذكر إن
 استعمل عليه فقه هذه المصوص^{١٥} . ثم . ماعذره . وهو الذي رجع -

(١٥) [الأفعال الكاملة حول الدين الأفعالي] ج ١ ص ٣٠١

كما يشرى ، دواسته ، - إلى رسالة [الرد على الدهريين] - ماعزود .
 عندما بنهم الأفغانى بالقول ، يقدم العالم ، و بالتكون الدانى والطبيعى
 للكائنات الحية ، . و [الرد على الدهريين] نصوص للأفغانى تفص
 هذا الاتهام من الأساس ؟ ! . من [الرد على الدهريين] يحرص الأفغانى
 لأراء الفاتلين يقدم العالم وشكون الحرائم بالتقى والتحرير الطبيعين
 يحرص لما بالتقد والخص والعيد . يقول : « وذهب مرنز آخر إلى أن
 الأحرام السماوية والكرة الأرضية كانت على هيئتها هذه من أول الآزال
 ولا تزال . ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات . وزعموا أن كل
 بدوة ساقا صديها فيها . وى كل نبات بدوة كاسية الخ . »

ثم عصى ليرد هذا المزعم بقوله : « وعمل أصحاب هذا الزعم عما
 يلزمه من وجود مقادير غير متناهية فى مقدار مناه . وهو من المخالات
 الأولية » .

وتصدد تكون الحرائم يحرص رأى الماديين يقول : « ولما كثفت
 علوم الحيولوجيا (طبقات الأرض) عن مظاهر العول يقدم الأنواع ، رجع
 المتأخرون من الماديين عه إلى القول بالحدوث . ثم اختلفوا فى بحثين

الأول - حيث تكون الحرائم النباتية والحيوانية . ذهب جماعة إلى أن
 جميع الحرائم على اختلاف أنواعها تكونت عندما أخذ النبات الأرضى فى
 النامص . ثم انقطع التكون بانقضاء ذلك الطور الأرضى وذهبت
 أخرى إلى أن الحرائم لم تزل تكون إلى اليوم . خصوصا فى حط الاسواء
 حيث تشد الحرارة . وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك
 الحرائم حياة سائبة أو حيوانية . ا .

ثم يخص الأفغانى فيفتد كل مذاهب الماديين والطبيعين والدهريين .
 بافضا « مزاعمهم » . ساحرا من « أوهامهم » ومن « مذهبيهم العاطل »

يستغرق «تعبده» هذا في أعماله الكاملة ست صفحات . بعد أن عرّض
مذهبهم في صفحات ثلاث^{١١٦} ١٩

فلم لم تلتفت هذه النصوص - في [الرد على الدهريين] - بطر الدكتور
لويس^{١٢} . أم ، ان ترى ، قد حذت بها الطبعة الانجليزية التي أحضرها له
الأمريكان في جامعة «لوس أنجلوس» . فحسن ما أحضروا له من أوراق
ليكتب ما كتب في حال الدين^{١٣} ! أم تراء قد قرأ هذه النصوص .
ومع ذلك مضى في رمي الأفعالي بالزندقة وبالإلحاد ، متقولا عليه وبأسا
إليه عكس الذي كتبه الرجل في [الرد على الدهريين]^{١٤}

وإذا كانت هناك حاجة لمزيد من التوضيح لرأي الأفعالي بصدده هذه
القضية - قصة وجود الخالق ، وانشاء الحياة والأحياء إلى «خلقها» ما
بأن في أعمال الأفعالي التفكيرية المزيد من النصوص - في نفسه لمذهب
الطبيعيين الماديين من أنصار دارون Darwin [١٨٠٩ - ١٨٨٢ م] ومذهب
النشوء والارتقاء ووحده أصل الأنواع ، يقول الأفعالي : «إن العبادة من
مذهب الطبيعيين» . إنكار الخالق . وإسناد الأعمال إلى الطبيعة . ولقد
قال دارون بالتص الواحد : «إن أرى أن الأحياء التي عاشت على هذه
الأرض جميعها من صورة واحدة أولية - نفع الخالق فيها سمة
الحياة» . ولكن قوله هذا لم يرق لعلماء الطبعة الماديين ، واتهموه
بالخوف من أهل ديبه ، وقالوا : إن قوله هذا يجعل المذهب بامضا . بل
نقصه من أساسه . فالمقطة الجوهرية هي «موجد سمة الحياة»^{١١٧}
هكذا حدد الأفعالي مواطن خلافه مع الماديين «العالم» عبده

(١١٦) [الأعمال الكاملة لحال الدين الأفعالي] من ١٣٢ - ١٣٩

(١١٧) المصدر السابق ص ٦٥٢

سُحِّلَتْ ، صَدَرَ عَنِ مَحْدِثٍ ، أَرُلْ أَيْدِي ، وَلَمْ تَتَكُونَ الْحَيَاةَ هِيَ وَلَا الْأَحْيَاءُ بِالنَّشْأَةِ وَالْتَحْوِيرِ الْفَاتِيحِينَ الطَّيِّعِينَ ، كَمَا رَعَمَ الْمَادِيُّونَ !

وَوَعَمَ أَنَّ الْأَفْعَالِيَّ قَدْ انْحَاوْ - كَمَا انْشَرَا - إِلَى الْقَوْلِ مَحْدُوثِ الْعَالَمِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَحْكَمْ ، بِالْكُفْرِ ، وَلَا « بِالرَّقْدَةِ » وَلَا « بِالْإِلْحَادِ » عَلَى الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الْعَالَمَ قَدِيمٌ . وَالرَّحْلُ كَانَ مُتَخَلِّقًا بِأَحْلَاقِ الْفَلَاسِفَةِ وَالْعُظَمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ أَسِيرًا لِنَعَصِبِ « الْخَوَارِجِ » وَلِنَعَصِيَةِ « حِجَابَاتِ التَّكْفِيرِ » ؟ ! ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَحْصَاوَةَ تَحْيِزَتْ بِالْعُقْلَانِيَّةِ ، حَتَّى لَقَدْ تَدَبَّثَتْ قُلُوبُهَا ، كَمَا يَعْلَفُ هِيَ الدِّينَ ، فَلَمْ تَعْرِفْ الْقَصَامَ الْحَادِي بَيْنَ عُلُومِ الشَّرْعِ وَعُلُومِ الْعَقْلِ وَهِيَ وَارِثَتْ تَرَاثَ فِكْرِي قَالٍ كَثِيرٍ مِنْ أَعْلَامِ فِلَاسَفَتِهِ وَمُنْكَلَبِي يَفْقَهُ الْعَالَمَ وَخَالِقَهُ قَدِيمٌ . أَرُلْ وَأَيْدِي . هَذَا الْعَالَمُ الْقَدِيمُ ! ! إِيهَا قِصَّةُ مَعْمَدِهِ وَصَعَةِ حَقًّا لِكَيْهَا مَطْرُوقَةٌ فِي فِكْرِنَا الْإِسْلَامِيِّ ، أَفَاصِلُ هِيَ اسْتِشْدَادُ وَإِعْجَابُ إِلَيْهَا الْمُعْتَزِّلَةِ وَاسْتَطْفَافُهَا فِي تَرَاثِهَا سَاءَ شَامِخٍ يَقْصِدُهُ الطَّالِبُونَ وَالْمُرَاصُونَ ^(١٨) ! .

لَمْ يَنْقُلِ الْأَفْعَالِيُّ كُفْرًا مِنْ دَهَبٍ إِلَى أَنَّ الْعَالَمَ قَدِيمٌ وَإِنَّمَا ، مَعْنَى . كَلَامِهِ - الَّذِي يَأْتِي دُرْسًا فِي أَدَبِ الْمَحَثِّ وَالنَّظَرِ وَالْخَوَارِجِ - يَقُولُ الْأَفْعَالِيُّ ، « وَاعْلَمْ أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ مَرَّهَتْ عَلَى حَدُوثِ الْعَالَمِ ، وَحَقَّقَتْ الْقَوْلَ لَهُ ، عَلَى حَسَبِ مَا أَدَّى إِلَيْهِ فِكْرِي ، وَوَقَّعِي عَلَيْهِ نَظْرِي . هَلَا أَمُولُ أَنَّ الْقَائِلِينَ بِالْقَدَمِ قَدْ كَفَرُوا بِمَذْهَبِهِمْ هَذَا ، وَانْكَرُوا بِهِ صَرُورًا مِنَ الدِّينِ الْقَوْمِ وَإِنَّمَا أَمُولُ بِاسْمِ أَعْطَاوَا فِي مَظْهَرِهِمْ ، وَلَمْ يَسْلُدُوا مَقْدِمَاتِ أَفْكَارِهِمْ ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِنْ سَلَكِ طَرِيقَ الْإِحْتِدَادِ ، وَلَمْ يَقُولِ عَلَى التَّقْلِيدِ فِي الْإِعْتِقَادِ ، وَلَمْ تَحِبْ عَصَمَتِهِ . فَهُوَ مَعْرُوضٌ لِلتَّحْطُّ . وَلَكِنْ

(١٨) انظر كتابنا [المادة والعقلية في فلسفة ابن رشد] طبعة القاهرة سنة ١٩٧١ م

خطأه عند الله واقع القول . حيث كانت حياته من سيوره . ومقصده من
تحقيق تطره . أن يصل إلى الحق . ويدرك مستقر اليقين . وكل من
اعتقد بالأكثوية الثامة . وره الحق عن جميع الفئات . واستفاد منها
محمد . صلى الله عليه وسلم . وما جاء به . ولم يكذب شيئا مما نقل عنه .
مع علمه بأنه قد نقل عنه . فهو مؤمن مانح . عدل وصفي عند الله تعالى
[لا يكذب الله رسلا إلا وسعها]^(١٩) وعلى المرء أن يسعى إلى الخير
جهده . فإياك أن تسبح سجع التعصب فهلك !^(٢٠)

وأصول الدين . عند الأفعاف . هي . الألوهية . والنسوة . والمعاد
وهو مددعا إلى قراميل « العقل » و « الفقل » وتعاونهما على تحصيل الإيمان
اليقيني بهذه الأصول . فكث يقول . بعد أن عرّض آراء الفرق المختلفة في
سبيل تحصيل الإيمان . . . والحق الذي ترشد إليه الشرع والعقل . أن
يدعب الباطن الشدين إلى إمامة الراهبين الصحيحة على إثبات صانع واجب
الوجود . ثم مه إلى إثبات السموات . ثم يأخذ كل ما جاء به السواب
بالتصديق والتسليم بدون فحص فيما نكته الألفاظ . إلا فيما يتعلق
بالأعمال . على قدر الطاقة . ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع
عقائده . بالبراهين الصحيحة . كأن ما أدت إليه ما كان . لكن هذه
التحرى والاحتياط . ثم إذا فاء من فكره إلى ما جاء من عند ربه . فوجد
بظاهره بلاغا لما حققه . فليحمد الله على ذلك . وإلا فليطرق عن
التأويل . ويقول [آتيا به كل من عند ربنا] فإنه لا يعلم مراد الله وسبه إلا
الله وسبه . . . ولا يدق كمال السعادة . وسبل السعادة الأبدية من أن يصعب إن
ذلك التحلى عن الرذائل . والتحلى بالأخلاق الكاملة . والأعمال

(١٩) النقرة ٢٨٦

(٢٠) [الأعمال الكاملة لحال الدين الأصناف] ج ١ ص ٢٨٠

العاصلة ومن ملك الأخلاق والأعمال - تكيل قوة البطر . وارتكاس
صريق العدل في كل شيء . إذ لا رب أن كل من حالف ما كان عليه
التي وأصحابه فهو في النار » ١١٧

ترى هل يمكن أن يكون هذا كلام من يرى أن الدين ليس إلا مجرد
مؤسسة اجتماعية وقومية . يحصر معها في دفع الجماهير الجاهلة لتحصيل
الاستقلال السياسي أو ساء الامبراطوريات ١٨ كما قال الدكتور لويس
عوض عن عقيدة جمال الدين ١١٩

وهل يمكن أن يكون هذا كلام من لا يؤمن بالدين كحقيقة
موضوعية ١٢٠

وهل يمكن أن يكون هذا فكر « محمد » و« ملحد »
و« رديق » ١٢١

لكن ما بالنا بلحاً إلى المسائل . ونطلب من القارئ أن يلحاً إلى
الاستنتاج وللأمانة نصوص واضحة وحاسمة في أن الدين وضع
إلهي - وهو تعريفه الأحص عند المؤمنين - يقول الأعماني . في هذا
الموضوع : أقول كلمة حق في الدين . ولا أظن منكراً بخبرها
الدين وضع إلهي . ومعلمه والذاعى إليه الخير . تلقاه العقول عن
المشربين المتدربين ، فهو مكتسب لمن لم يختصهم الله بالوحي ، ومقول
عهم بالبلاغ والدراسة والتعليم والتلقي . وهو عند جميع الأمم . أول ما
يخرج بالقلوب ويرسخ في الأذهان ويصنع النفوس بمقائده . وما يتمها من
الملكات والمعادن . وتتمرن الأبدان على ما ينشأ من الأعمال وما تطوعها
من العرائم والآفات . فهو سلطان الروح ومرشدها إلى ما تقديره يدها .

(٢١) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٢٩ ، ٢٢٢

وكأنما الإنسان في نشأته لوح صقيل . وأول ما يحط فيه رسم الدين ثم
يسعث إلى سائر الأعمال بدعوته وإرشاده . وما يقرأ على العروس من عرس
فإنما هو مآذو شاذ . حتى لو حرج مارق عن دينه لم يستطع الخروج عما
أحدثه فيه من الصعسات ، بل تبقى طبعته فيه كأنثر الخرج في الشرة بعد
الإنذمال ! ، (٢٢)

هكذا الدين ، عند جمال الدين .. وضع إلى وليس مجرد مؤسسة
اجتماعية وحضنة موضوعية مجردة . وليس مجرد عائد نفيس السعادة
على الفرد والمجموع . ولابد من تزامن العقل والفعل في تحصيل الإيمان
اليفي بأصوله ، التي هي : الألوهية التامة المشرقة . . والوحد .. والمعاد
مهل بعد ذلك حاجة للمريد من الإيضاح لفكر الأفعاني عن
الدين ٢٠ . وهل يوجد مع هذا الفكر - مجال لانتهام الرجل والتجديف
والزبدية والإلحاد ؟ ..

غير أن هناك جزئية من حزنات افتراء الدكتور لويس على عقيدة
الأفعاني لابد وأن نعرض لها محللو وجه الحق فيها . فالدكتور لويس لم
ينهم الأفعاني « بانكاره التنوع » وإنما انهمم بوصفها مع « الحكمة » -
[المسقة] - على قدم المساواة ، أو التشابه على أقل تقدير . ورغم أن
الأفعاني نعرض وجود التناقض بين الشريعة الإلهية التي تأتي بها الوعد ،
وبين العقل والحكمة المستعدين من قبل الحكماء . وانهم الأفعاني -
لذلك - « الزندقة » .. بل وذهب إلى أن « هذا النوع من الزندقة ليس
جديدا في الأفعاني ولا مستغربا منه ، ! ثم مضى في الافتراء فادعى أن

(٢٢) [الأعمال الكاملة لحال الدين الأفعاني] ص ٢٨٣

« محمد عبده » وسواء « قد قالوا إن هذا هو رأي جمال الغيس ١٢ .. (٢٣) »
 « ما هو وجه الحق في هذا الموضوع ؟ »

لقد بدأت الفصّة محاصرة الأفعافى عن « الصاعبات » وفلسفتها في
 « دار الفون » العثمانية ، بالآستانة في رمضان سنة ١٢٨٧ هـ - ديسمبر سنة
 ١٨٧٠ م .. وفي هذه المحاضرة تحدث الأفعافى عن دور كل من « البوة »
 و « الحنكة » في تحريك « جسم المساعدة الإنسانية » ، بعد أن تحدث عن
 « الصاعبات » باعتبارها الأعضاء لبدن المعبشة الإنسانية الحى . ولكن
 الرجل لم يباو بين « البوة » و « الحنكة » ، وإنما تحدث عن « الفروفي »
 ببها . فقال : « .. وعرفى بينهما بأن البوة صفة إلهية لا تناعا بد
 الكاسب . ينص الله بها من يشاء من عباده » . والله أعلم حيث يجعل
 رسالته . أما الحنكة فما يكسب بالعكر والبطر في المعلومات . وأن السى
 معصوم من الخطأ ، والحكيم يعرف عليه إعطاء . بل يقع فيه . وأن
 أحكام البوات آتية على ما في علم الله . لا بأنها الباطل من بين
 يديها ولا من خلفها . فالأخذ بها من مروض الإيمان . أما تراء الحنكة
 فليس على الدم مروض اتباعها إلا من باب الأولى والأفضل . على شريطه
 أن لا يخالف الشرع الإلهى .. » (٢٤)

لكن شيخ الإسلام العثماني ، حسن أهدى فهمي . انهزما فرصة
 للتشجيع على الأفعافى ، فرغم أن الرجل قد تحدث عن « البوة » كصفة .
 لأنه عرّض لها في محاضرة عن « الصاعبات » (٢٥) ! وحذفت ، لذلك تلك
 الأزمة التي صفت إشارتنا إليها

(٢٣) [التصانيف العدد ٥ ص ٦٩]

(٢٤) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج ٢ ص ٣٤٨]

أعلى شئون الدنيا مشرع لها « العقل » الإنسان « في صوره روحها » واما
 يحقق مصلحة مجموع الأمة « ويلتزم الزمان والمكان » هو « وجود » الشريعة ،
 الصالحة لكل زمان ومكان « لا يعني » العقل « الملائم لتطبيق روحها »
 وللتنشريع وفق مقاصدها « وللابداع في المبادئ والمشكلات التي لم تعرض
 لها بمصوصها تلك بدينية إسلامية وهي واضحة كل الموصوح
 لكن « لعلوا لمرى تعليق الدكتور لويس على تلك البدينية الإسلامية التي
 تحدث بها الأصفهاني في محاضره يقول في تعليقه « وهذا أيضا رتدقه
 بالنسبة لمن يعتقد أن أصول الدين والشريعة صالحة لكل عصر ولكل
 بيئة ، لأنه يدل على تعرض تناقضها مع العقل في بعض العصور وفي بعض
 البيئات ١٤ »

هكذا « مهم » الدكتور لويس ١١ « ثم عقبه « فقال « وعلى كل
 هذا النوع من الرندقة ليس حليفا في الأصفهاني ولا مستغربا منه ، ١٢ »

وفي اعتقادي أن المرء محتاج إلى « حلم العلماء » ، بل وإلى « صبر
 أبوب » كي لا يعصب ويثور من هذا الذي « فهمه » ولكنه الدكتور
 لويس !- إذا كان الحديث عن « الشريعة الإلهية » وعلاقتها « بالعقل » -
 كما يراها الاسلام ، من المباحث الصعبة على بعض الأفهام « فأصرب
 للدكتور لويس مثلا من حياتنا الحديثة والمعاصرة والمدنية

إذا كان وجود « الدستور » لا يعني عن ضرورة وجود « الفقهاء
 الدستوريين » - الذين يفهمونه ويعبرونه ويرعون تطبيعهم « فإن وجود
 « الشريعة الإلهية » لا يعني عن ضرورة وجود « العقلاء الحكماء » الذين
 يصممونها ويعملونها على شئون الحياة « ولما كانت الشريعة قد وقعت عند
 « الكليات » وشاغت بمصوصها على حين لم ولن تناهي المشكلات
 المستحدثة في الحياة « فإن وجود « الحكماء » وضرورة « العقل » للتنشريع

والإبداع مما لاصوص فيه هو ضرورى ، ومن ثم فلا تناقص بين
« الشريعة » وبين « الحكمة » ، وضرورة « العقل » لا تنفى حلول الشريعة
وصلاحيتها لكل زمان ومكان !

كذلك فإن وجود « الدستور » - الذى هو أبو القوانين - والقوانين
القوانين - لا يعنى إنكار ضرورة وجود « المشرعين القانونيين » ، الذين
يشرعون روح الدستور قوامى تحكم جزئيات الحياة ..

وبالمثل .. فإن وجود « الشريعة الإلهية » . لا يعنى إنكار ضرورة
« العقل » و« الحكمة » ، مما أداء المؤمنين بالشريعة إلى تطبيق روحها على
حريات الحياة !

والأعقابى . عندما قال ضرورة « الشريعة » و« العقل » ولربوم
« النبوة » و« الحكمة » ، إنما كان مسلما بعمى حقيقة الإسلام .. ومتدبرا أعمى
التدين .. بل ومتأسفا سنة النبى . صلى الله عليه وسلم . فهو الذى قال .
فى تعريف « الحكمة » - إنها « الإصاية فى غير السوء »^(٢٦) . كما قال
« الكلمة الحكمة صالحة المؤمن »^(٢٧) ! صدق رسول الله

فهل بعد ذلك مجال لانتهاج الأعقابى - « التحذيف » و« الرندقة »
و« الإلحاد » ؟ !

هل . بعد ذلك ، محال - يا عزيزى الدكتور لويس ؟ !

(٢٦) روى البخارى

(٢٧) روى الترمذى وابن ماجه

هل كان الأفغانى

إيرانيا ؟ .. وشعبيا ؟ .. بل وبابيا ؟ ! .

إذا تشبنا الدقة فإن « وطنى » حمال الدين الأفغانى هو كل « عالم الإسلام » ١ . فهو لا يشرق إلا إذا انشعب إليه جميعه . لا إلى إقليم واحد من أقاليمه . وبالمثل . فليس هناك فيما اعتقدت إيليم من أقاليم « عالم الإسلام » إلا ويشعره أن يكون له من شرف الأفغانى وعظمته حصة ونصيب !

ولبعد كان للجدل والخلاف حول « وطنى » حمال الدين . وهل هو إيران ؟ أو أفغانستان ؟ وكذلك حول مذهبه . هل هو الشيعة ؟ أم السنة ؟ لقد كان لمثل هذا الجدل أن يطل في إطاره الطبيعي والمفصول والمألوف معظماء الرجال ، عادة ، تتحداهم ويدعهم المذهب والأجناس والأوطان ٢ . وفي تراثنا العرق والإسلامى عشرات التواهد والأمثلة في هذا المقام

- فالإمام على بن أبى طالب [٢٣ قى هـ - ٤٠ هـ - ٦٠٠ - ٦٦١ م] والأنفة من سبه تتنازعهم العرق - كلامية وصوفية - بل وطوائف الحرف والصاعحات ٣
- والחסن البصرى [٢١ - ١١٠ هـ - ٦٤٢ - ٧٢٨ م] بشارعه المعترلة والأشعرية والصوفية ، وعمامة الزهاد ٤ .

● وكثير من علمائنا وأعلامنا نجد لهم مكانا في معاجم أعلام المذاهب
السنية في ذات الوقت الذي تختصهم ونردان بهم كتب الأعلام عند
الشيعة !

ذلك أمر مألوف في تراثنا ومارجنا . ولعل غيره من موارد الأهم
واحصارات

ثم إن الإسلام قد غدا لأهله جنسية ووطنا . وصار لكل طبع تعطفه
راية التوحيد حرم لا يتحرأ من وطن الموحدين . فهو قد أقام لأهله
أمية . صمت الأجناس واللغات والأقاليم التي دانت لله بالوحدانية
وصدقت بيوة محمد من عدا الله . عليه الصلوة والسلام

والإيرانيون إذا نعلفوا بحال الدين . وقالوا إنه من مواليد «اصد
آباد» . فقلنا لأن بشرهم به . فذلك مفهوم . حتى وإن حالفهم
آخرون . وكذلك الأفغانيون . إذا هم قالوا «لي هو من مواليد «أصعد
آباد» الأفغانية . فذلك مفهوم . حتى وإن اختلف معهم الإيرانيون !

وكذلك «السنة» . إذا قالوا إنه من «الشيعة» . إذا قالوا
لقد كان على مذهبا كل ذلك مفهوم . والخلاف فيه مألوف
ومتروك ! .

أما الرجل . فلي يعبه أن يكون إيرانيا أو أفغانيا . ولن يقتص من
قدره أن يكون شعبا أو سنيا . لأنه «سلم» نشرف به كل أقاليم الإسلام
وجميع مداخله . كما شرف عالم الإسلام وبشرف بالأعلام البارزين من
السنة والشيعة . أفغانيا وإيرانيا . وهما وراء إيران وأفغانستان !

لكن الذي جعل قضية الخلاف حول «الوطن» الذي ولد فيه حال
الدين الأفغانى وحول «المذهب» الدينى الذى نذهب به فأبعد بعدا

آخر . أخرجها من هذا الإطار المألوف . هو أن الذين ادعوا إيرانيته وشيعيته قد أرادوا . من وراء هذه الدعوى . إثبات «كذب» الرجل فلقد قال عن نفسه إنه أفعاني . ويطفت أفكاره وكلماته بأنه سبي . ثم جاء منادى الادعاء بأنه إيراني شيعي من خصومه وخصوم دعونه النحديدية التحريرية - في السوات الأخيرة من حياته - وهي نافي اليوم . أساسا . من الذين يتأصبغونه العداء . باعتباره الزمر والرائد لحركة الصحوة الإسلامية . التي بكرهون ^{١٩}

فالقصد الأساسي من وراء دعوى إيرانيته وشيعيته ليس إضافة محدد وشرفه لتختص بها إيران والشعبة الاثني عشرية - ولو كان الأمر كذلك لما استنحفت القضية بقاضا - بل ولما كان هناك قضية للفقاص ! وإعنا المقصد هو هدم «الرجل» - الزمر . ومن ثم فإنها دعوى معادية لتراث إيران المسلمة . وللمحمد الشيعة الاثني عشرية . كما هي معادية لتراث أفغانستان المسلمة وللمحمد المذهب السني لأهلها معادية . في الأساس . «للرجل» - الزمر ، الذي يعتر به الجميع !

تلك هي الوضعية التي جعلت ونجعل «حسبة» الأفعاني ومذهبه «قضية» يستحق البحث الذي يحمل روحه الحقيقة فيها للمعارض العربي والمسلم . من كل الأقاليم وجميع المذاهب وسائر القوميات

كذلك . فإن موطن الخلاف وموضع الجدل محدد ومحدود في «موطن» ميلاده .. وفي «المذهب» الكلامي الذي نذهب به أما «الوطن» الذي تعلق به الرجل ، وناصل في سبيله فهو - كما قلنا - كل عام الإسلام فهو - كما يقول الشيخ مصطفى عبدالعزاق [١٣٠٢ - ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م] - : «لم يتعلق ببلد من البلاد على أنه وطن . ولم تدخل فكرة الوطنية . بهذا المعنى . في مذهبه الاحتجاجي

والعلماء الشرقية الإسلامية حب في نفسه يظلمها جميعا^١ وعندما
تحدث الأفغان عن «مواطن» اهتمامه ، التي وصفها حياته الصالية .
تحدث عن الشرق كله . فقال . «الشرق ! الشرق !» لقد حصلت
جهاز دفاعي لتفحص ذاته وتحرى هوائه^٢ . ثم أخذ يعدد بلاده .
ذكر أفغانستان والهند وإيران وجزيرة العرب والصين . وبعد
العراق والشام ومصر . والأندلس وكل صقع ودولة من دول
الإسلام^٣ .

~ * ~

ومن الطبيعي - الذي اسمر عليه الباحثون وتعارفت عليه مناصح
المؤرخين - أن المصدر الأول في «الترجمة» هو ما قال صاحب هذه
«الترجمة» - إذا لم تقم الأدلة الوثائق بالشكك فيما قال - وخس
الخط فإن حياته الدين الأفغاني . ومع كل الإثمة والأعلام والعلماء الذين
حاصروه وحاصروا من بعده فأرخوا حياته . قد أجمعوا على أن «الموطن»
الذي ولد فيه هو قرية «أسعد آباد» الأفغانية . إحدى قرى مقاطعة
«كدر» بالقرب من «كابل» عاصمة أفغانستان

● حياته الدين . عندما تحدث عن حياته الصالية . وعن اهتماماته
قال . «لقد تطرت إلى الشرق وأهله . فاستوفيت الأفغان . وهي أول
أرض من جسد لوانا ، ثم الهند - وفيها تنعم عقل - فإيران ، بحكم
الحوار والروابط . وإليها كنت صرحت بعض همتي . فجزيرة العرب . من
حجاز مهبط الوحي وشرق أنوار الحضارة . ومن بين وتناعبها وأهياها

(١) مقدمة طبعه بمجموعة [بحريرة الباق] من ١٤ صعد العامه سنة ١٩٢٧ هـ

(٢) [الأعمال الكاملة للشيخ الرئيس الأفغاني] من ٢١٥ - ٢٩٦

حمير فيها . و نجد . و عراق و بغداد و هاروما . و عأموها . و الله و دهاة
 الأمويين بها . و الأندلس و حمرانها . و مصر و روح الممالك الإسلامية و باب
 الحرمي الشرعي . وهكذا ، كل صقع و دولة من دول الإسلام في
 الشرق ^(٣)

في هذا النص يعدد الأفعلى أن أفعاستان « هي أول أرض من
 حسمه ترابها » فهي « الموضع » الذي ولد فيه « من ثم فهو ، أفعلى ،
 بشهادته هو . كمرجع أول في الترجمة . و مصدر أوثن في التأريخ

و في نص آخر ، يتحدث جمال الدين عن سيره الذاتية . يقول - في
 معرض المسائل عن حدود و سعة كتابته - أو إملائته - هذه السيرة
 الذاتية - يقول « وأى يقع لي بذكر أبى و لدت سنة ١٢٥٤ هـ .
 و عمرت أكثر من نصف عصر . واضطرت لترك بلادى « الألفان »
 مضطرة لتلاعب بها الأهواء والأغراض ، و أكرهت على مبارحة احد .
 و أجدت على الانتعاد عن مصر . أو إن شئت فعل بقيت بها . و من
 الآساة ، و من أكثر عواصم الأرض ! ^(٤)

في هذين النصين يقطع الرجل بأن أفعاستان هي موطنه الأصلي .
 و أن إيران هي حارة موطنه . تربط بينها الروابط

● و كل الأعلام الذين أبحوا حياته . المعاصرون له منهم
 و الملاحضون . سرنا كانوا أو عجمي ، مسلمين كانوا أم غير مسلمين - باستثناء
 من جعل حصوه الرجل . بدلا منه . المصدر اللغة في البليغ له - كما

(٣) المصدر السابق ص ٢٩٥ . ٢٩٦ . ٢٩٧

(٤) المصدر السابق ص ٥٣٧

سمعت القول فيه وفيهم بعد قليل - قد أجمعوا على أنه «أعدي» المولد
والشاة».

«الإمام محمد عبده» وهو العمدة والحيمة الثقة في التأريخ لحال
الدين» يقول - «إنا لنذكر محمداً من حمرة» برويه عن كمال الحيرة
وطول العشرة هذا هو السيد محمد جمال الدين من بيت عظيم في بلاد
الأقطار ولد السيد جمال الدين في قرية «أسعد آباد» من قري
«كرو» من أعمال «كابل»^(٥).

ومع محمد عبده» في هذه القضية» اتفق رشيد رضا» وحسن
الس» وعبد الحميد بن باديس» وعبد القادر المغربي» ومحمد باشا
اعروسي» وشكيب أرسلان» وعبد الله النديم» ومصطفى عبد الرزاق»
وأديب اسحق» ومحمد الفاضل بن عاشور» ومنم نقاش» وصليم
الصحوري» وحرشي زيدان» ومحمد المولحي» وإبراهيم اللقاني»
وإبراهيم المنبأوي» وسعد رغبول» ومحمد إقبال» وعلم العقاد»
وأحمد أمين» وعبد الرحمن الرافعي» ومالك بن بي» والذكتو محمود
قاسم» والفيكونت فيليب دي طراي» وجمهرة علماء وأعلام العرب
والمسلمين الذين أرحوا لحال الدس أو عرصوا لسيرته بما كتبوا عن تحديد
الإسلام

وكذلك صرح أغلب المستشرقين من «بلت» إلى «ريانه» - إلى
«جولدمير» - إلى «سارلر أدامر» - إلى «لوتروب ستودارد» - الذي
قال عنه «إنه أعاني الأرومة» - لا هارسي»^(٦) إلى المستشرق

(٥) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٢ ص ٢٤٤ ٢٤٥

(٦) [حاضر عالم الإسلام] ج ١ ص ١ ص ٣٠٥

السوفيتي «لونسكي» . صاحب كتاب [تاريخ الأقطار العربية الحديثة] الحج . الحج .

هذا هو الإجماع . إجماع العلماء والمؤرخين والمفكرين على «أفعالية» جمال الدين .

لكن الدكتور لويس عوص - كما هي العادة - جاء ليروى هذا الإجماع . لأن «إبراهيم» الأفعالي - التي «لها» - أحد إليه من «أفعاليته» - التي أجمع عليها العلماء والمفكرون والمؤرخون - وإنما يظهر الرجل عظمه «الكاذب» . الذي حذر العالم أجمع عندما أحو «إبراهيم» . «شعبته» . ولوهم الجميع أنه «سبي» من «أفعاليته» .^١

ولقد كان لابد للدكتور لويس . وهو يروى إجماع العلماء والمفكرين . من أن نجد اسمه مراحع أخرى عمر أفعالهم العظيمة . فكان صريحاً عندما قال لنا إن مراحعه هي تقارير الخواصيس التي صممها الملقات السرية لأجهزه الأمن والاستخبارات في حواصم الاستعمار التي حاربت جمال الدين .^٢

قال الدكتور لويس في «دراسته» عن الأفعالي : «لقد أوهم كل من عرفهم . في مصر وأوروبا . أنه أفعالي المولود والنشأة . فلا نجد إشارة إلى إبراهيم إلا في الملفات السرية الأوروبية . وفي حوارات السر التي كان يزود بها فتاصل إيران . وهي مصورة في الوثائق البريطانية» .^٣

ورغم أن الدكتور لويس ناقل لوحية المظهر هذه عن الكتابات الاستشراعية الحديثة . التي كتبها صهيبة وأنشاء صهيبة . والتي أُنشئت إلى

(٢) [المعاصر] لعدد ٦ من ٦٨

قيمتها عند تقويمها لفيفة ، المصادر التي استند إليها في دراسته ، و عم
السلوك الذي يبدو في موقف من يأتي لعرض المصادر التاريخية التي كتبها
العلماء والمفكرون والمؤرخون وتقارير الخواصيس وعلقات أجهزة الأمن
والاستخبارات الاستعمارية . رغم كل ذلك فإننا سمحنا لسطر فيما استند
إليه الدين قللوا « بايرانية ، حمال الدين . ليرى هل هذه « الأوراق » حط
من الصدق بحكمها شبه من الاحترام]

في دراسة الدكتور لويس هناك تركيز على « أوراق » أربعة تقول إن
حمال الدين ليس أفعاليا أو تشكك في أفعاليته . ينصر في هذه
« الأوراق » .

١- « الورقة الأولى هي ذلك » التقرير الذي كتبه موظف في حكومة
كابول سنة ١٨٦٨ م كان يعمل حاموسا لحساب الأخير . التقرير بعنوان
[سجل بأوصاف السيد الرومي] ^(٨) وكما سنرى وتعدنا عن هذا
التقرير . فليس فيه ما يدل على أن المعنى به هو جمال الدين . فهو يتحدث
عن « سيد رومي » . أي « شريف تركي » . وهذا باقصر . لأن « السيد »
هو العرف من آل بيت الرسول . عليه الصلاة والسلام . ولا يمكن أن
يكون « التركي » عربا من آل بيت الرسول ! ثم إن هذا التقرير يصف
« السيد الرومي » سنة ١٨٦٨ م بأنه « حكيم التركية بطلاقة » . ومبروهـ
كما ذكر الدكتور لويس - أن حمال الدين عندما زار الآستانة - بعد ذلك
التاريخ - لم يكن باستطاعته أن يبقى محاصرتة في « دار العيون » بالغة
التركية . لأن معرفته باللغة التركية كاسب باقصة ^(٩) . فكيف هذه العاصمة
انتهى ألفاها في سنة ١٨٧٠ باللغة العربية ^(٩) ثم أليس من المدهش أن

(٨) [التمام] العدد ١ ص ٤٤

(٩) [التمام] العدد ٥ ص ٦٧

يكون كاتب التقرير - وهو أفعاني الجنسية - أقدر على اكتشاف «إيرانية» من يتحدث عنه - إذا كان إيرانيا - والأفعانيون والابرتانيون أبناء أرومة واحدة ، ومتحاورون ، يتكلمون لغة واحدة - من قدرته على اكتشاف «روميته» - محالته وتركيبته - ؟ !

إن هذه الورقة ليس فيها ما يدل على أن المعنى بها هو الأفعاني وما بها من أوصاف لا يطرق عليه .. ثم إنها تتحدث عن «رومي» وليس عن «إيراني» فهي ساطعة - بكل المقاييس - من قائمة الأوراق التي يسوقها أصحابها للتدليل على «إيرانية» جمال الدين

٢ - والورقة الثانية هي «تقرير لخاص من آخر حكومة عهد الانجليزية . يطن أنه أفعاني ، مشير في «موجز وثائق كابل» - وحط هذه الورقة من الاختصاص بالأفعاني كحط سابقها فهي الأخرى تتحدث عن «الحاج السيد الرومي»^(١٠) وليس فيها ما يدل على أن المعنى هو جمال الدين^١

٣ - أما الورقة الثالثة ، فيشير إليها الدكتور لويس بوليه ، إن متصل إيران في القاهرة وود الأفعاني في يوليو سنة ١٨٧١ «حوار صفر إيراني لورد به استاذون [والحوار مصور في وثائق وزارة الخارجية البريطانية] مما يوحي بأن الأفعاني ، رغم انحلاله لقب الأفعانية ، كان محافظاً على طبيعته الإيرانية»^(١١)

وهذه الورقة - حوار الصفر - تحتج بما وثقة ، تكشف فيها مثلاً باقي الأوراق التي تساق للدلالة على «إيرانية» جمال الدين

(١٠) [المباين] العدد ٣ ص ٧١

(١١) [المباين] العدد ١٥ ص ٦٤

ويافق دى بده . فبحسب نقول . إن حصل الإنسان المتكبر والمناصل
لحوار سفر من دولة ما لا يهتص دليلا على أنه من مواليد تلك الدولة بأى
حال من الأحوال . فهكيتون من الذين تسوء علاقاتهم بموطنهم الأصلي .
والذين يهاجرون ضد العظم السياسية السائدة إلى مواطنهم الأصلية يحملون
حوارات سفر مستحرجة من بلاد أخرى . دون أن يكونوا مواطنين فيها .
فصلا عن أن يكونوا من مواليدها ١٢ . ذلك أمر تهير وكثير ١

ثم إن لديها على هذه « الورقة » - حوار السفر - الذى لم يقدم لنا
الدكتور لويس صورته . ولكنها نقدها عن [دائرة المعارف الشيعية
الإسلامية]^(١٢) . وألحاصها بدراسة هذه ليرى فيها القراء ما رأياه بها من
أولة التزييف ! - إن لديها على هذه « الورقة » ما يثبت أنها « مبرورة
ومرجحة » . أو مقطوعة الصلة بحال الدين الأفعاني ١٢ . فهو

(أ) مكتوبة بالعربية . ومقطوعة بالمصعة . والاسم المستحرجة له -
وهو مكتوب بالقلم - هو . « السيد المحترق جمال الدين » . وليس في
التذكيرة ما يثبت أن جمال الدين هذا هو جمال الدين الأفعاني ١٢ . ولقد
كان الأفعاني أحرص ما يكون على ذكر لقب « الحسين » عقب اسمه « جمال
الدين الحسينى » . فلقب « الحسينى » كان عنوان انتساب جمال الدين إلى
آل البيت . ولقد كان الرجل - كما يقول محمد عبده - « محورا بهذا
القب » لا بعد لبعده مربة أرفع ولا عرا أصح من كونه من صلالة ذلك
البيت الطاهر .^(١٣) فما الذى يثبت أن هذه الورقة مستحرجة لجمال
الدين الأفعاني ؟ ! ولم لا تكون حاصلة بآخر اسمه جمال الدين ١٣ !

(١٢) صحتها الأستاذ حسن الأمين . طر النقطة التى ح ٦ ص ١٤

(١٣) [الأهمال الكاملة للإمام محمد عبده] ح ٢ ص ٣٥٢ . ٣٥٣

(ب) في هذه «الورقة» ، وأسفل الاسم . عبارة «متوجه إلى
 الإسلامبول» . الأمر الذي يعنى أنها قد استجرت ، حوار مصر ، «تذكره
 مروة» له «جهن الدين» المتوجه إلى عاصمة الدولة العثمانية «إدنا علمنا
 أن تاريخ استعراج هذه «التذكرة» - كما هو ثابت عليها - في أسفها -
 هو : «في يوم السبت ١٣ جاد أول سنة ١٢٨٨ هـ» . ونحن في سيرة حال
 الدين الأفعلى من حالة في ذلك التاريخ ، ماكد لنا أن لا علاقة للأفعلى
 بهذه «التذكرة» . التي إما أن تكون «مزيفة» . أو خاصة بآخر يحمل اسم
 «جمال الدين» ! . من ذلك التاريخ - ١٣ جاد أول سنة ١٢٨٨ هـ -
 وهو القى يوافق ٣١ يوليو سنة ١٨٧١ م - كان الأفعلى قد استقر بمصر .
 التي حادها في أول محرم سنة ١٢٨٨ هـ (٢٣ مارس سنة ١٨٧١ م) . وهو
 قد جاء مصر ، في ذلك التاريخ ، متعباً بأمر صادر من الصدر الأعظم
 وبإرادة سلطانية من السلطان عبدالعزیز . والمعركة صده كانت لا يزال
 قائمة في الأستانة . ولجنة من هيئة كبار العلماء لا زالت تفتش لتؤلف
 ضده الكتب وتصدر الفتوى بأنه «مرتد يجب قتله إذا لم يتب» عن آرائه
 في محاصرة «دار الفول» ! . فهل من المفعول أو المقول أو التصور أن
 يستخرج الأفعلى حوار مصر بإيراف ليذهب إلى «إسلامبول» في ذلك
 التاريخ ، وفي ظل تلك الظروف والملايسات ؟ ! . ثم إن الثالث . في
 سيرة الرحل ، أنه قد لارم مصر لم يعادها ، لا إلى «إسلامبول» ولا إلى
 غيرها من حادها متعباً من الأستانة حتى بقى منها سنة ١٨٧٩ م

(ج) ثم إن الرجوع إلى حسابات الشهور القمرية يوجه إلى هذه .
 «التذكرة» طبعاً جديداً «بالترتيب والترتيب» . هي تقول إن يوم الثالث
 عشر من جاد أول هو يوم السبت . بينما كان هذا التاريخ موافقاً ليوم
 الاثنين . فلتبدأ شهر جاد أول . ذلك العام ، يوم الأربعاء - ١٩ يوليو

سنة ١٨٧١ م - ١٣ أيار سنة ١٢٨٧ هـ فبطية^(١٢) .. ووجود طاري يومين بين حسابات الشهر الثالثة وبين ما في «الذاكرة» يقطع طريقها ونهايتها وهو ليس بالعرف الذي يمكن أن يعزى للاختلاف - بسبب الاعتقاد على رؤية الخلال - بين «الواقع والمطالع» وبين «الحساب العلكي» للشهور . فذلك الاختلاف لا يتعدى اليوم الواحد . عادة ، عندما يحدث ، ثم يعود الاتفاق في الشهر التالي ..

(د) وأيضاً . فإن كل الذين قالوا ويقولون «إيرانية» حيال القدس ، قد عللوا انتمائه إلى أرمينيا ، واشبهوه بالأفعان . عللوا ذلك بأن الرجل كان حريصاً على إبقاء «إيرانيته» ليجني «ثبعته» . حتى يستطيع أن يلعب الدور الذي أراد في إطار العالم السني . فإذا أخذنا منطقهم هذا ، كان من حقنا أن سألهم . هل يشق مع هذا المنطق أن يستخرج حيال القدس حواراً مع إيراني ليذهب به إلى أملايول ، عاصمة الإسلام السني والحلقة السنية ، في تاريخ كانت المعركة قائمة على أشدها بين وبين شبيحة الإسلام السني ١٩ .

هل هذا معقول . يا عزيزنا الدكتور لويس ١٩ .

(هـ) وأخيراً . فإذا كان الأفعان قد حمل في سنة ١٨٧١ م حوا . سمر يشن إيرانيته .. وأنه كان في ذلك التاريخ - وهو عبارة الدكتور لويس ، محافظاً على حسنيته الإيرانية . فلم ظل الجميع ، في الشرق والغرب ، يصنفون «أفعان» ١٩ . ولم لم يظهر دعوى «إيرانيته» إلا في سنة ١٨٩٦ م ١٩ .

(١٢) انظر شرح ذلك العام في [كتاب التبعيات الإسلامية في مقارنة التواريخ المحررة بالنسبة واللاتينية] ص ١٣٣٦ - وهو من تأليف محمد مختار باشا المصري - الطبعة التي حفظناها بروم سنة ١٩٨٠ م

إن من «يرخص على حسبته الإبراهيمية» ومن تحصل «حوارات صغر
إبراهيمية» ، ليس هو الذي يحق إرمايته . وليس هو الذي جمع الناس على
تصديق انتسابه إلى أفعانتان . هذه الأوراق - على عرض صحتها -
ليست خاصة بجمال الدين !

٤- أما الورقة الرابعة ، يقول الدكتور لويس : «إمّا» رسالة في
الصناعات» . من تأليف الشيخ أحمد الأحبالى ، سمحها جمال الدين
بيده أيام إقامته بغداد ، ووقعها - كتاب - بإمضائه . جمال الدين
الحسيني . ويذكر الدكتور لويس أن الأفعاني وضع كلمة «الاستانول»
بعد اسمه وأن هذه الكلمة قد شطت ، ووضع عليها - بالخر الأحمر -
كلمة «الكاول» - سبة إلى «كاول» - عاصمة أفعانتان - كما أن كلمة
«بغداد» قد شطت هي الأخرى واستبدلت بكلمة أخرى غير مقروءة .
ثم يعبر الدكتور لويس على هذا الموصوح بقول - بعد أن سب عمليات
الشطب والاستبدال إلى الأفعاني - يقول : «وهكذا بدأ جمال الدين
الأميد آمادي الإبراهيمي» . لأمر ما ، يحق مشاء الحفيظ وشغل حسبة عبد
جيسيه» (١٥)

ولو كان الدكتور لويس على دراية «بالمخطوطات» وما يصح «السياح»
بها . ولو استشار أهل الذكور من ذوي الدراية «بالمخطوطات» لثبت هل أن
يقول ما قال ، ذلك أن المتصور ، من خلال كلامه ، أن الأفعاني قد وقع
على المخطوطة - كتاب - باسمه «جمال الدين الحسيني» - كما كانت
عادته في التوقيع - ثم جاء القراء للمخطوطة فثاروا . كل منهم يرى أن
يشرف موطئه نسخة جمال الدين إليه . فالعدادي منهم قد كتب

«العدادى» - ثم جاء من شطب ما وجد وكتب «الاستاموى» - ثم جاء من شطبها وكتب «الكابولى» - هذه أمور مألوفة من القراء الذين يبحثون لأصهم العث بالمخطوطات - وحرام أن تتخذ هذا «العث» سبيلا إلى ما هو أشد به في تاريخ الرجال ؟ ١ .

ملك هي «الأوراق» الأربع التي ضمتها «الملفات السرية الأوربية» - التي اعتمد عليها الذين ادعوا «إبراة» جمال الدين - وهم الذين تعهم على درهم هذا ، الدكتور لويس

لكن هذه «الملفات السرية الأوربية» قد ضمت تقارير أخرى وأوراقا كثيرة ، كتبها سامة وقاصيل وصحفيون - وأيضا حواسيس - قالت إن جمال الدين : «أعاقى بالمولد والمشاء» - ولقد جاء ذكر هذه التقارير والأوراق في دراسة الدكتور لويس - فلم لم يغف عنها ؟ ولم لم يقرن بينها وبين «الأوراق» الساقطة المتباعدة التي اعتمد عليها في تقرير «إبراة» جمال الدين ؟ ٢ .. على الأقل فإن التقارير والأوراق التي تقول إنه أعاقى - كانت تتحدث صراحة عن الرجل - عن جمال الدين - ولم تكن تتحدث عن «السيد الرومى» ، ذلك المجهول ؟ ٣ .. ثم إنها محفوظة في ملفات المباحث وأجهزة الأمن والاستخبارات ووزارات المستعمرات في عواصم الاستعمار ، ومن ثم فإنها من النوع الذى يحظى باحترام الدكتور لويس حتى يسمحوا «وثائق» ١ - فلم لم نمر انشاهه لهذه التقارير والأوراق - من مثل

(أ) تقرير «السير فرانك لاسيلز» - فصل اخذوا العام في مصر - الذى كتبه لوزير خارجيته اللورد سالسورى ، عن جمال الدين الأفغانى ، بتاريخ ٣٠ أغسطس سنة ١٨٧٩ م ، بمناسبة تولى الأفغانى من مصر - وبعبارة يقول : «أبلغنى الأمير توفيق أنه قد به - مدة فترة - إلى نشاط رجل أفغانى

أحمد جمال الدين ، يحرص الشعب على الثورة . (١٦)

(ب) رسالة مراسل ، التاعمة بالقاهرة لحريته - التي كتبها في ٢٠ أغسطس سنة ١٨٧٩ م ، والتي نشرت في ٣٠ أغسطس سنة ١٨٧٩ م وهذا المراسل قد عرف الأفعاني عن قرب ، وفيه . وأخرى معه حديثا لحريته .. وهو يتحدث عنه . في هذه الرسالة . فيقول « للهو . بالبلاد ، أفعاني من كابل . » (١٧) .

(ج) تقارير الخواميس الانجليزية عن تحركات جمال الدين سنة ١٨٨٧ م وهي تتحدث عنه كأفعاني

(د) تقرير حكومة الهند إلى الحكومة البريطانية سنة ١٨٩٦ م عن جمال الدين وهو يتحدث عنه . أيضا . كأفعاني (١٨)

إياها - هي الأخرى - تقارير وأوراق . صحتها والملفات السرية الأوربية . ولذلك كانت حذيرة بالاعتبار من الدكتور لويس !

« « «

لقد كانت معركة الأفعاني الكبرى ضد الاسعجار . الحظر الرئيسي الذي تهدد الشرق العربي والإسلامي في ذلك التاريخ وكان تركيزه الأساسي ضد الاستعمار الانجليزي . لما كان يمثل كمرأس حرة للاستعمار الأوربي يومئذ . ولذلك فإن صراع الأفعاني مع الانجليز ، في أفغانستان ، والهند . ومصر . وإيران . والسودان . والعراق . وتركيا . قد حصل الانجليز أعرف الأمريين جمال الدين . فإذا كانت تقاريرهم وكتاباتهم عنه حتى سنة ١٨٩٦ م - أي إلى ما قبل شهور من وفاته - تتحدث عنه

(١٦) [النصارى] العدد ٩ ص ٥٥ (١٨) [النصارى] العدد ١٥ ص ٦٥

(١٧) [النصارى] العدد ٩ ص ٥٥

«كأفعالي المولود والمشاة» هل أين ؟ ومتى ظهرت دعوى «إيرانية»
حيال الدين ؟؟

لقد جاءت هذه الدعوى من حصوم الأفعالي في إيران . وبالتحديد
من المشاء الايراني مظفر الدين [١٢٧٠ - ١٣٢٥ هـ - ١٨٥٤ - ١٩٠٧ م]
أما متى ظهرت هذه الدعوى . بعد مقتل المشاء الايراني ناصر الدين
[١٢٤٥ - ١٣١٣ هـ - ١٨٣١ - ١٨٩٦ م] .

في ١٤ ذي القعدة سنة ١٣١٣ هـ - ٣٠ إبريل سنة ١٨٩٦ م - تقدم
- «دعوى ميرزا رضا» قبل إنه كان من تلاميذ الأفعالي - تقدم من
الشاها ناصر الدين . وهو يزور «مشهد عند العصير» - المكان الذي طرد منه
هذا المشاء حيال الدين الأفعالي . قبل سنوات . على نحو مهين وبالغ
القسوة - تقدم ميرزا رضا من المشاء «مصرعه حنجره» - وهو يصيح
«حدها من يد حيال الدين» ؟؟

وكان الأفعالي حينئذ يرمئ بالآسمانة فأراد المشاء احديد .
مظفر الدين . استحصاره إلى إيران لحاكمته والمصاحص منه . بتهمة
التحريض والتشهير بقتل المشاء ناصر الدين . لكن . كيف السبيل إليه .
وهو بالآسمانة . في صباحه السطان السني عبدالحميد ؟؟ ها نحن
ذهي البلاط الايراني عن حيلة الادعاء بأن حيال الدين ايراني الأصل
والمولود بل وشيخي المذهب ومن ثم هل حق إيران أن تطلب من
الدولة العثمانية تسليمه لها لحاكمته كمحرض ومدمر لاعتقال المشاء
ناصر الدين . ولقد أوعز المشاء مظفر الدين إلى حاكم «أمد آباد»
الايرانية أن يكتب «عريضة» يوقع عليها نفر من أهل المدينة . تشهد
بإيرانية حيال الدين . ثم أرسلت هذه «العريضة» إلى الآسمانة . ورفعت

إلى السلطان عبد الحميد بواسطة «علاء الملك» . السمر الأيراني في تركيا

تلك كانت بداية الدعوى وهذا هو مصدرها . ومنها بدأت عملية التلقين والجمع لشهادات من الناس . بعضهم زعم أنه من أقارب جمال الدين القاطن في «أسد آماد» الأيرانية . ثم طُبعت هذه الشهادات في الكتاب الذي حمل عنوان [جمال الدين الأسد آهادي] - المعروف بالأفعاني - وهو الكتاب الذي سبق وأشرنا إلى ما يحمله من ناقصات وقصص واهية يجعله أدخل في «الغيث» وأبعد ما يكون عن ما يلزم المراجع والمصادر من غاشك يكسبها الاحترام^{١٩}

وكما كانت تلك من بداية الدعوى فقد كان هذا الكتاب «عمدة الدين رحيموا» إيرانية «جمال الدين» ! أما قيل هذا التاريخ - الذي سبق وفاة الأفعاني بأقل من عام - فلم تكن هناك «ورقة» أو دعوى تتحدث عن «إيرانية» جمال الدين بل إن كتاب [جمال الدين الأسد آهادي] ذاته يحدد ويعلن أن مقتل الشاه ناصر الدين كان السنة الذي أُنشئ - كما نقول - «إلى كشف حقيقة جمال الدين» وأنه إيراني المولد والمشتأ ، شيعي العقيدة والمذهب . بل ويعترف أن هذه الدعوى قد مثلت أنصص أسلحة خصوم جمال الدين في صراعهم ضده . ذلك «أن خصوم جمال الدين» حيناً أخذوا يناوئونه ويدسون له . لم يحددوا شيئاً بعمزونه به إلا كونه إيرانياً شيعياً . وأنه يكذب ويدعي أنه أفعاني سبي حتى يجد له طريقاً في تركيا والأقطار الإسلامية التركية^{٢٠}

(١٩) جمال الدين الأسد آهادي] ص ٢٥ ، ٢٦

لقد أراد الشاه مظفر الدين ، هذا الادعاء ، «إعدام حسد» حمال
الدين الأعماني .

وأراد خصومه المكريون ، من شيوخ الرحمة العمانيه . وعلى
رأسهم الشيخ أبوالمدي الصيادي [١٢٦٦ - ١٣٢٧ هـ - ١٨٤٩ -
١٩٠٩ م] - بملفهم هذا الادعاء - «إعدام حركة البعث والتحديد
الاسلامي» التي قادها وحملها بحمال الدين

، ثم جاء الخصوم الألداء لتيار «الصحوة الإسلامية» وحركة
«الإحياء الاسلامي» ، فلففوا ، هم أيضا هذا الادعاء لتشويه هذه
«الصحوة» وهذا «الإحياء» بإهالة التراب على الرمى الذي ارتاد مبدائها
وذلك بإظهاره في صورة «الكاذب - الأفاق»^١

لقد بدأ الشاه مظفر الدين القصة «لعرصة» التي تشبه «شهادة شيخ
الخافرة» تلك التي كتبها «عمدة» «أسد آباد» وثقف أبوالمدي
الصيادي المحيط ، فكتب إلى رشيد رضا ، عبد وعاة الأعماني ، يقول
«إنى أرى حريئتك» [الشار] - طامحة مشقائق المتأخر حمال الدين
المثقف . وقد تدرجت به إلى الحسية التي كان يزعمها . ومدنت في دوائر
الدولة وحميا أنه مارتندرائي - [نسة إلى مقاطعة مارتندرائي الإيرانية] - من
أحلاف الشيعة . وهو مارق من الدين كما «بق السهم من
الرمية»^٢ ١ . ثم جاء به من صبيه المستشرقين - صهاية وأنشاء
صهاية - فساروا على ذنب الادعاء «إيرانية» حمال الدين حتى كانت
الطبعة العربية لدعاواهم هذه ، تلك التي منحرج عليها بها الدكتور لويس
حوص ، التي جعل عنوانها [الاراني العامص في مصر] ١٣

(٢٠) | تاريخ الامتد الإما | ج ١ ص ٩٠

تلك هي قصة «إبراهيم» حمال الدين - وذلك هو حقلها العظيم من
التهاوت والسقوط^١

• • •

وكما أن «إبراهيم» الأصمى - لو كانت حقيقة - ما كانت لتعيبه
فكذلك «شيعته» - لو كانت هي مذهبه - ما كان لها أن تنقص من قدره
في نظر المسلمين المستبشرين^٢ لثراث الإسلام الفكري والعلمي
والخصاى يردان بأعلام الشيعة - في كل الميادين - وعلى مر العصور
لكن كما كان الهدف من دعوى «إبراهيم» هو إظهاره في صورة
«الكاذب» - كذلك كان الهدف من دعوى «شيعته»^٣

ومن البداية - تريد أن تزكك أن حمال الدين لم يكن متمسكاً بالمعنى
الصحيح لمصطلح «المذهب» - كما شاع ويشيع في حياتنا الفكرية
والعملية - وإنما كان مسلماً محمداً - لقد كان يأخذ إسلامه من المصادر
الأصلية للإسلام - ولا يفتد في ذلك مذهبا من مذاهب المسلمين - كان
«يشرب الماء من الهر» - لا من الساقية! - لكن الرجل لم يكن شيعياً
بحال من الأحوال - وإن ربطته بمجتهدى الشيعة علاقات كالتى ربطته
بعلماء السنة في العصر الذى عاش فيه - كان مسلماً محمداً - لكن نشأته -
وتكوينه الفكري - واختياره قد جعل «السنة» - بالمعنى العام - الإطار
الذى مارس فيه الاجتهاد^٤

ولما على هذا الرأى أدلة كثيرة - منها ما أجدناه من شهادات العلماء
العمول الذين عاشوا بحال الدين واملوه وشاركوه فكره وبصافه
وتعبوه - وسجودهم الذى تعاره هو الامتداد الامام محمد بن عبد الله - ومنها
ما استقياه من المصدر الأوثق والمرجع الأول - وهو فكر حمال الدين
ذاته - الذى يحدد الإطار المنهجي الذى عاش فيه

● [فالعروة الوثقى] - الجمعية السرية - كانت رئاستها للأعماق وكان محمد عبده نائبه في رئاستها - وعندما سأل أحد أعضائها محمد عبده عن « مذهب » [الجمعية] كتب إليه يقول : « إنا سبون ، نشعرون أو ما تريدون . وبنا في أعمال العبادات دائرون على المذاهب الأربعة وفي المعاملات على مذهب حاكم البلاد ، إن وافق واحدا منها . فإن كان على غيرها توفينا المرافعة إليه ما أمكننا . » (١١) .

مبنى جمعية سبب المذاهب ، إن في العبادات أو المعاملات

● وعندما ترجم الأستاذ الامام لأستاذه جمال الدين ، كتب - انطلاقا من « كمال الحرة وطول العشرة » - حسب تعبيره - عن مذهب جمال الدين يقول : « أما مذهب الرجل فحقيق - [أى مسلم موحد] حقيق - [والمذهب الخفى هو السائد في أفغانستان] - وهو وإن لم يكن في عقيدته مقلدا ، لكنه لم يعارفى السنة الصحيحة - مع ميل إلى مذهب السادة الصوفية » (١٢) .

● وحتى كتاب [جمال الدين الأسد آفاندى] - الذى برعم « إيرانية » جمال الدين - قراء قد صمم « شهادة » لأحد الأحرار الأيرانيين المستعظمين والمعروف في أذربيجان - وهو الميرزا السيد حسين خان عدالت - كتب أن جمال الدين كان محنذا ، لم يضع نفسه في الإطار المذهبي الضيق . - يقول صاحب هذه « الشهادة » : « وكان كل من سأل عن مذهب السيد - يحبه : « ماى مسلم » ! - وحدث أن سأل أحد علماء السنة السيد قائلا : « ما عقيدتك ؟ فأجاب : « إني مسلم ! » فسأله ثانية : « من أى المذاهب

(٢١) [الأعم - الكاملة للإمام محمد عبده] ج ١ ص ٦١

(٢٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٥١

أنت ؟ فأجاب السيد : إني لم أعرف في أئمة المذاهب شخصا أعظم مني حتى أسلك طريقه . إني أوافق بعضه في أمر . وأخالفهم في أمور . (٢٣)

فرغم اتسام الإحاطة عمدة الحداد ، إلا أنها سر عن الاجتهاد الذي يرفض التقليد - بالمعنى الضيق - ويأبى التقليد .

● وهالك الكتب التي شرحها الأفاضل لتلاميذه في سرات إقامته عصر ، وهي التي تعكس تكوينه الفكري واختياره المذهبي ، بالمعنى العام . وهذه الكتب - التي صفت مجموعة من عيون كتب المطلق والمبني والتصوف والتقيد وأصوله - هي من مصادر الفكر السني - وهي - لذلك - شاهد على أن ، السنة ، كانت ، خياره الفكري والمذهبي ، . وليس الشيعة والشيعة في هذه الكتب

١ - [الرسالة الزوراء] - في التصوف - للإمام السني خلال السنين الدواي

٢ - [شرح القطب الرلوي على الشمسية] - في المطلق - وإشراح - وهو القطب الرلوي - صبي وصاحب ، المثل - [الرسالة الشمسية] - هو الفكر السني محمد الدين أبو الحسين علي بن عمر المعروف بالكاتب ، المعروف بديوان

٣ - [مطالع الأنوار] - في المطلق - للمفكر السني سراج الدين أبو الشاء محمود بن أبي بكر الأرموي

٤ - [سلم العلوم] - في المطلق - للعالم السني محمد عبد الشكور الباري

(٢٣) [حيا : نفس الأسد آباد] ص ١٦٢

- ٥ - [الهداية] - في المطلق - للعالم السني أمير الدين المعصل من عمر الأبري
- ٦ - [الإشارات] لاس مينا .
- ٧ - [حكمة العين] - في الألهي والطبيعي - للعالم السني الكاشي القزويني
- ٨ - [حكمة الاشراق] - في التصوف - للسهروردي المقتول
- ٩ - [شرح الدوائ للعقائد العنصرية] - في علم الكلام - للإمام السني حلال الدين الدوائ .
- ١٠ - [التوضيح - محاشية التفتازاني] - في فقه الأحكام - لصدر الشريعة الأصغر عبد الله بن مسعود بن تاج الشريعة
- ١١ - [التلويح في كشف حقائق التفتيح] - في أصول الفقه - للعالم السني سعد الدين التفتازاني
- ١٢ - [منى المعصي] - في الهيئة - للعالم السني أبو علي محمود بن محمد ابن عمر شرف الدين المعصي
- ١٣ - [عقائد المسقية - شرح التفتازاني] - وهو من أمهات كتب السنة (الأستعرية) في العقائد -
- ١٤ - [تذكرة الطوسي] - في الهيئة - للعالم الشيعي نصير الدين الطوسي . ١٩٤١

(٢٤) [الأعمال الكاملة لحلال الدين الأتقاني] ج ١ ص ٣٢ [في مجموع المطبوعات العربية والمصرية] لمركب طبعه القاهرة سنة ١٩٢٨ م . [وكتبه الطوبى بن سامي مكتبة المدون] طبعه طبعه طبعه سنة ١٩٤١ م . [وكتبه ورشاحه] محمد الفاضل بن عاشور طبعه القاهرة سنة ١٩٧٠ م . [القاموس الإسلامي] لأحمد عبد الله طبعه القاهرة

هذه الكتب السنية . في أعينها الساحقة . وفيها أمهات الكتب
العائدة السنية . والأشعرية بالدات . دليل على التكوين المعكرو والخيار
المذهبي . السني . لجمال الدين الأفعاني

● وفي شرح الأفعاني وتعليقاته على أحد هذه الكتب [شرح الدواني
للعقائد العصبية] تشيع العبارات التي تفتتح « بالخيار السني » لجمال
الدين من مثل قوله ، في الحديث عن مشايخ « مذهب » : « وهذا
هو دأب مشايخنا ، كالشيخ الأشعري . والشيخ أبي منصور -
[الماتريدي] - ومن ماثلهم . لا يأخذون قولاً حتى يسمعه - يراههم
القوية . على حسب طاقتهم » (٢٥٠) .

● وكذلك بعينه ، الذي يتكرر كثيراً في تعليقاته على [شرح الدواني
للعقائد العصبية] . عندما يشير إلى أئمة السنة . والأشعرية بالدات . -
فيقول عنهم « أصحابنا ! » ...

تلك بعض من الأدلة التي تركب الرأي القائل بأن الخيار المذهبي لجمال
الدين الأفعاني كان « السنة » . وأن احتجاده كان في ميدانها . وأن
الرجل لم يكن شيعياً بحال من الأحوال ...

نعم إن هناك أدلة أخرى ، يمكن أن تصادف إلى هذه الأدلة . وهي
التي وردت في فكر الأفعاني عندما عرّض لفكر الشيعة وآرائهم صراحة
الشفقة فيها . وموقف الرخص لها دليل . هو الآخر . على خياره السني

● فالدين رخصوا أن جمال الدين شعبي - قالوا عنه - كالدكتور لويس
موفس - إنه ياطي « يتخلق بخلق » النقية ، الذي يحمل الإنسان يظه

(٢٥٠) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفعاني] ج ١ ص ٢٢٢

غير ما يظن ! نكتنا واحدون للأعفان فكروا واصبحوا وحاسبا برأفص
 «الثقية» ويتقد كتياب ما يحب أن يحل من الآراء والأحلاق يقول
 «إني لا أرى في هذا الكون من القول أو العمل ما يكون كتيابه لازما . إلا
 ما كان في غايته شيئا ومعرفة ، ولا يكون الكمال النسي في البشر إلا إذا
 كثر إعلائهم وقل كتيابهم قدولة تكتم عن أمنها كل أمورها لا حير فيها .
 ولا هي بالدولة الأمية من أمانتها وحس تصرفها ورجل يرى كل شيء
 يقال له . أو يحب أن يقول سرا مكتوما . لا يرجي إلا نفاذه . وما هو
 بالرجل الرجل ا . ولا شبه رجل . [ومن أحب فلعن] والمعة هنا على
 مطلق المعنى . لكل شيء حق ومستحسن بالمعطرة من أقوال وأفعال
 وصحاب وداث من أحب الصدق من القول لا يكتم به . ولا يحشي
 بأيا من إعلاله . بالعكس . إذا أحب الكذب والكاذب فحليق به أن
 لا يعل ذلك ا . (٢٦)

هذا عن رافض «الثقية» - التي يصرها الشيعة شيئا يندبون به
 ويقولون إن الإمام جعفر الصادق [٨٠ - ١٤٨ هـ ٦٩٩ - ٧٦٥ م] قد قال
 عنها «الثقية ديني ودين آيائي» ! - لقد رقصها الأعفان . بل ورأفص
 فلسفتها ا

● وأى فلم يحل بالأمانة ينهم حمال الدين «المناطية» . ويرغم أنه
 «مناطى» . وفي فكر الرجل إدانة صريحة . بل وحادة «المناطية» - وهي
 من مري النبعة - «الاصحابية» - ؟ ! لقد صفعهم في عداد الماديين -
 الطبيعيين - وهد ظهورهم بالعالم الإسلامي من أساب الاسيار الحصارى
 التي أصاب حصاره المسلمين . فكث في رسالة [الرد على الدهريين]

يقول إنه «لما كان القرن الرابع بعد الهجرة ، ظهر البشيريون (الطيعيون) محصر تحت اسم الباطنية - [يشير إلى الشيعة الإسماعيلية ودولتهم القاطمية محصر] - وحره الأسرار الإلهية ، واستد دعائهم في سائر البلاد الإسلامية ، خصوصاً بلاد إيران . وكان إذا سقط الساقط من المبرورين في حالة مرشدهم الكامل أقول ما يلقه المرشد قوله إن الأعمال الشرعية الطاهرة (كالصلاة والصيام وحواها) إنما مرصت على المحصرين دون الوصول إلى الحر ، والحق هو المرشد الكامل ، بحيث أنك وصلت إلى الحق بإليك أن تلقى من عابقت بكل الأعمال البديية ! فإذا قرر المرشد أصول الإياحة في نفوس أتباعه الشمس لهم سبيلاً للإكوار الألوهية ونظرو مذهب البشيرية (الدهريين) !» (٢٧)

هذا هو رأي الأفغان في الباطنية مهم . عبده . إباحيون . متحللون من تكاليف الإسلام ، بل وسكروا للألوهية ، ماديون . دهريون^{٢٨} ، وهذا هو تسميه «بطرية المرشد الكامل» . التي لا يتزوج الدكتور لويس عوض عن القول بأن الأفغان قد اعتنقها في «صدر شانه» (٢٨) . دون أية إشارة إلى أي دليل أو مرجع . حتى ولو كان «ورقة» من الأوراق التي كتبها الخواميس والمهرون ، والتي تحولت إلى «مصادر» يقص بها إجماع العلماء في «دراسته» عن حال الدين ؟ !

● أما نقد الأفغان للشيعة . بوجه عام . ورأيه في علوها بأن البيت وفي بعض من أصولها الاعتقادية . فحق نسوق لإثباته بصورها ثلاثة من كتاباته .

(٢٧) المصدر السابق ص ١٩٨ - ١٩٩

(٢٨) [الخصاص] العدد ١٤ ص ٧٨

أولها . ذلك الذي يلقى فيه نظرة تاريخية على نشأة التشيع . ويشهد فيه علو الشيعة . ويشير إلى خطر الانقسام الذي تطرأ للمسلمين إلى سنة وشيعة على سمود الأمة أمام ما مواجهاها من تحديات . وفي هذا النص يقول : لقد ظهر لآل البيت النبوي . في أوقات وأرمة مختلفة . أحراب وشيع . فمنهم من صل [كالمؤذنة] . وهم قوم يقولون بألوهة على من أي طالب . ومنهم (المفصلة) و(الغلاة) في محبة أهل البيت . وقد دخل الاثنان تحت حكم من قال : يهلك فيما أهل البيت محب . وغال . وعدو قالوا : - [أي كاره] -

أما المفصلة من الشيعة . وهم يفتنون في المذهب الامام حطر الصادق فهذا الجمهور من المسلمين . غرد تقليدهم للإمام جعفر . ومغالاةهم في حب آل . وتفصيلهم للإمام علي . لا يجب أن يفرحهم من عداد المسلمين

ولقد نعم أمر هذه العروق في العروق . وصارت واسطة للفرقة والراح . فلخصام طلائع قتال . تلك الأمور سهل وجودها جعل الأمة . وسعة الملوك الطامعين في توسيع ممالكهم

أما مسألة تفصيل الامام علي . والانتصار له يوم قتال معاوية . وخروجه عليه . فلو سلمنا أنه كان في ذلك الرمن مفيدا فاليوم يرى أن بقاء هذه الفرقة ليس فيها إلا محض الضرر . وتفكيك عرى الوحدة الإسلامية

لأقوم مرة الحق . إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لا يرضى عن العجم . ولا عن عموم أهل الشيعة إذا هم قاتلوا أهل البيت . أو اهتموا عنهم غرد تفصيله على أي ذكر . وجميعهم لا يحبون أمر دنياهم . «والناس أبناء ما يحبون» وكذلك أبو بكر . فلا يرضه أن تدافع أهل

السنة عنه . وأن تقابل الشيعة لأجل تلك الأفضلية التي مرصها . والتي تخالف روح القرآن الأمر أن يكونوا [كاليان المرصوص] أما قصة التخصيل ، فهو استحدثت البحث . بعد تلك الأحوال . لكن أن يقال لحل إشكالها « إن أقصى الخلفاء عمرا برز الخلافة على أطولهم عمرا »^١ فهو تولي الخلافة . بعد النبي . صلى الله عليه وسلم . على من أتى طالب . لمامه أبي بكر وعمر وعثمان ولم يتيسر لهم جدعة الإسلام والمسلمين عما استطاعوا أن يخدموه به . رضوان الله عليهم أجمعين حكمة الله في خلقه . وإن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢٩)

في هذا النص الطام برز حلال الدس

١- يصح الشيعة الأئمة عشرية - الجعفرية - سبب تمصيلهم الإمام علي - صمى الخالدين بالعلوي بحجة آل البيت . وإن كان يهي عن إخراجهم من عداد جمهور المسلمين سبب هذا العلوي وهذا التخصيل

٢- يتقد فكرة تمصيل الإمام علي في المقارنة بينه وبين الصحابة من الخلفاء الراشدين . ويراه « مخالفة لروح القرآن الكريم » بل ويتمادى بقاء تمصيله حتى على معاوية بن أبي سفيان . لمور من هذا التخصيل وانقضاء ممراته فهو اليوم « مرة ليس فيه إلا محض الضرر وتشكيك عنى الوحدة الإسلامية . »

وقد « مسألة التخصيل » هو نقد لصلب المذهبية الشيعية والدعوة إلى تجاوزها تعنى الدعوة إلى إلغاء الميز الذي يحيز الشيعة عن السنة ويفسر

(٢٩) [لأعلام الكوفة لحال الدس الأمامي] من ٣٢٤ - ٣٢٦

وحدة المسلمين في العصر الذي يعيش فيه ؟ !

فأين هي «شيعية» جمال الدين التي يرسمها الناس لا يفهمون ؟ !

وثالثها - أي تلك النصوص التي سوفها مثالا لنقد الأفعلى للشيعية وعقائدها - فهو ذلك النص الذي يروج فيه «عقيدة الرحمة» - التي هي من عقائد الشيعة الاثني عشرية - مع عقيدة التناصح - إلى فكر «الباطنية» - الذين سبق ورأينا حكمه عليهم بإيثار الألوهية وإسقاط التكليف ، وأنهم طيعيون دهريون - يقول الأفعلى عن «عقيدة الرحمة» الشيعية : «ولما كانت الرحمة - أي رجع بعض الأئمة السابقين وثابعتهم - من الأصول الثابتة في مذهب الإمامية - والتناصح من اعتقادات طائفة الباطنية الذين تسلطوا في بلاد العمم مدة طويلة - كان له بغيا في القوس» (٣٠)

وهو يروق هذا النقد في معرض تقديم عقائده «الباية» - التي جاءت فحملت عقائدها الكثير من الموارث الباطنية والأفكار الإمامية -

وثالثها - ذلك النص الذي يدعوه فيه جمال الدين إلى إلقاء «العقيدة المخزومية» للمذهب الشيعي . وهي «عقيدة الإمام المعصوم» - التي هي المعروفة أن الفرق الإسلامية عبر الشيعة قد رأيت أن مصدر الدين هو الشرع . وأن الحق في إجماع الأمة - على حين انفراد الشيعة بالقول إن المصدر هو الإمام المعصوم ، لأن الأمة من الممكن أن تقتنع على الضلال أو السكوت - ولأن الشرع - بما فيه القرآن - لا بد له من «قم» معصوم -

(٣٠) | دائرة المعارف | بطرس البستاني - مادة «الباية» - وهي من حزم جمال الدين الأفعلى

وقد هذه العقدة الشيعة الحورية . بل ورفضها . يقول
الأمامي «كنى بالإيمان والشرع معلما . فكيف ما تنفقه من القرآن .
فلا حاجة إلى المعلم المحصور . وهو الإمام المعصوم . ولما محتاج إلى
ثالث عن الشرع إلا في مورد التلخيص . ثم من الشرع نفسه يكون العلم
والأحد» (٣١)

تنفذ هي حصص مخصوص حال الدين الأماني . التي تنفذ مقائد
الشيعة الإمامية . والجمعية الأئني حشرية . بل وتبعض بعض الأصول
الحورية في تلك العقائد . وهي مخصوص لو وساهها وعندها الدين
رسموا أنه «شيعة» بظاهر ذاته «سبي» . لأراحونا من نقد ما كتبوا وتنفيذ
ما رسموا وأنشعوا عن حال الدين !



بل ، ليت أمر الدكتور لويس قد وقف عند تردد رعم الدين
رسموا «شيعة» حال الدين الأماني . فلقد ذهب زعم أنه كان «بابا»
في فترة من فترات حياته (٣٢) وأنه قد «يعلم عبد المهاتمي» كما تعلم عبد
الشيعة . وهو يسب هذا الادعاء إلى «الوثائق» لكنه لا يشير - مجرد
إشارته - إلى أي من هذه «الوثائق» (٣٣) ولذلك فليس أمامنا إلا أن
نقدم لتقارئ فكر حال الدين الذي ينشد الباية والهاتية والذي يسته

(٣١) 'طوبى' (أوجعفر) [تلخيص النزال] ج ١ ن ١ ص ١٩٤ . ١٩٥ هامش

حقو السيد حسين حر الميرم طبعه المحقق سنة ١٣٨٣ - ١٣٨٤ هـ

(٣٢) [الأهم] الكلام على حال الدين الأماني ج ١ ص ٢٠١

(٣٣) [العناصر] بعدد ١٤ ص ٧٨

(٣٤) [العناصر] العدد ١ ص ٥٣

من آرائها وعقائدها . والذي يرجع بعض هذه العقائد إلى فكر « الناطية »
المادى المدهرى . والذي انتهى إلى نقص مذهبهم من الأساس

ومن يبحث من إعمال الدكتور لويس الإشارة إلى فكر الأفعلى هذا
الذى حسد عداؤه للبابية . في «دراسته» يورد اسم المستشرق اىرى
حولد سبير . فيقص روايته عن الأفعلى ضمن ما رقص من روايات
العلماء والمؤرخين وكبار المستشرقين . وذلك معنى أنه قد اطلع على ما كتبه
حولد سبير عن الأفعلى . ومعروف أن هذا المستشرق قد كتب مادة
« حال الدين الأفعلى » في [دائرة المعارف الإسلامية] . وفي هذه «المادة»
قال حولد سبير . إن حال الدس « هو صاحب مادة البابية في دائرة معارف
المستقى » فلم لم يقرأ الدكتور لويس ما كتبه الأفعلى عن « الناسة » في
[دائرة المعارف] التي أصدرها « المعلم بطرس البستاني » ١٤ . إن الأفعلى
يقول فيها عن [البابية] إنها « دهن ظهر في بلاد العجم نحو سنة ١٨٤٣ م
يدعوه رجل من أهل شيراز يعرف بالسيد على محمد . وهو حليط من
عناصر إسلامية ونصرانية ويهودية وثنية » وكتابتها (الباب) . يتوى على كثير
من المعرفى المسجع وبعض الغارمين . إلا أن المعرفى منه كان ملحوظا . فلما
مثل السيد على محمد عن سبب وتفرع اللحن في هذا الكتاب المثل -
[يزعمه] - مع أن اللحن يقص ٩ أحاب بأن الحروف والكلمات كانت قد
عصت واقتربت خطيئة في الرمز الأول . فعوقبت على خطيئتها بأن هيدت
يسلاسل الإعراب . وحيث أن بعضا قد جاءت رحمة للعلمين . فقد
حصل المعرفى عن جميع المذنبين والمخطئين . حتى الحروف والكتابات .

فأطلقت من قيدها تذهب إلى حيث شاءت من وجوه اللحن والعلط .
ولقد فشا بين البابيين المدهرى والغدر . فسلكوا دعاء كثيرة . وكانوا أشبه
الداس بالعداوية الذين اشتهر أمرهم على عهد القاضيين . ومن قوارم

مذهبهم أن كل من حالفهم لقدمه هدر - والبابۃ تقرب من قول التصارى
 مخلول اللاهوت في الناسوت - ووحدة اللاهوت مؤلفه ، على وعيهم .
 من ١٩ أقولما رئيسهم الباب ، عندهم . أعظم من محمد ، عليه
 الصلاة والسلام (١٣١)

مهل هو « نبي » ، ذلك الذي يراها « دينا » - أي أنها ليست مجرد حرفة
 في إطار الإسلام - وأن هذا الدين « حبيب من عناصر إسلامية ومصرانية
 وسودنة ووثنية » - وأن المتدينين به أهل « عذر وتعد وسفك للدماء » ،
 وأهم أقرب إلى عقيدة المصارى . في الألوهية . منهم إلى عقيدة
 الإسلام ١٢ - هل هو « نبي » ذلك الذي يقول هذا القول في « دينهم » .
 ويسحر كل السحرية من كتابهم (البیان) ١٢

وإذا حاز للدكتور لويس أن يعتبر بعدم إطلاعه على ما كتب الأفعاني
 عن « البابية » في [دائرة المعارف البستاني] - وهو عذر غير مقبول
 بالطبع - مهل حوز له أن يحاول الاعتذار - مجرد المحاولة - عن تجاهله
 التعمد الإشارة إلى ما كتبه الأفعاني ضد « البابية » و« البابية » في ذلك
 الكتاب الذي هو « عمدة » مراجعته في القول بأن جمال الدين « إيراني »
 وليس « أفعاني » كتاب [جمال الدين الأسد آفادي] ١٧ .

لقد جاء ذكر هذا الكتاب مرات عديدة في « دراسة » الدكتور
 لويس . وهو في هذه « الدراسة » قد اتهم الأفعاني بـ « الباطنة »
 وصحت عن أن يقول لفرائه شيئا عن رأي الأفعاني في « البابية » وفي
 « البابية » ، وهو الرأي الذي جاء بهذا الكتاب في صورة « شهادة »
 « السيد الفاضل ميرزا حسين علي داني » ، الأصمغاني . مبرل

(١٣٥) [دائرة المعارف] - للمعلم طرس البستاني - مادة « البابية ».

الآمتانة» يقول هذا «الشاهد» - الذي عاصر مع الأعماني في الآمتانة -
 «وعندما كان الحديث يدور حول الباب والبابية» كان السيد - إجمال
 الدين - يتحرى لتجريح عقيدتهم علنا ومع أنه كان يطالب بتيسير مهم
 الدرس الإسلامي، فلم يكن يرى فائدة أو فرية للبابية» فهو يقول «وما
 يبلغ ما أبدى البابية من الهمة لتسهيل تكاليف الديانة المحمدية» وأى
 خدمة أدوها للمسلمين» إلا إبداءهم «القرآن» «الأسان» - وتغييرهم
 «مكة» «بمكة» ١٩ ومثل هذا لا يمكن عمله» في الحقيقة» إصلاحا -
 إذ لم يكن المسلمون بحاجة إلى دين جديد» فالدين الإسلامي» يقتضي
 الرمان والمكان» لم يكن حاجته إلا إلى روح من التسيب والتبشير بحسب
 ولم تؤد معتقدات البابية إلى هذا الهدف أبدا» يسعى أن تمتص أحكام
 الإسلام وتلائم تعاليمه مع ظروف كل زمن وحاجته» خوفا عليه من
 الروال» وهذا معنى ما قيل من أن الله بعث على رأس كل قرن رجلا
 ليصلح أمر هذه الأمة» (٣٦)

فكما لم يكن حال الدين «إبراهيم» كذلك لم يكن «شيعيا» وهو -
 أيضا - لم يكن «بابيا» - كما دعى الراجعون بغير دليل - وإنما كان
 الرجل «مسلميا» معتقدا» «محددا» يسعى إلى تجديد «دنا» المسلمين
 بواسطة تجديد «ديهم» - وذلك لتأسيس قمتهم على أساس منبج وأصيل
 من الإسلام

فالاتجاه والتجديد هو مفتاح تنحضية هذا الرائد الذي ارتاد لأمت
 مدان البعث والإحياء الإسلامي وليست المذهبية المصيقة الأخرى» كما
 دعى الراجعون

(٣٦) إجمال الدين الأمد آبادي ١ من ١٣٦ - ١٣٧

يقول الأعماني عن الاجتهاد .. وضرورته وعن أهميته في تحديد حياة الأمة «يا سبحان الله ! إن القاضي عياض قال ما قاله علي قدر ما وسعه عقله وتناوله فهمه ، وبأسبغ رمائه ، مهمل لا يخفى لغيره أن يقول ما هو أقرب للحق وأوجه ، وأصح من قول القاضي عياض وغيره من الأئمة ؟ ! . وهل يحب الحمود والوفوف عند أقوال أناس - [هم أنفسهم] لم ينفوا عند أحد أقوال من تقدمهم] - لد أطلقوا لعمولهم سراحها فاستيطوا ، وقالوا ، وأدلو دلوهم في الدلاء في ذلك البحر الخيط من العلم ، وأبوا بما ناسب رماهم . وتقارب مع عقول حيلهم ؟ وتبدل الأحكام تبدل الرمان

ما معنى ! «باب الاجتهاد مسدود» ١٩ وماى حص سيد باب الاجتهاد ؟ ! وأى إمام قال لا يبيح لأحد من المسلمين بعدى أن يجتهد ليحققه بالدين ؟ ! أو أن يقتدى بهدى القرآن وصحيح الحديث ؟ ! أو أن يعد ويجتهد لتوسيع مفهومه فيها ، والاستباح بالمراس على ما يطنق على العلوم المعاصرة . وحاجيات الزمان وأحكامه ١٩ ولا يزال جوهر النص ١٥

لا أرتاب بأنه لو فتح في أجل أفى حيلة . ومالك . والشافعي . وأحمد بن حنبل ، وعاشوا إلى اليوم . لداموا محققين محتدين ، يستطون لكل نصيب حكما من القرآن والحديث . وكلما راد تعمقهم وتعميم أزدادوا فيها وتدقيقا لقد اجتهدوا وأحسوا لكنهم لم يعطوا بكل أسرار القرآن وما وصلنا من علمهم الناهر إن هو - بالنسبة إلى ما حواه القرآن والحديث ، إلا كتفطرة من نحر ، وثابة من دهر [والتفصيل بيد الله يؤنيه من يشاء من عباده] وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون

لا بد من حركة دينية يتم بفتح ما ربح في عقول العوام وبمعظم

الخواص من فهم بعض العقائد الدينية والمصووص الشرعية على غير وجهها
 الحقيقى . وبعث القرآن وبث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور . وشرحها على
 وجهها الثابت ، من حيث يأخذهم إلى ما فيه سعادتهم . دينا وأخرى
 ولابد من هدايت علومنا وتفقيح مكتتنا . ووضع مصنفات فيها حرية
 التأخذ سهلة المهم . لستعين بها على الوصول إلى الرق والمباح .^(٣٧)
 ذلكم هو حلال الدين الأفتاق . أكثر من أنى إقليم من أقاليم عالم
 الإسلام . وأعظم من أن يأمره إطار المذهبية الضيقة الأفتق
 إله حكيم الشرق . وموقفه . وفيلسوف الإسلام . وداعية تحديد
 «دين» المسلمين بواسطة تحديد «الدين»^١

(٣٧) الأعمال الكاملة لحاج الدين الأفتق [من ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٢٨]

الجامعة الإسلامية

إذا كانت « الثورة الثقافية » في المنكر الإسلامي - التي دعا إليه جمال الدين الأفغاني - هي التي حلت عليه عداء أهل الحمد من المسلمين فإن دعوته إلى « الجامعة الإسلامية » كانت « الحرية الكبرى » في نظر « المتحررين » من « الإقليميين » ، « العلمانيين » !

دعوة « الجامعة الإسلامية » تدعى أن للإنسان المسلم انتماء إسلاميا تحدد هويته وهوية الكيان المجامعي والخصاري الذي يحمله الولاء وهذا الانتماء الإسلامي له مردود يتحدد في حياوات

● فهو يعني رفض الوقوف طائفة « الوطن » عند حدود دائرة « الأقليم » - بل ويتجاوز دائرة « الوطن القومي العربي » إلى « عالم الإسلام » الذي يضم الأقاليم ، و ، القوميات .

● وهو يعني وجود « طابع حضاري » لهذا « الانتماء الإسلامي » . فعلاقات الأقاليم الإسلامية والقوميات التي يضمها عالم الإسلام لا تقف عند حدود حس الحوار - أو المصالح الأمية والاقتصادية - وإنما تعني - فوق ذلك - وجود « وحدة في الخصارة الإسلامية » - تجعل من عالم الإسلام هذا - بأفانجه وقومياته منظومة حضارية متميزة بين الحضارات

العريقة القائمة على طهر الكوكب الأرضي في العصر الذي يعيش فيه

● وهذا الانتماء الاسلامي . يعني أن « العناية » . بمعنى فصل الدين عن الدولة . هي خيار أوروبي لا يمكن قبوله في عالم الاسلام ذلك لأن الاسلام . وإن رفض « الكهوت » ، « السلطة الدينية » . على النحو الذي عرفته أوروبا في عصرها الوسط . إلا أنه دين ودنيا . بمعنى أنه لم يدر طهره لشئون الحياة المدنية وتنظيم المجتمع وسياسة الدولة وعمران الأرض وإنما وضع لذلك الأطر والفلسفات والمثل والمقاصد والعادات . ثم ترك للأمة . للعقل والتجربة . حرية الابداع في شئون دنياها . في حدود هذه الأطر وفي ضوء روح الشريعة التي سبها الشارع سبحانه وتعالى

● ومن ثم فإن هذا الانتماء الاسلامي يعني أنه مشروعاً الحضاري المستغنى وعمدنا المسهدف والبهمة التي سعى لتخرج بها من « التخلف الموروث » . ومن « العزوة الأوروبية » . لا يمكن أن يكون هو المشروع الحضاري الغربي لا لأنه قد شاع وشاعت في أوصاله الأمراض الحضارية . فقط . وإنما لتهاير أمتنا . بالاسلام . في القضايا الحضارية والسياسات الثابتة التي طغت ولابد أن تقفل طائفة لشخصية هذه الأمة الحضارية والفوقية ليس غرور التهاير . ولا غرور بحث الأصالة . ولا حما في « الكبرياء القومي المشروع » ، وإنما - فوق ذلك ومعه - لكي يبرأ مشروعنا الحضاري المتميز من هذه الأمراض الحضارية التي تقترب بالحضارة الغربية من هاوية الاحتضار . وأيضاً . لبأنى هذا المشروع الحضاري المتميز ملائمة لطبيعة الأمة وقيمها واعتدائها الذي جعلها أمة وسطاً ترفض الخوج والتطرف والظلم والظور . وتسعى لكي تولد - في حضارتها - بين ما هو عند الآخرين منالصفات لا سبيل إلى الجمع بها .

فصلا عن التأليف والتوفيق :

هذا بعض ما يعبه « الانتماء الاسلامى » من رفض « الإقليمية » والصنوق والتشردم . والوقوف - باسم « الوطنية » - عند حدود الكيانات الصغيرة . في عصر الدول الكبرى والتكتلات العملاقة . ومن رفض « العلمانية » التى تفصل الدين عن الدولة . فتقطع حاصر الأمة عن تراثها وإبداع سلمها في التشريع والتقنين . ومن رفض « الخيار اخصارى الغرب » الذى بشر به الاستعمار والاستشراف . ولازال بشر به « المتعربون » !

ولذلك . فليس عريبا أن يصب العلمانيون محروون حقدهم . بل وكل أكاذيبهم ومفترياتهم على الرجل الذى ارتاد ميدان « الخيار الاسلامى » . بدعوته إلى « الجامعة الإسلامية » . حال الدين الأفعاف . وهذا هو ماخطه الدكتور لويس عوض - نموذج « الاهلية » و « العلمانية » و « التعريب » في الثقافة المصرية المعاصرة - عندما حرج علينا « بدراسة » عن حال الدين

لقد كانت « الأمة الاسلامية » التى بشر بها الأفعاف تحت شعار « الجامعة الاسلامية » - وهى « أمة » لاتتمى « الوطنية » ولا « القومية » - بل تمنعها وتحجبها . وإن رفضت الوقوف عند تعومها وحدودها - كانت هذه « الأمة الاسلامية » - بما تعبى من « انتماء اسلامى » . له حصد في المشروع الحصارى المستهدف . إن في السياسة أو الاحتياج أو الاقتصاد أو العكر - الأيديولوجية - كانت هذه « الأمة الاسلامية » من « الحرية العظمى » للأفعاف . سطر الدكتور لويس وكل « الإفليمين » « العلمانيين » « المتعربين »

فالدكتور لويس يسمى "لو كان الأفندي - مع تزيينه - إيطاليا -
 بعض يائياته وعالياته عند حدود الانتمية لمصر ، مثلا " (١) يقول أنه
 لو كان الألفاني مصرياً (٢) اذن حدد انماؤه غايته ثم خلق هكذا بين
 المحوم والمحباب ، ولربما وثق غوته هو المثقف والقوة والثبات فقد كان
 طرفه طريق الثورة النعابية ، وليس حرق القنصل كالحال كما هو الحال
 عند ، محمد عبد الحام (٣) ، (١١١) ، (١٢) |

وكما فصل الدكتور لويس الاشياء المعمورة العرف لمصر ، ووصف
 الدائرة المعوية العربية ، المعوية م به - في مقالاته التي هاجم فيها غرابة
 مصر - بأنها ، أصح من الأساطير (٤) ، فإنه يصف ، الدائرة
 الاسلامية ، التي فتح ادعاه أمام الاسكان المسلم شعرا ، الحاميه
 الاسلاميه ، بأنها ، سحاف (٥) ، وهو يسمى ، لو أن الأفندي ، شعرا
 به سحاف السحمة وسحاف الفكر السياسي التي طغت في تـ و
 ساذن اعوامهم ، أو المذهب الاساق ، وم ثمر للأجيال التالية إلا
 تحوته السلفية ودعويه شوقراطية (٦) ، (٧) ، دعوة ، الحاميه
 الاسلاميه ، كما تسمى من اشعار اسلامي (٨) ، ومن أسلمه المشرق
 احصائي (٩) ، من سطر الدكتور لويس ، سلفية وشوقية ، مع ان
 السلفية - عند الألفاني كانت ثورة عديدة ، لأنها تسمى رفض
 التخلف الموروث ، والعروة للمصانع ، لاهداف حسب حاصرها في
 نواب السلف ، وإنما هدف استنهاض ، الأصول (١٠) ، والثبات (١١) ، والطر

(١) أصل دراسة الدكتور لويس ص ١٩٢

(٢) | لأهم | ٧ - ١ - ٢٠ - ١١ - ٢ - ١٩٦٨ ، ساحة ادب |

عند الدكتور به ١٩٦٨

(٣) | لخصر | ص ١٢ ص ٢٨

قيا ، بعقل معاصر ، ، والمواجهة بين الصالح بها وبين الحديد والعصرى
لواجهة التحديثات والانطلاق إلى الأمام . ومع أن ، الشيوعية ، هي
مرص أروى أبرزته الكهانة الكسبية الكاثوليكية في العصور الوسطى . ولا
شك لها في الإسلام . ولا علاقة بها وبين فكر الأنطاني . اللهم إلا أن
تكون علاقة الرقض والعداء ١٥

وبقدر ما عدا سعار ، الجامعة الإسلامية ، من إحياء ، الانتماء
الإسلامي ، ، وتأسيس التمدد الحديث على الأصول الإسلامية . حيث
تسمى الأمة إلى علوم العصر الطبيعية وتطبيقاتها ، لأنها ست الدليل - وفق
تصور الأنطاني - ولأنها مؤسسة على « قوانين » علمية جعلها تتجاوز حدود
الأوطان والقوميات والحصارات ، فهي ثمار إنسانية وميراث إنساني . وفي
ذات الوقت تبهت الأمة من تراثها وتغير ، بالتحديد ، تلك العلوم
والصون والميم والتقانات التي تتلون ، عادة ، في كل بيئة حضارة علوم
خاص أو متبر ، مثل الفلسفات ، والعلوم الإنسانية ، والقيم ، والفنون
والآداب ، والشائيل والأخلاقيات . بقدر ما عدا سعار ، الجامعة
الإسلامية ، من هذا الموقف الاستقلالي في الانتماء الحضاري ، ومن هذا
« اختيار الحضاري الإسلامي » . كان عصبة الدكتور لويس ! فهو
يرفض « تفتيت وحدة الحضارة » العربية . ويدعو إلى احتضانها جميعها .
فكراً وقياً وعلوماً . ويرى أن « لغة الصنع » عبد الأنطاني هي الدعوة
إلى تفتيت وحدة هذه الحضارة . حيث يأخذ بها ، العلوم وتطبيقاتها ،
ويبحث من محورها الثقافي والحضاري الفكر والقيم والمعتقدات ١٦

إن موقف الدكتور لويس - ومعك كل ، المغلبيين المتعربين - « ضد

(٤) أصل دراسة الدكتور لويس ص ١٨٢

دعوة الجامعة الإسلامية هو موقف ، العلمانية والتعريب ضد
أسلحة ، المشروع الحضاري للعرب والمسلمين هذا هو ، الحذر
الفكري ، للحلاف^١

لقد سعى العرب الاستعماري ، ولا يزال ، إلى تفتيت وحدة المسلمين
حتى ولو كانت شكلية ورمزية ، ولم تكن إلا آلة الخلافة العثمانية سنة
١٩٢٤ ، إلا مجرد إزالة رمز فقد كل المصامين ، وذلك بحافه البهشة التي
يمكن ان تملأ هذا جوعاء ، وذلك الرباط بالمصامين من جديد ، كان احواف
من محي ، ، التوحيد ، - الذي بدأه الأفعاني - هو الداعي لإزالة الرمز
الإسلامية وتعتية آثارها وإزالة ذكرها - العلمانية والاقليمية والتعريب -
من أذهان المسلمين^٢ وفي هذا الصوء وحده يمكن فهم عصب الدكتور
لويس على الأفعاني لأنه رأى أن لا متقد للعالم الإسلامي إلا بانهاده في
جامعة إسلامية ، داخل إطار خلافة تحمل الدين والدولة شيئا واحدا .
وسير على نهج الحلفاء الراشدين^٣

ولقد سعى العرب الاستعماري ، ولا يزال ، وسعى ، المعروث
ولا يزال ، إلى أن يبدأ العرب والمسلمون من حيث انتهى الأوروبيون ، إن
مرادهم هو أن تسبح الحضارة الغربية موروثة الحضاري هذا الميراث
الذي يمثل الإسلام السياسي والحضاري والفكري فيه دور الحكم والمعاير
والشرعية ومن هنا يأتي عداؤهم لأسلحة - بهشتا الحديثة وصنع
مشروع الحضاري بنسبة الإسلام وفي هذا الصوء وحده يمكن فهم
عصب الدكتور لويس على الأفعاني ، الذي دعا إلى استقلال حضاري
مؤسس على أصول الإسلام وقوله « إن الأفعاني كان مفكرا ذيبا

١٥٠ أميل دراسة الدكتور لويس ص ١٨٣

يشغل بالسياسة بقدر ما كان مفكراً سياسياً يشغل بالدين . هكذا يريد كل شيء . الدين والدنيا جميعاً . ولا كانت « العثمانية » ترفض الجمع بين السياسة والدين . فلقد اعتبر الدكتور لويس أب « حاشاً » الأفعلى قد تمتثل في هذا الجمع بين السياسة والدين ! ولذلك فهو . في نظره . « يعنى في السياسة » . لم يوفق إلى حل ذلك الصراع الرهيب داخل نفسه بين شخصية المصلح الدينى ، الذى يسعى لتحديد الاسلام بالمفكر الحديث . وبين شخصية المرجع السياسى الذى يسعى لإبقاء المسلمين من مرات الاستعمار الأوربى . فعدا كان على الأفعلى أن يختار بين شخصية المصلح الدينى والتأثر الاجتماعى الذى تقوم مفكر الثوار^(١) .

عالمنا لعلمان . هما « ناقص » يعنى إلى « حاشاً » لكن « النقص » لاسلامى . يرى في هذا الجمع الأمر الطبيعى التزم مع صمد الاسلام وعلاقته بشؤون الدين . هاس نعية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] كان المصلح الدينى . والمقاتل لتحرير الأرض من التتار . وكذلك كان « المهدي » في السودان والسوسى ، في ليبيا ، واديس . في الجزائر . وكذلك جمال الدين^٢ .

إلى هذه التباينة . وذلك الفصل بين « الدين » و « السياسة » . من الإصلاح والحديد الدينى « وبين قيادة الأمة في معركة التحرير والديعه الخصارية - وهما من لوازم « العقلية العثمانية » - هما اللذان جعلوا الدكتور لويس يعنى أخطأ المحورى في تقديره ويعتبه لعلامة دعوة جمال الدين الأفعلى وحركته الثورية والإصلاحية بالدولة العثمانية وسلطانها عبد الحميد .

(١) أنص . دراسة الدكتور . س . من ١٠٦ . ول التتار [العدد ٦ من ٦٨ . والعدد ١٧ من ٦٧ .

الثاني [١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ - ١٨٤٢ - ١٩١٨ م] فحكم تلك الأحكام المطالبة والعشوائية على دعوة الجامعة الإسلامية « عندما قال . » لقد كانت رسالة الألفهاني في (العروة الوثقى) هي نسب الشعور القومي . وتدعم الشعور الديني كأساس لمقاومة الاستعمار ولاعتراف بالحكم . ولم يكن هناك مستبعد . مباشرة . من هذا التيار يومئذ إلا الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد . أما المستبعد . بطريق غير مباشر . فقد كان الاستعمار في الخارج وأصحاب الحكم المطلق في الداخل . كذلك كانت سياسة الألفهاني لمصر والسودان قائمة على إعادة مصر والسودان إلى حظيرة الدولة العثمانية . والقضاء على كل حركة استقلالية فيها عن الباب العالي .^١

فهذه « الثنائية العثمانية » - التي لا ترى علاقة ما بين الدين والسياسة - هي التي جعلته يتوهم أن « تدعيم الشعور الديني » لا بد وأن يستلزم « نسب الشعور القومي » . وأن « الحفاظ على الانتماء الإسلامي » - الذي مثلته دعوة « الجامعة الإسلامية » - إنما يعني « القضاء على آخر كركب الاستقلالية » . فالمسقط العثماني . ومعاييره أعجزت الدكتور لويس عن أن يصر . في فكر الألفهاني . كيف كان الرجل داعية إلى « الوطنية » وإلى « القومية » . وإلى « الجامعة الإسلامية » . في ذات الوقت . وكيف وصح نوالى ونأزر هذه « الدوائر » في فكره . دوماً ناقص أو تعارض وكيف . أيضاً . كان الرجل داعية . للاستقلال « الذي تدعم إمكاناته وبشتد عزمه تنمية روابط الانتماء الأوسع . لامتطع هذه الروابط . الذي - كما قد ثبت - كان عامل ضعف لهذا . الاستقلال »^٢

هايكس « حذر الخطأ الفكري » في تقوم دعوة الجامعة الإسلامية

(٧) أصل « دراسة » الدكتور لويس من ١٧٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨

عند جمال الدين . وهي فصيحة نستحق المعالجة الصورة والموصوعية . لا
الإفناح الدكتور لويس . وإنما بهدف الحوار الفكري الخلاق مع كبار
العلمانية في وطن العروبة وعالم الاسلام

« « «

أما نست مع الدولة العثمانية . ورأى أن استبلاءها على مصر والعالم
العربي في العهد الثاني من القرن السادس عشر الميلادي قد مثل عاملا
سلبيًا . أطال ليل التحلف المملوكي . وراد موصي الإدارة . وأخر تكوين
الدولة بالمعنى الحديث . وأقل الاتساع العربي بالمعالم الاجتماعية .
وأطال مساندا الخصاص . كما كان العدو الأوربي يهضم . حتى هوجشا
به . في صوره موبارنت [١٧٩٩ - ١٨٢١ م] وحملته الفرنسية سنة
١٧٩٨ م يقتحم عليها عام العصور الوسطى^١ .

وعواطف الكاملة والحارة مع ، العبري « [٨٥٠ - ٩٢٢ هـ - ١٤٤٦ -
١٥١٦ م] وضومان ناني [٨٧٩ - ٩٢٣ هـ - ١٤٧٤ - ١٥١٧ م]
والعرسان اللذين قاتلوا جنس السلطان سليم [٨٧٥ - ٩٢٦ هـ - ١٤٨٠ -
١٥٢٠ م] وهي كذلك مع ابن عباس [٨٥٢ - ٩٣٠ هـ - ١٤٤٨ -
١٥٢٤ م] الذي رثى مصر والوطن العربي - بسبب الفتح العثماني - في
رائعته [بدائع الزهور]^{١٥}

وكذلك . مما نست مع أية رابطة تحمل من مصر ، ولاية تابعة . لا
لأن . فقط . مصري عاشق لمصر - وإنما لأن أو من أن هضبة وطن
العروبة وعالم الاسلام رهن بأن تلعب مصر دورها « القائد - الطبيعي » في
محيطها العربي وعالمها الاسلامي . ونؤكد أن أعداء العروبة والاسلام .

تاريخيا وفي الحاضر ، قد كان ولا يزال سبيلهم لإضعاف العرب والمسلمين هو عزل مصر أو إضعافها ، أو العزل والإضعاف كليهما . لهذا

مزايا ١

وفي رأيي أن هذا الدور « القائد » لمصر هو ، طبعيا ، « بعدد ما هو » رسالة وعاء ، ومسئولية ، وليس محرا مليا ولا نعمة إقليمية ولا تعصبا وطنيا بأي حال من الأحوال . وهو أيضا ليس طارئا ولا حديثا . فجميع الحملات الراسدة والأصوية وشطر من خلافة بني الحصاص - عندما كانت مصر ولاية - تابعة للمدينة فدمتق فعداد في هذه الحقبة كانت مصر تعيش فترة القحاة ، بعد مأساة القهر البريطاني . الذي لم يفقدها من صحبه القومي ومسحه الحصارى إلا جيش عمرو بن العاص . وبعد فترة القحاة هذه التي قعت فيها تمرركز الولاية - الثميرة - عادت إلى دورها ، الطبيعي - القائد - دار خلافة سلطنة ، حتى فأحياها عزو العناني سنة ١٥١٧ هـ .

ذلك هو رأيي في دور مصر وطنيه علافا تقويمها العربية وعالمها الاسلامي .. وفي أثر السلطنة العنانية وتسلطها على تطور مصر والوطن العربي وعالم الاسلام . وهو رأي أختلف فيه ويسبه مع إحوه وأصدقاء من الإسلاميين الذين أكن لهم كل التقدير والاحترام

لكي هل من الحق ومن المطلق أن يصعب الفتح التركي والتسلط العناني . مع الاستعجاليين الإنجليزي والفرنسي على قدم المساواة - كما يصعب الدكتور لويس عوض - ١٩ . أم أن الموضوعية والأصناف - خصوصا إذا أحطنا ملاسات العصر الذي تم فيه هذا الفتح في الاعتبار - تجعلنا نرى في الدولة العنانية

● رابطة طائفة . شديدا إلى سلطة قليلة في الحصار والابداع الحصارى إلى حد العدم ' فزادت تحلقا في الكم والكيف وأخرت بقطنا وتقدما وبعضا الحصارى عدة قرون .

● وهي في ذات الوقت . مما مثله من قوة عسكرية كاسحة . قد أعادت الغرب الاستعماري - عدونا الأول والرئيسي - فكانت حصارا من القوة انحر عروه لبلادنا حينما طوبلا من الدهر .

● وأبقا قهى قد حطمت للأمة هويتها . وإن في صورتها الجامعة والمحافظة

● ثم طلت حاملة ، لرمز الوحدة ، - الخلافة - الأمر الذي حفظ الإطار والوعاء . فأعطى الأمل للمصلحين والثوار في إحراز مشاريعهم الإصلاحية مع الحفاظ على ' الوحدة ' . التي كان أعداؤنا ، ولا يزالون - أحرموا الناس على تمكيت عراها . فليتهجروا علما الاسلامي إقلييا بعد إقليم '

ذلك هو تقويي لدور الدولة العنابية في تاريخ العرب والاسلامي
الوسط ومنه - كمدخل - منتقل إلى مصفون سعاد ، جامعة
الاسلاميه عند حال الدين الأمعاني . لتساءل

هل كان الأمعاني يريد ، الجامعة الاسلامية ، ، إحكام منصة السلطة العنابية على رقاب العرب والمسلمين - فما يعيه ذلك من كثرة الحركات القومية والاستقلالية - والتحلل عن دعوة الثورة والتجديد . لتجاوز التحلل القائم - كى لا تعصب السلطة العنابية أو تتمكك ، إبطها - لأن الخطر الرئيسي . المتمثل في العروة الاستعمارية العربية كان يتعطل

تسخير كل الجهود وجميع الطاقات للحرب على هذه الحبة وحدها ١٢
هل كان هذا هو مفهوم ومصمون « الجامعة الإسلامية » حد حمال
الدين الأفغانى - كما يقول الدكتور لويس - ٣٤

أم أن الأفغانى - مع تركيزه على حظر الاستعمار العربى - لم يتحل عن
ثورته الإصلاحية التجديدية ٣٥ . ومع دعوته « للوحدة » وراه الخلافة
الواحدة . لم يغفل « الصراع » ضد عوامل التحلف والرجعية والضعف
والخمود . التى كانت تخرسها وتثملها هذه الخلافة ١٢ .

هل كانت « الجامعة الإسلامية » ، عبده ، تعنى « الوحدة » التى
بعض الأطراف عن التناقضات . وبدير الطهر لثورة والإصلاح والتجديد .
كى لا تسدد الجهود تقتصف المقاومة للحظر الرئيسى الاستعمار ٣٦
أم أن هذه « الوحدة » كانت تتطلب - فى فكر الأفغانى - الدعم
« بالصراع » ضد عوامل التحلف . وبالثورة والتجديد لتعبي طاقات الأمة
فى صراعها ضد الاستعمار ٣٧

إننا مع التصور الثانى والتفسير الثانى لمفهوم « الجامعة الإسلامية » عند
الأفغانى . ولنا مع المفهوم الأول الذى تصوره الدكتور لويس

إن أهمية هذه القضية تتعدى حدود إصناف الأفغانى من خصومه !
مطابقها تتجاوز تقوم دعوة « الجامعة الإسلامية » فى النصف الثانى من
القرن الحاضرى . إلى مصصون هذه الدعوة ومفهومها اليوم وعذا ١٢
« جامعة إسلامية » لماذا ؟ . ولأية أهداف ؟ وبأى مصصون ؟
ولحساب من من القوى الاحتجاجية والسياسية فى واقعنا الراهن ؟
ومعلاقتها بالخلاير القومى فى المحيط الإسلامى ؟ وماهى « طبيعة » السلطة
السياسية فى « الدولة » عند دعاة « الجامعة الإسلامية » ؟ . الح الح

إبه محبت هام وضرورى . تتجاوز أهمته وضرورته نطاق التأثير !
والآن .. نبدأ بأولى المحطات التى نجيب على هذا السؤال :

هل كان مصموم شعار « الجامعة الاسلامية » واحدا عند كل الدعاة
الدينى دفعوا هذا الشعار ؟ . نحيث يمكن تصور قيام الانفاق ، حول هذا
المصموم . بين كل من الأفغانى والسلطان عبد الحميد . لمجرد أنها قد دفعوا
معا شعار « الجامعة الاسلامية » ؟ ١٩ ..



إن « الجامعة الاسلامية » قد عبت وتعبى - فى الأساس - ذلك القيار
المعكرى والسياسى العريض ، الذى أضر قاداته وأضراره أن هناك عددا
من التحديات التى يولاه الفكر الاسلامى والشعوب والأمم الاسلامية .
سواء أكانت تلك التحديات آتية من داخل الأوطان الاسلامية .
كالتمطع الفكرى والروحى والاعتذار الحصارى والسياسى والصراعات
الاقليمية والقبلية ، أو آتية من الخارج فى شكل المد الاستعمارى والامبريالى
الذى رجع من أوروبا على الشرق ، وخاصة فى القرن التاسع عشر . تيار
الجامعة الاسلامية هو الذى أضر أصحابه هذه التحديات ، ثم آمنوا بأن
تشخيصها ، فى مختلف هذه البلاد ، له كذلك طريق واحد يؤدى إلى تلك
العانة الواحدة المشودة ، وهى التغلب على هذه التحديات ، والعودة
بالسلم . ثانية ، إلى دائرة التأثير الاساقى والعطاء الحصارى ، كما كانوا
قبل أن تظهرهم هذه التحديات .

ذلك هو الوصف العام لتيار « الجامعة الاسلامية » ، الفكرى
والسياسى ، كما عرفه الشرق فى ذلك التاريخ

ولكن وحده هذا الشعار لم تعجب ، فى يوم من الأيام . عن عن
المبحث المتأمل تلك العروى الجوهرية التى جعلت ، فى الحقيقة والواقع من

سار « الجامعة الإسلامية » عدداً من « المدارس » و« الفصائل » ، بينها من عوامل الاختلاف والتباين ، أحياناً ، الشيء الكثير ، إلى الخطير ! ومن هنا كانت ضرورة إلقاء نظرة على « خريطة » الجامعة الإسلامية ، لتمييز أهم ماحص هذا التيار من « المدارس » و« الفصائل » التي نعت هذا التيار

● نحن نستطيع أن نذكر الحركة الوهابية ، التي أسسها إمامها محمد بن عبد الوهاب [١١١٥ - ١٢٠٦ هـ ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م] كأقدم تيار إسلامي وسياسي يمكن أن يتدرج تحت شعار « الجامعة الإسلامية » ، في الحديث ، ولقد كانت الوهابية - في الفكر - حركة ودعوة ترمي إلى تحديث ، سبب الإسلام والمسلمين عن طريق طرح ركاز البدع والخرافات التي ذلت في عهد المسلمين ، وهي البدع والخرافات التي كويت الحركة الأساسية من تصور لسلطة العمياء ومساسها الفكرية عن عقائد الإسلام ، ومن ثم كانت الوهابية - سياسياً - حركة ماحصة للعميان^(١)

● ولقد كانت الحركة السوسية ، التي أسسها بالمغرب العربي إمامها محمد بن علي السنوسي [١٢٠٢ - ١٢٧٦ هـ ١٧٨٧ - ١٨٥٩ م] من الامتداد الوهابي إلى بلاد الشمال الأفريقي ، بعد أن أدخلت في بيئته الفكرية ونشاطها العمل حصائص المكان وتحديات الاستعمار العربي ، وخاصة الفرنسي ، التي كانت تزحف على تلك المنطقة في ذلك الحين ومن ثم فإن السوسية ، كذلك ، بطابعها الصوفي تميزت به عن الوهابية

(١) | حاصص العلم الإسلامي | مجلد ١ ، ص ٢٩١

كانت هي الأخرى ثيارا بعمل وبباصل تحت شعار الجامعة الإسلامية^(٩) .

● وكذلك الدعوة والحركة المهدية . التي أسسها ، بالسودان ، إمامها محمد أحمد ، المهدي ، [١٢٦٠ - ١٣٠٢ هـ ١٨٤٤ - ١٨٨٥ م] عما مثلت - في العكر - من تجليد .. وفي السياسة من تصد للعرب وللأتراك ومن دعوته لتحرير عالم الاسلام « من عانة إلى فرعانة » - كما قال المهدي - كانت هي الأخرى فصيلة من فصائل « الجامعة الإسلامية » . تلاعب مع ظروف السودان وواقعه في ذلك التاريخ^(١٠) .

● ثم هناك التيار الذي قاده الأفعاني . والذي كان ، بحق . أحد تيارات « الجامعة الإسلامية » في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والذي تميز بامتداده إلى مختلف بقاع عالم الاسلام . على عكس الرواية والسوسة والمهدية . كما تميز عنها بعدد من الخصائص في مقدمتها -

١ - الإصلاح الديني من مطلق العقائدية . إيماناً بأن الشرق لن يتغير في صراعه مع الغرب إلا إذا تسليح سلاح العقل - ذلك السلاح الذي صمم للغرب تفوقه في هذا الصراع

٢ - تحديد الصلات احصائية مع الغرب . واقتباس المناسب من حصارته - كما صمغ العرب والمسلمون في العصر العباسي - حتى يتمكن الشرق من العودة إلى التأثير والعطاء الحضاري مرة أخرى

٣ - احتفاظه على بقاء السلطنة العثمانية . وسمية حواسنها الإيجابية .

(٩) المصدر السابق مجلداً ١ ص ٢٩٠

(١٠) انظر دراستنا عنها في كتابنا [العرب والمهدي] ص ١٧٠ - ١٩٤ صفة الكتاب -

ص ١٩٨٠ م

والعمل على تجديده شيئا ، لا من مطلق الإيمان بها كخلافة إسلامية وإمارة للمؤمنين . وإعنا من مطلق الضرورات التي يجتهد التصدي للعدو الرئيس وهو الاستعمار العرقي الراجف على ديار الإسلام فهو يحافظ عليها سياسيا . ويحاول تنمية قواها السياسية . ويهاجم فكرتها الرجعية المتحلفة هدف تطويرها وتجديده شيئا . ومن أجل ذلك لم ياصر هذا التيار حركات الانفصال القومي العرقي عن الامبراطورية العثمانية . لأنه كان يصير نريص الاستعمار الأوربي كي يكون هو الفائز الأول . وزعما الوحيد . من وراء الصراع القومي وحركات الاستقلال القومية ضد العثمانيين

لقد كتب الأفعاني في ١١ ديسمبر سنة ١٨٨٣ م - في صحيفته « الامتزاسيدان » الفرنسية - ليكشف المخطط الانجليزى - الذى استطاعت حلها تعبده - مستخدمة الشريف حسين سنة ١٩١٦ م .. أى بعد كتابة الأفعاني لما كتبه بأربعة وثلاثين عاما ١٢ - كتب الأفعاني يقول : « إن بريطانيا لديها مخطط لإقامة خلافة صغيرة في مكة لصالح أسرة بني عون . الى يتخلله أحد الزادها حاليا منصب شريف مكة . وعرض بريطانيا من ذلك هو التخلص . من خلاله . من وجود قوة عظمى - [الخلافة الإسلامية الواحدة] - للسيطرة على جميع المسلمين^{١١١} »^١

وهو يفسر « يحكى أن الأفعاني . حتى في لخطاب بأبه من إصلاح القيادة التركية للسلطة العثمانية . كان عكس في عصر هذه القيادة . « معرب الخلافة » مع المحافظة على وحدتها . بل وعلى عاصمتها . فهو « الصراع » في إطار « الوحدة » . الذى جعله عكس في إحلال « مهدتي السودان ، أو « الشريف حسين » أو « إمام صنعاء » محل السلطان

[١١١] [التصانيف] عدد ٦٨ من ٦٤

عبد الحميد . مع بقاء وحدة الخلافة . وضع الطريق - بإزالة عقبة التحلف التركي - لتحديد شأنه^{١٢١} يقول « قلت » - فيما دونه ببوصائه في ١٨ أكتوبر سنة ١٨٨٥ م - « حديث طويل مع حمال الدين حول أعمال المستقبل في استنبول » إنه يزيد فكرة أن المهدي . أو حلف المهدي يجتلي مكان السلطان أو أن يفعل ذلك الشريف عون . أو إمام مسعاء فأي من هؤلاء - كان في رأيه - يمكن الآن أن يتولى القيادة . ولكن استنبول يجب أن تبقى مقر الخلافة^{١٢٢} .

وعندما عرض « قلت » الفكرة الانجليزية حول استقلال شبه الجزيرة العربية عن الدولة العثمانية . عارضها محمد عبده . قائلا : « إن العرب أهل لذلك الاستقلال . ولكن الترك لا يمكنهم منه . وعندهم من القوة العسكرية المنظمة ما ليس عند العرب . فإذا سعوا بذلك أو رأوا سوادهم قائلهم . حتى إذا وهنت قوة الفريقين وثبتت دول أوروبا الواقعة لها بالمرصاد . فاستولوا على الفريقين أو على أضعفها . وهذان الشعان - (العرب والترك) - هما أقوى شعوب الاسلام . فتكون العاقبة إضعاف الاسلام وقطع الطريق على حياته !^{١٢٣}

إن بصيرة الأفعاني ومحمد عبده - وتيار « الجامعة الإسلامية » - كانت تصرح حتى بتأجيل الخطط الذي هذه الاستعمار بعد سنوات طويلة من وفاة هذين الإمامين - [اللذين يصف الدكتور لويس عوص فكرهم السياسي هذا بأنه « سفاك » وهكرة^{١٢٤}] - ومن هنا كان حرص هذا التيار على « وحدة » الخلافة . ومحاولة الإصلاح « داخل » إطارها . حتى

(١٢١) أصل : دراسة . الدكتور لويس ص ٢٢٩ وهو ينقل عن كتاب « صمد

[حردود في المخطوط] ص ٤٩٢

(١٢٣) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ١ ص ٧٣٥

لو تطلب الإصلاح تعريبها ، واستبدال حلقة عربى ، حلقة العثماني^١ .
 إن اخبار أمام تيار ، الجامعة الاسلامية ، لم يكن بين طريقين
 مفصلين - كما يرى الدكتور نوبس عوض - طريق . سيف الدولة
 العثمانية ، أو طريق ، مواجهة العدو الخارجى . الأكثر خطرا من العدو
 الداخلى ، . والأفغانى لم يختار الطريق الثانى وحده (١٤) . ذلك أن
 الأفغانى وتبارك قد ركز على مواجهة الخطر الخارجى ، وصمى . ، بالثورة
 التحديدية ، إلى إصلاح الدولة العثمانية ، لتعطى التحالف ، وعقبى
 التقدم . ولصيان الضرر في مواجهة العدو الخارجى أيضا .

لقد كانت المحافظة على وحدة الدولة موقفا سياسيا يحلبه الانتماء
 الاسلامى ويدعو إليه الصراع مع الاستعمار ، وكان ، تعاون ، بار
 ، الجامعة الاسلامية - . كما تمثل في الأفغانى وحركته - مع الدولة العثمانية
 في إطار معنى هذا التيار ، لإصلاح ، هذه الدولة .. لقد كان - إذا جاز
 التعبير - ، تعاوننا محططا وهادفا ومشروطا .

● كان الأفغانى واضحاً تماماً في إدراكه وإعلانه عن أن « التحديف
 الحصارى » الذى يعانى منه العثمانيون ، قد أصر بالميزه التى مثلوها تاريخيا ،
 وهى كونهم قوة عسكرية أفضت مضاجع العرب الاستعماري وأحرقت عروء
 لوطى العروبة وعالم الإسلام . بهذا ، الحذار العسكرى ، . الذى مثله
 العثمانيون أمام العرب قد انحرف إلى « الإبداع الحصارى » الذى يدعم
 ويظهره ويرمم مظهره في ثياب من ثمرات ، الأمر الذى فتح في حد
 ، الحذار العسكرى ، للعرب أبواباً أوسع يتعد منها لالتهام ثروات المسلمين ،
 بالامتيازات أولاً ، ثم لالتهام الأوطان بما فيها من ثروات .

كانت عين الأفعى على هداه التحصن الحصارى . . . حتى استحوذ به بالنيصة . لا على النمط العربى - وإنما بالمشروع الحصارى الاسلامى الخاص ، الذى يستمد من عناصر القوة فى حصار العرب بإضافتها إلى المميزات الحصارية للإسلام والمسلمين . لقد أعلن الرجل أن الدولة العثمانية قد نبتت صدا ميعا للأهم الحكومة بها ، يحول بينها وبين الأعداء بأسباب الحصار ومحاربة الأهم الرأية فى مدينتها وعلومها وصنائعها ^(١٥) . ومن هنا كان « مشروعه » لإصلاح الدولة . بتجديد فكرتها وإدارتها وتنظيماتها وعلية الحكم فيها . كى نتاج الفرصة للشعوب التى تحكمها وتأخذ بأصناف المدينة والعموم والفصائل لتعالت من شرك الاستعمار

● والتعاون الذى قام بين الأفعى وبين السلطان العثمانى عبد الحميد . والذى وجه الأفعى . فى إطاره . ومسانده إلى قادة الأمة للتصام والتعاقد . تحت رايات « الجامعة الاسلامية » - خلف السلطان هذا التعاون لم يكن بلا شروط ولا محفظات . ومن ثم فلم يكن مؤسسا على مفهوم السلطان الخاص لمصموم « الجامعة الاسلامية » . ولا قائما على « أوص السلطان » وحدها ! وإنما كان تعاونا هادفا إلى تحقيق

- ١- فعالية أكبر فى مواجهة الخطر الرئيسى الاستعمار
- ٢- الإصلاح الدستورى لسطاء الحكم وعليته فى الدولة
- ٣- تطهير أجهزة الدولة العيادية من الخوة والصخرة والمنحطين
- ٤- امتداد « اللامركزية » - التى تتيح فرص النمو والازدهار للخصائص الصومية والإمكانات الوضوية والمادية - فى أقاليم الدولة وولاياتها .

(١٥) [الأعمال الكاملة لحال الدس الأصلى] ص ٢٢٩ - ٢٣٣

« بالمركزية » القائلة للحصائص الذاتية للأقاليم والولايات
 ٥ - « عريب » الدولة - « بل وعريب » الشعب التركي . « تنصح الدولة
 بحيدا » لأمة عربية » ، حتى تستعيد من فعاليات العرب والعروبة في
 مواجعتها ما يقرصه عليها خصوصها من ثغليات . ولبيود للأمة العربية
 دورها القائد في المحيط الاسلامي . الأمر الذي يحقق للراطة
 الاسلامية قيادة برصاها المسلمون غير العرب . أولئك الذين لم تكن
 قيادة « التراث » مؤهلة ولا حذرة بأن تتحدثهم في هذا الطريق
 ٦ - الإلتحاح على ما لمصر - تاريخيا وحضاريا وواقعا - من دور منير في
 المحيط العربي والاسلامي هو - دوعالمس - درر القائه في هذا
 المحيط

تلك هي أسرار ملامح « مشروع الأفعلى » لـ « تأييد الدولة العثمانية -
 وإصلاحها » .. لـ « جمع المسلمين حولها . ولتجاوز السليطات التي كانت
 تمثلها في واقع المسلمين » ..

● إن الأفعلى يتحدث عن « مواهب » السلطان عبد الحميد . وكيف
 سعى إلى تسخير هذه المواهب جميعها في الصراع ضد الاستعمار . وكيف
 دعا السلطان إلى الإصلاح الدستوري ولتطهير دولته من العناصر المعوقة عن
 النجاح في هذا السبيل المقترح لتحقيق هذا « المشروع » . يقول الأفعلى
 « إن الممالك الاسلامية في الشرق لاسلم من شرارة أوروبا ولا من السعي وراء
 إصعاقها وتحرقها . وفي الأخير ازدهارها واحدة بعد أخرى . إلا ببقطة
 واتناء محرومى ، واتصواء تحت راية الحليقة الأعظم »

فهو هنا يتحدث ، بوصوح ، أن مواجعة الاستعمار - الخطر الأعظم -
 لا تنحصر بتأييد الدولة العثمانية فقط ، بل لابد مع ذلك ، ومنه ، من

« البقطة العامة » أى البقعة التى تحققها خطوات الإصلاح و
« مشروع حمال الدين » ١

ثم تواصل الأفعاني حديثه فيقول - « إن السلطان عبد الحميد ، لو
ورث مع أربعة من توابغ العصر لرحمهم ذكاء ودهاء وميامنة .. ولا عجب
إذا رأينا يذلل مايقام ولكنه من الصعاب من دول الغرب رأيت يعلم
دقائق الأمور السياسية - ومراعى الدول الغربية - وهو معد لكل هذه نظراً
على الملك محرراً وسلياً وأعظم ما أدهشنى ، ما أعد من حيل الوسائل ،
وأقصى العوامل ، حتى لا تنشق أوروبا على عمل حطيرى المالك العثمانية ،
ويربها - عينا محسوسا ، أن تخرجه السلطة العثمانية لا يمكن إلا حرام
المالك الأوروبية بأسرها

ولقد رأيت من السلطان ارتياحا ليعول كل ماذكرته له من محاسن
الحكم الدستورى ، وأن الاسلام أول من عمل به فى سلطانه

إن ما رأيت من بقطة السلطان وشدة حذرى وإعداداته العدة اللازمة
لإبطال مكاييد أوروبا ، وحسن توابه واستعداداته للبرص بالدولة (الذى
قده همه المسلمين عموما) هو الذى دفعنى إلى مد يدى له ، فهايته
بالخلافة والملك ١ (١٦)

ذلك هو « إطاء التعاون » بين الأفعاني وبين السلطان عبد الحميد ١

ولم يكن الأفعاني « حالاً » ولا هو ، بالأفعاني « عن عيوب السلطان
عبد الحميد ذاته ، ولا عن العفصات التى يمثلها أركان الدولة أمام محتاج
مشروعه ، لا يفاط الدولة والأمة « لمواجهة خطر الاستعمار - لقد كان يلج
على السلطان حتى يظهر جهاز حكم الدولة - وشكوى من تردد السلطان فى

(١٦) المصدر السابق من ٢٤٤ ، ٢٤٦

أغار هذا الأمر حتى لقد عدت إلى السلطان يوماً فقال : « يا جلالة
السلطان . ملكت من تعاطيا الشكاية ؟ » ومن غيرك صاحب
الأمر ؟ » حد حرم عبدك محمود . والقصر الخائبي من حاصتك (المدس
يعدون من ملائكت حقائق تحرب الديراء ها والعمال في الولايات . وهم
صانعهم وحياة حيويهم الخاصة)^{١٧٩} . حذف الخجاء عك . وأظهر
للعلاء طهوراً يقطع من الخائبي الطهور . واعتقد أن عمر الحارس الأهل
(ماواحد . أحلهم لا يتأخرون ساعة ولا يستقدمون)^{١٨٠} .

● أما ما تعني بك « المركزية المستندة » التي كانت تحكم الدولة ما
قصة الامتانة على الأقاليم والولايات . فقد تحدث الأفعاني إلى السلطان
عنها . وقدم إليه « مشروع اللامركزية » . الذي يجعل الولايات الإسلامية
المرتبطة بالدولة أشبه ما تكون « بالكمونولث الإسلامي » . الذي يعط
رباط الوحدة - وحدة الأتقاء الإسلامي . وسواحدة التحليلات
الواحدة - دلغية كآب أو خارجية - والذي يتيح - في ذات الوقت - كل
الفرص ويفتح كل الأنوار لتسمية السياسات القومية والامكانيات المادية هذه
الولايات . التي يتاح لها . في ظل هذه « اللامركزية » . استغلال حقيقي
يعتقها من سياسات « المركزية » التي كانت صائده في أغلب تلك
الولايات .

إن هذه « اللامركزية » . التي أسس العرب العثانيون - عرب
الولايات العثانية - حرباً لدعوا إليها أو آخر سنة ١٩١٢ م قد دعا إليها
الأفعاني قبل ذلك نحو عشرين عاماً . كطريق جمع بين « الوحدة -
والاستقلال » لشعوب هذه البلاد وطاقتها . فتحدث إلى سلطان

(١٧٩) السجل ٦٦

(١٨٠) الأعمال الكاملة لحاجي المدس الأفعاني ج ٢ ص ٢٤٧

عبد الحميد عن تصوره فما في حوار مؤيد داريمه وبين السلطان . صبحه
الأفعافى يقول فيه -

١ . قلت للسلطان عبد الحميد : أتأذن في تقديم لائحة في تصوراتى
لتحسين حالة المملكة * والنحوط يصورها من مطامع الأعداء *
قلل بل قل في مانشاء أن تكتمه بكل حرية وصراحة . فأننا لك من
السامعين .

قلت أعتقد حلالة السلطان أن مصر لو بقيت ولاية . لرسل إليها
الولاة من الأستانة - مثل ماكير باشا . ومحمد باشا الميكدشى - وأمشاها . -
لجميع الأموال من غير وجه . وتوزيعها على رجال الدولة هما -
الأستانة - فقط . على ما هو مشهور وغير حاف على حلالته . هل
هو حجر لمصر وأهلها وللسلطة * أنه جعلها حديوية . كما هي قبل
الانحطاط ٢ .

- فتذكر السلطان مليا . وحول وجهه نحو الباعدة عني . حتى طمست
أن الحديث قد ساء . وأنه لا يحب الخوض فيه . ولا العودة إليه . وإذا
هو بعثة قد التفت . ونوجه بكتبته إلى . وكأنه قد انتهى من ذكرى ما
جرى من محمد على باشا وابنه إبراهيم باشا . وكيف أنه كاد أن يستخلص
السلطة العثمانية فتحا بالقوة ١ -

وقال لو قلنا إن وجودها حديوية أحسن من بقائها ولاية ثم
ماذا ؟ ٢

قلت يا مولاي ، إن السلطة العثمانية تتألف اليوم من ثلاثى ولاية .
تبدأ فتحملها عشر حديويات ..

مرأيت السلطان - وهو على تمام الإصفاء لما أقول - قد تقطع وجهه
وعلمته كناية امتعاض وحرث -

قلت : يا مولاي . وعرة الحق . وولائي لأمر المؤمنين . وصحي
للمسلمين . إن ما ساقى إلى ما قلته إلا الإخلاص والحرص على ملكك .
والعبرة على الدولة والممالك الإسلامية الشرقية . التي ليس لجمع شذاتها
ونوحيد كلمتها إلا الاعتصام والأصواء تحت لواء الخلافة . وجلالتك ترى
أن أجراء السلطة أخذت تنفكك الحرة بعد الآخر . فها هو الواحد
عظم المالك وأجرائها سلك من النظام أوثق وأشد وأحكم . وما وجدت
ذلك السلك إلا بذلك الشكل الذي قدمته

- ولما انتهيت - هر السلطان رأسه . وتناول لفاة من التبع . وأسرع
في تدخيبها -

وقال : ماذا تركت . يا سمرة السيد . للسلطان ؟ ! وما أصيب
تحت - [عرش وعاصمة] - آل عثمان ؟ !

قلت . يلى مولاي حلالة السلطان . سلك أولئك الملوك . ويصم إلى
العرش العثماني عشرة عروش . عبر عرش مصر . ثم منى بهت هذه
المقاطعات والحدويات . وأخذت يصبها من الرق والعموان . لاشك
أن إبرون تسرع نظام السلطة العظمى . للاتحاد معها . إذ هي و أسس
الحاجة لشد الأزر . ولصون كيانها من مطامع العرب . الموحدة نحو عموم
دول الشرق . ثم ما أسرع الأنصار للانتظام في ذلك السلك . سلك
احباع كلمة دول الشرق الإسلامية تحت راية الخلافة العظمى والسلطة
الكبرى . ثم . ومنى تم ذلك . هل تفقد أهل الهد عن بهرة الخليفة
الأعظم والحقاق لشد ساعد إخوانهم ليدفعوا غارة العرب عن الدول

الإسلامية في الشرق . وعن هندهم أيضا ١٢ أو يهتدون بهمة الرجل الواحد للتخلص من ريفنة الاستعمار والمستعمرين . ويرجع الشرق للشرقين ١٠١٩

ذلك هو «مشروع اللامركزية» الذي سعى إليه الأفعاني . والذي عرّضه على السلطان عبدالحميد . وهو الذي يزكى ما كتبه في «العروة الوثقى» عن أن «الدولة الإسلامية هي اتحاد» يشبه «الكومنولث» . وليست رابطة مركزية تظهر ما في إطارها من تناقضات . لقد كتب في «العروة» عن هذا التصور «اللامركزي-التصاممي» بقول «لا ألتصمى بقول هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصا واحدا . فإن هذا ربما كان عسيرا . ولكن أرحو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين . وكل ذي ملك على ملكه . يسعى عهده لحفظ الآسر ما استطاع . فإن حياته عيانه ونقاءه سقائه .» ١٢٠

ذلك هو تصور الأفعاني «المشروع اللامركزية» . كسبيل للإصلاح الإداري في الدولة العثمانية . وكسبيل «لكومنولث إسلامي» وشرق تواحه به الأمم والسعوب المحطّر الأعظم . وهو الاسمبار . وتسلّكه سبيلا معها على تنمية حصائصها وإمكاناتها الأدبية والمادية

ولقد أبصر الأفعاني للأمة العربية- بالملعى القومى- دورا متميزا . بل ورائدا . في محيط «الكومنولث الإسلامى» . الذى دعا شعوب الشرق إلى الارتباط «بجامعة الإسلامية» . فهو القائل «إنه لا سبيل إلى تغيير أمة عن أخرى إلا بعلتها . وإن الأمة العربية هي . عرب . قبل كل دين

(١٩) المصدر السابق ص ٢٣٧ - ٢٤٠

(٢٠) المصدر السابق ص ٢٤٥

ومذهب . وهذا الأمر من الوضوح والظهور للعيان عما لا يحتاج معه إلى دليل أو برهان ! فالسلم أو المسيحي أو اليهودي . في مصر والشام والعراق . يحافظ كل منهم ، قبل كل شيء على نسبه العربية . فيقول «عربي» . ثم يذكر جامعته الدينية ^(٢١١) .

وكما دعا الأتراك - في «مشروعه الإصلاحى» - إلى «اللامركزية» . التى بهر وشجى السياسات الخاصة للأتم المدخلة في إطار الدولة العثمانية . فلقد دعاهم إلى أن «تعربوا» . كتمهيل لتحصيرهم التحصير الحقيقى لحضارة الإسلام ! - وكتمهيل لى العزة القومية التى كانت قد شرعت تطل برأسها تحت وحدة الدولة في مواجعه الاستعمار والأفعالى في هذا الموضوع كتابات . منها ذلك النص الذى يقول فيه : «لقد أهمل الأتراك أمرا عظيما . وهو اتخاذ اللسان العربى لسانا للدولة . ولو أن الدولة العثمانية اتخذت اللسان العربى لسانا رسميا . وسعت لتعريب الأتراك . لكات في أسرع قوة . ولانصت من بين الأمنى العزة القومية . وزال داعى العز والافتقار . وصاروا أمة عربية . ولكنها طعت العكس . إذ فكرت بتريك العرب . وما أسفها سياسة وأسفحه من رأى . لقد كانت السلطان عبد الحميد بهذا الموضوع ولكنه كان قليل الاحتفاء بما قلته له ^(٢١٢) .

ولم يكن إحصاء الأفعالى للدور المتميز للأمة العربية في المحيط الإسلامى يجعل أى انتقاص لحق أى من شعوب الشرق وهومياته في التملك والاعتزاز والتسمية لسانه وصنائه القومية وميراثه الوطنية في الإطار الإسلامى العام . فهو الذى شج الحملة تدور الحملة على «المنتمحين»

(٢١١) المصدر السابق ص ٢٣٧ - ٢٣٥

(٢١٢) المصدر السابق ص ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧

المشترعين ، الذي جدعوا هرعوا مشارك الاسعور العكري . فأعابوا العراة على أن يدروا في ريشا المفكرة «عوامل عربية مهلكة . يبدو في أول مظهرها . حبيبة الوطأة . سهلة المأخذ . لا ضرر من التسامح بها . وهي أسلوب عجيب لإصعاف لغة القوم . والتدرج بقتل التحلة القومي . وتسيط القائلين من الشرقيين بأن يس في ساهم العربي أو القلاوسي أو الأوردي والمهدي الخ . آذانا تؤثر ولا في تاريخهم عدا بكر . وأن المهد كمال احد لذلك الشرق الحامل أن يمر من سماح لغته . وأن يتأهلي بأنه لا يحس التعير بها . وأن ما تعلمه من الرطاته الأعجمية هي منتهى ما يمكن الوصول إليه من المدركات البشرية ؟ !

آذان الأعمى خدا «المفوق» الذي امتلأ به «المترجمة» المتعربون . ودعا إلى حياط أتم الشرق على حصانصها القومية . عربية . وهارسية . وأوردية وهندية الخ . وأعلن أنه «لا جامعة للقوم لا لسان لهم . ولا لسان لقوم لا آداب لهم . ولا عرف قوم لا تاريخ لهم . ولا تاريخ لقوم إذا لم يضم منهم أساطي عسى وعجي آثار رجال تاريخها . لتعمل عملهم . وتصح على مواهم . وهذا كله يتوقف على قطع وطني . تكون بدايته «الوطن» . ووسطه «الوطن» . وعاقبته «الوطن» ! فيجب أن يكون الوطن في مفهوم الشرقيين كقاعدة حسابية الثمان لاثان يعاملان أربعة . فلا تستطيع المذاهب أو الطوائف أن تدعيها محاسبة . ولا أن تحاول قضها ؟ ! « (٢٣)

هي تصور الأعمى . تأخت وتآررت وتوالت الدوائر والروابط الوطنية «والقومية» «والإسلامية» . دونما معارض أو تصادف .

● وكما أنصر الأفغانى «للأمة العربية» دورا متميزا و فاعلا و المخطط الإسلامى . كذلك أنصر «لمصر» دورا متميزا و فاعلا و قائدا فى مشروع النهضة الذى نأصل و سبيله

لقد كانت مصر - قبل احتلال الانجليز لها - هى «المودج» الذى سعى الأفغانى إلى تسمية بهضته . ليكون مركز الحدث والاحتذاء لجنوب الشرق حياء . إنها هى التى عاها الإمام محمد عبيد . عندما تحدث عن أن «مقصد» [الأفغانى] - السياسى كان هو : إنهاى دولة إسلامية من محيطها وتبنيها للقيام على شؤونها ، حتى تلحق الأمة بالأمة العربية والدولة بالدول القوية» (٢٤)

وفى مصر كان الانحمار الخفيف والأعظم لدعوة الأفغانى وحركته فترتها كانت الأكثر قبولاً لما يدر من بذور .. وتلك هى دلالة عبارة رشيد رضا ، التى تقول : «سمعت الأستاذ الإمام يقول : إن السيد (جمال الدين) لم يعمل عملاً حقيقياً إلا فى مصر!» (٢٥)

وتقوم الأفغانى لدور مصر الفاعل فى محيطها العربى والإسلامى يؤكد هذا الذى يقول - مبر القائل عن دورها هذا - «إن التفاعل فى سير مصر - بحكم حكامها وما لا يكون بعيداً عن الواقع ، أن عاصمتها لابد أن تصير - لى وقت قريب أو بعيد - كبرى مدينة لأعظم الممالك الشرقية . بل ربما كان ذلك أمراً مقروا فى أنفس حيزاتها من سكان البلاد المأخوذة لها - وهو أهلهم الفرد كلها ألم عطف أو عرس حطرت» (٢٦)

(٢٤) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبيد] ج ٢ ص ٣٥٩

(٢٥) [مراجع الأستاذ الإمام] ج ١ ص ٧٩

(٢٦) [الأعمال - بحثه جمال الدين الأفغانى] ص ٢٦٧

بل إن [جمعية العروة الوثقى السرية] ومعلمها - التي حملت ذات الاسم - والتي يقول الدكتور لويس عوض - إن مهمتها كانت «مسح الشعور القومي ، وتدعيم الشعور الديني لحساب الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد بل والاستعمار وأنصار الحكم المطلق»^(٢٧) ، إن هذه الجمعية ما قامت ، ولا صدرت عملها إلا لتعمل على تحرير مصر من قبضة الاستعمار الإنجليزي ، ولتعود مصر إلى مكانها الرائد والقائد في إطار «الجامعة الإسلامية» . ومن تلك الحصة الطامة يقول الأفعلى ، في الحديث عن سب تكوين تنظيم [العروة الوثقى] . «إن الحالة السيئة التي أصبحت فيها الديار المصرية لم تسهل احتلالها على نفوس المسلمين عموما ، إن مصر تعتبر عندهم من الأراضي المقدسة ، وفقا لفقوهم منزلة لا يحلها سواها . نظرا لموقعها من البلاد الإسلامية . ولأنها باب الحرمين الشريفين ، فإن كان هذا الباب أمينا - كانت سواحل المسلمين مطمئة على تلك البقاع . وإلا اضطرت أفكارهم وكأوتوا في ريب من سلامة بكر عظيم من أركان الدعاة الإسلامية . إن الرزايا التي حلت بأهم مواقع الشرق (مصر) حددت الروابط . وفازت من الأنظار المتباعدة محدودها . المتصلة بخامسة الاعتقاد بين ساكنيها . فأبقت أفكار العقلاء لتأملت عصابات حبر من أوثق العقلاء لهذا المقصد الخليل في عدة أنظار وطفلوا بتحسون أميابه النجاح من كل وجه ، ويوجدون كلمة الحق في كل صقع ، لا يرون في السعي ولا يقصرون في الجهد . ولو أنقضى ذلك إلى أقصى ما يشع منته حتى على حياته ١٩٠٤»^(٢٨) .

فإذا كان الأفعلى قد خاصص ، في حياته ، تحفة «التظيم» مرتين ،

(٢٧) أنصلي ٥٠ سنة الدكتور لويس عوض ١٩٨٦

(٢٨) [الأعمال تكاملت حياة الفاضل] ج ٢ ص ٣٤١ - ٣٤٢

أولاهما في [الحرب الوطنية الحرة] والثانية في [العروة الوثقى] . فلو كان
العرض والغرض منها هو استخلاص مصر من أخطائها . وتثبيتها لتكون
، النموذج ، لمشروعه الحصارى الذى يجذب محيطها العربى والإسلامى إلى
هذا الطريق !

وفى [العروة الوثقى] - المحلة - يربط الأملان بالدولة العثمانية أو
تبعص . وتضعه بكل ما بيدها من «أوراق إسلامية» ومصادر قوة
إسلامية - عما فى ذلك الثورة الكامنة لدى مسلمى الهند وما يتاحها - فى
محاولة استخلاص مصر من الإخيلير . ويجدر العثمانيين من إصاعة الفرصة
كى لا تثبت المحلزون أقدام استعمارها على صغاف النيل !^(٢٩)

فأين هى إذن دعوى الدكتور لويس اتى نقول . «إن سياسة الأملان
لمصر والسودان كانت تقوم على إعادة مصر والسودان إلى حظيرة الدولة
العثمانية . والتقصاء على كل حركة استقلالية فيها»^(٣٠)

لقد رأينا أن حقيقة سياسة الرجل هى حريك عاء الإسلام . بما فيه
الدولة العثمانية . لتحرر مصر من الاستعمار . وكذلك كانت سياسته تجاه
السودان فهو الذى - نحن ما يقوله الدكتور لويس عنه عن ذلك -
قد اضطر فى معاوضاته مع الإنجليز حول السودان . اضطر «أن يأخذ
نسوية لا يهد أن تعيد مصر للمصريين»^١ . وإحلاء السودان ، من الجيش
الذى كان يقوده غوردون الإنجليزى .^٢ بل وإعادة عراقى من الحق . إلى
مصر من جديد ؟ !^(٣١)

(٢٩) السيد - سر - ج ٢ ص ١٤٧

(٣٠) أملى - دراسة الدكتور لويس - ص ٢٢٧ ٢٢٨

(٣١) ص ١٩٤ دراسة الدكتور لويس ص ١٩٤ - ولا سيما العدد ٢١ ص ٦٢

ثم إن «إحلال السودان» الذي اشترطه الأعماني، لم يكن هو ذلك «الإحلال» الذي عنده الإنجليز بعد ذلك ليعيدوا فتحه واستثماره. وإنما كان الأعماني يشكر مثال العهد المصري للتورة المهدية تحت قيادة عورتون، ويصرحهم بأن عودهم الحقيقي هو الإنجليز، مكتفياً - متعمداً - في [العروة الوثقى] - بقول: «لعمرك الله إننا لفي عجب من الذين يحفظون قلاع السودان». ومن المصريين الذين يزعمون لمقاتلة السودانيين* ١ هل يعلمون أي أمه جدمون؟ ١٢* ١١* لقد كان الأعماني واصحاً وصرحاً في نصائحه من أجل تحرير مصر والسودان - وهو القائل للإنجليز - في مناصبائه معهم حول السودان - كتابه الخاصة «مصر للمصريين» - والسودان حرة متمم لها ١٢* ١٣* ولقد كانت «العلاقة القايوية» التي تربط هذه البلاد بالدولة العثمانية «ورقة قايوية» - مد الحركة الوطنية - للضغط على الاستعمار الإنجليزي من أجل استخلاص هذه البلاد من رائل احتلاله. ولم تكن قياداً على استقلال هذه البلاد ١

إنما سأل الدكتور لويس أي «استقلال» ذلك الذي وصف الأعماني ضده ١٤* و«استقلالاً» عن من. كان ذلك «الاستقلال» ١٥*

إن مأساة الدولة العثمانية - كما هو معروف وشهير - في ذلك التاريخ - لم تكن مأساة من «قوتها المستبد» التي تحرم ولاياتها حقيقة الاستقلال وإنما كانت مأساة في «ضعفها» الذي أعجزها عن حفظ استقلال هذه الولايات - والذي أحدث فتناله أوروبا الاستعمارية - شعركة الاستقلال الحقيقية كانت ضد العرب - والاستقلال كان استقلالاً عن استثماره. وهو ما كان المعركة الكبرى والأولى ولقد أتمه لحال الدين ١

(٣٣) [الأعماني الكاسد لحول نفس الأعماني] ج ٢ ص ١٧١

(٣٤) الفصل السابق من ٥٥٥ (طبعة القاهرة)

لقد كان نضال مصر في سبعينات القرن الماضي . زمن الحديوي
 اسماعيل - وهو الذي أسهم فيه الأتقاني إسماعا زاندا وبارزا - موحيا في
 الأساس ضد الزحف الاستعماري الغربي وهذا النضال هو الذي عمره
 نزار «مصر للمصريين»^١ فلم تكن القضية يومئذ متحيزة بشكل
 «السيطرة العمالية» محال من الأحوال وكذلك كان الحال في الثورة
 العربية . التي قامت لاستخلاص مصر من التبعود الاستعماري الغربي . إلى
 حد الحرب المسلحة ضد جيش الاحتلال الإنجليزي ولم يكن تناقص
 الحركة الوطنية - في مصر أو السودان - مع العثمانيين إلا محفذاً على
 العثمانيين عن الوقوف في وجه العرب الاستعماري . وبجاء الغرب في اتحاد
 الضعيف العثماني سبيلاً يتسلل منه إلى السيطرة والاحتلال^٢ تلك كانت
 حقيقة المعركة وذلك هو جوهر الصراع الوطني في ذلك التاريخ^٣

لقد كان الأتقاني ماصلاً صلباً من أجل استقلال كل شعوب الشرق
 عن الاستعمار وكانت «الجامعة الإسلامية» . المرتكزة إلى «وحدة
 الاسماء الإسلامية» . واحدة من الأسلحة «الطبيعية» والضرورية ، التي
 رأى الأتقاني لزومها في مواجهة العاصفة الاستعمارية التي هبت من الغرب
 على ملاء في ذلك التاريخ^٤ هالتناقص الرئيسي كان بين كل شعوب
 الشرق وبين الاستعمار الغربي وحتى التناقص غير الرئيسي . وغير العدائي
 الذي كان قائماً بين هذه الشعوب وبين «التحالف والضعف العثماني» .
 فإن الأتقاني لم يهمل ولم يغفل عنه . فلقد كان مصموم «الجامعة
 الإسلامية» هذه منبراً كان دعوة للشهقة والتفقه . بالتجديد والنووة
 الثقافية والتقدم الإسلامي . وه «مراعاه» ضد الرجعية وفي ذات الوقت
 «وحدة» لكل الذين تناقص مصالحهم وهويتهم إحصائية مع العرب
 الاستعماري وفي هذا المصنوع . تأججت وراملت وتصارفت المشاعر

والقسيات والدوائر الوطنية ، و « القومية » و « الإسلامية » ، دوعا تناقض أو تعارض أو تضاد !

• • •

لكن هل كان الأفعافى حاكما ، عندما غلق بعضا من أماله على الدولة العثمانية . وعلى السلطان عبدالحميد ؟ !

وهل حقا ما يقوله الدكتور ثوسس عنه إنه كان حاكما يخلق في السحاب ؟ !

حي لا يعتمد بذلك

لقد كان الأفعافى مدركا أن هناك طروعا موضوعية معاكسة لمشروعه الساعي لتجديد حياة الأمة وإنقاذها من عاصفة الاستعمار العرنى . منها ما هو داخلى . يأتي التحالف العثمانى والرجعية والحمود والضعف الموروث فى مقدمتها . ومنها ما هو خارجى . على رأسها تسلط اصبحة الاستعمارية بأسلحة القوة والحروب التى هيأتها لها النهضة الأوربية الحديثة والثورة الصناعية العملاقة لكن الأفعافى حاول

(أ) تحليل حسائر هذا « السقوط » . الذى بدأ قدرا معدورا ' (ب) وتقصير المدى الذى مرر به الأمة تحت عوامل هذا « السقوط » !

(ج) وأن يجدد مشروعه فى النهضة معاد الطريق لتقوى الإسلامية التى ستحمل على عاتقها . فى المستقبل . الخروج بالشرق من حصة هذا « السقوط » ! .

إن الأفعافى عندما تأشكك أن سياسات الواقع العثمانى قد شذبت السلطان عبدالحميد بعيدا عن الطريق الذى حاول حيال الدين أن يخدمه إليه . !

ينردد في مهاجمة «جبن» هذا السلطان . الذي كان يسمى «البحر»
 بالناصحين المخلصين .. فقال الأفعاني عن «جبن» عبد الحميد «يا
 للأسف !» . إن جبن الكثير كثير ! والحق من أكثر عيوب
 الميونك ١٩ : ١٣٥١ .

وكما سبق وبايع الأفعاني السلطان بالخلافة . عندما علو على دهران
 وحكمته بعض الآمال ، فإنه لم يردد . عندما تددت هذه الآمال . في
 مصارحة السلطان برغبته أن «يعبده» من هذه السيرة ١٩ : ١٣٥١
 للسلطان ، مواجعة : «أنت لأمتي جلالك أن تقبلني من بيني لك .
 لأنى رجعت عنها . نعم . نابعك بالخلافة . والخليفة لا يصلح أن يكون
 غير صادق الوعد . بيد جلالك الخلق والعقد .. وإذا وعدت وح
 عديك الوفاء ١٩ : ١٣٥١ .

كذلك . كان الرجل واصحا ومحددا . أمام الظروف الموصوفة
 المعاكسة لمشروعه «النهضوي» في أن السعي لآمل . وأن يشعر لتظليل
 حائل هذا «السقوط» القادم . ولتفصيل أمده التاريخي . ولاضاد ما تمكن
 إيفاده من عموم بلواه ! وهو في ذلك يقول : «إني ما فرست آفاد
 المسلمين . والشرقيين خصوصا . بالحجج القاطعة . وهنكت أستاذ الضامعين
 بالراعيين الساطعة . وأظهرت قطائع حكمهم عن حكوا محسوسا . إلا
 لأقرب العهد من زمن الاستعداد . وألصق طيات المسافة في الذل والمهانة
 لمن لم يسطط بعد من المقاطعات الشرفية . وله من الزمن ما يؤجل عهد

(٢٤) المصدر السابق . ص ٢٤٥

(٢٥) المصدر السابق . ص ٢٤٨

سقوطه . ويلم شعثه . ويمد بعضهم لعص بدا . عسى أن تكون يد الله فوق أيديهم ! (٣٦)

وعندما لاح «السقوط» قدرا معنويا . لعوامل التحدي والصعاب الداخلية . والطغيان المحيطة الاستعمارية . لم يأنس الأتقي . وإنما - مع اعتزافه باستحالة تعادي هذا المصير - تاصل - كما قلنا - لتفصيل أمدّه . وتعميل حصاره . ورسم الطريق للحلاص من بلواه . وعبرت من هذه النعسة كلياته التي يقول فيها : «إن مبدأ تدهور ممالك المسلمين في الشرق كان من شاطئ عظيم . لا يمكن للحكيم الوقوف في سبيل سقوطه وهو في وسط الإبحار . أو يقربه من نقطة المركز ذلك الشاطئ العظيم . شاطئ حكمة الأديس ؟ ! . وإذا كان انحطاط الأمم مرصا . وله سير مرسوم . فيتعذر على الطبيب الخادق توقيف السير . بل غاية ما يمكنه الإتيان بالمطهرات والمسكنات . حتى ينتهي السر . ويميل العليل . ويدخل في دور الشفاة نعم لو استقلت قدرة البشر بالتأثير . ما انحط رقيع . ولا صعب فري . ولا انهزم مجد . ولا تفرض سلطان ! (٣٧)

إن عيلة «التحلف الموروث» و«الواحد العربي» . اللذين حرمتها حروب الاستعمار . إن تعلما على دعوة الأتقي وحركته . لم تكن بالنعسة التامة ولا النهائية . لقد طلت دعوته الحثوة التي تؤمّن بالتحديد الرافض «للتحلف الموروث» . والمشير إلى «الهديل» . «الهديل» الحصارى الخاص بالأمة . والكفيل بإيقادها من مسح «الشعير» والتشويه الذي حمّنه للشخصية القومية سيادة حضارة العراة !

(٣٦) المصدر السابق ص ٢٤١

(٣٧) المصدر السابق ص ٢٤١ . ٢٤٢

كذلك طلت دعوة الأفعاف وحركته المثل والقدوح الذي استلهمته
 مسائل نيار [الصحوة الإسلامية] ، صد عصر الأفعاف وحيي الآف هذه
 «الصحوة» التي علق الأفعاف عليها آمال إبفاذ الأمة من آثار «السقوط»
 الذي رآه قدرا مفدورا إبان سيادة الجمود وعموان هجمة الاستعمار
 فلقد تحدث عنها ، وصر دورها المربف هذا . وهو يتطلع إلى المستقبل .
 فقال : « إنا نحتاج إلى عمل جديد . نرى به جبلا جديدا . نعلم
 صحيح . وفهم جديد تحففة معنى السلطان الأول على الأجساد
 والأرواح . وهو «الدين» . وجمع ما نشئت من الكلمة من أهل
 الأدبان . ونوجب العزم على قبول الموت في سبيل حياة الوطن بفوم
 بذلك حمميات بتولى أمرها أناس يأخذون على أنفسهم الأثبة عهدا ، ألا
 بقرعوا بنا لسلطان ، ولا بضعضعهم الحدائق . ولا بشى عزمهم الوعد .
 ولا بصرهم الوعد بالمنصب . ولا بلفهم النجارة ولا المكس بل فوم
 بروى في الناعب والمكاره . بحاة الوطن من الاستعباد . غابة المعص . وفى
 عكسه المعرم ! »

ثم استطرذ الأفعاف . وهو يستشرف آفاق المستقبل . ويرسم ملامح
 نيار [الصحوة الإسلامية] . الشعبى المسلح سلطان الدين ، بعد فهم
 حقيقته . ويسلطان العلم .. والسالك إلى غايته طريق الشهداء ! .
 يستطرذ ليشرب بجمعية انتصار هذا النيار على «السقوط» الذى صاد عالم
 الإسلام . فلفد قال القدماء : «الحاجة أم الاختراع» . وقال المصطفى .
 صلى الله عليه وسلم : «اشتد أزمه فقرحى» ١ . فالأزمة تلك الهمة . ولا
 رجاء من المستضعف إلا إذا بشى ٢ ! ولا ينسج الأمر إلا إذا صادق . ولا
 بظهر فصل الحجر إلا بعد الطلام الخالك . وعلى ما أرى . قد أوشتك فجر
 الشرق أن بشق . فلفد ادغميت فيه ظلمات الخطوب . وليس بعد هذا

الصبي إلا الفرح . سنة الله في خلقه

ومهما ادغم المخطئ لأبد بجبل

وأظلمت الدنيا فلا بد من لحر ١٣٩١

هكذا تنيا حال الدين

والآن نسأل : ألم تصدق توبه هذه ؟ ! وألا تتعلق الآمال

الصادقة ، اليوم ، بشار [الصحوة الإسلامية] ، الذي يواصل المسيرة على

الدروب الذي ارتاده الأفعاني ، لينقذ الأمة ، «بالهبة الإسلامية» ، من

آثار «السقوط» الذي حال بين مشروع الأفعاني وبين الانقصار في الصف

الثاني من القرن التاسع عشر ؟ ! .. إن صراوة الحمله على حال الدين .

من أعداء [الصحوة الإسلامية] ، يؤكد هذا الذي يقول * ١

• • •

لقد مار على دروب الأفعاني - دروب «الحامية الإسلامية» - كل الناس

أنصروا أن لحاء الأمة من «السقوط» في شرك الاستعمار - إنما تكمن في

معضتها المؤسفة على التحدن الإسلامي ، تلك الهبة التي تحفر الوحه

الإسلامي والعومي للأمة ، ولا تقطع روابط أبنائها القومي والإسلامي

«بالإفريقية» و«العابية» و«التعريب» .

● فأحمد عرابي [١٢٥٧ - ١٣٢٩ هـ - ١٨٤١ - ١٩١١ م] قائد الثورة

التي ذهب شعار «مصر للمصريين» علما عليها .

هو الذي امتكر - في رسائله إلى حورحى ريدان - أن يكون هدف

الثورة العرابية اسقاط الدائرة الإسلامية من «محيط الانتماء» وقال

(٣٨) المصدر السابق ص ٤٥٦ ، ٤٥٧

« إن هذا الادعاء هو من إرخاص المرحضين .. لأنى أرى فى ذلك صياغا للإسلام عن فكرة أليه ! » (٣٩)

● مصطفى كامل [١٢٩١ - ١٣٢٦ هـ - ١٨٧٤ - ١٩٠٨ م] الذى اتهمه أعداء « الجامعة الإسلامية » - روبرا ومثابا - بأنه « لم يرفع شعار استقلال مصر التام ، بل باصل لإعادة البلاد إلى حظيرة الامبراطورية العثمانية يتشبهه بفكره الجامعة الإسلامية » (٤٠) - وهو الاتهام الذى يوجهه الدكتور لويس حوصى إلى الأفتاى ! - مصطفى كامل هذا هو الذى جمع فى فكره وحركته بين كونه « شاعر الوطنية المصرية » وشهيد الاستقلال المصرى ، وبين دعوته إلى « الجامعة الإسلامية » . باعتباره إشارا لاشياء الفكرى والسياسى والخصارى - الأوسع - لمصر ! فهم يقول « إننا نطلب استقلال وطننا وحرية ديارنا . ولا يبعثنا هذا من النظر إلى الوحشة للدولة المسألة المصرية . فمصر للمصريين . وبحال أن نطلب مالكا أجنبيا عما . لكننا نود أن تكون قوة محالفة للدولة العلية (العثمانية) . من ماموس الطبيعة أن من اتكفب مصالحهم يستحق ويناصرون . ونحن إذا اعتمدنا على الإسلام وقواعده وأوامره وإرشاداته ، وأخذنا من المذاهب العربية هوائدها ومافعها . بلعنا أقصى ما يرام من مجد وعروسود ومقام رفيع . قبل المسلم لأساء ديه أمر طبيعى وشرعى . يركبه أن لناأخر الشعوب الإسلامية أصابا واحدة . وهذا هو معنى حركة الجامعة الإسلامية ! .. » (٤١)

(٣٩) انظر كتابا [العروة فى العصر الحديث] ص ٢٤٦ طعة القاهرة سنة ١٩٠٧ هـ

[والرسالة مشعرة بترجمة حوى . بلان لعراقى فى كتابه [ترجمه مساهمات التشرى]

(٤٠) لوسكى [منابع الأفتا العربى جلد ١] ص ٢٩١ طبعة موسكو سنة ١٩٧١ -

(٤١) سدا لرحضى لرحضى [مصطفى كامل] ص ٣٦٧ - ٢٢٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٤٨٢

« اللوائ » جلد ٢ طبع سنة ١٩٠٦ هـ

● وحسبنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م] الذي مثل
أحد رموز [الصحوة الإسلامية] التي ارتاد الأقطار طريقها هو الذي
يؤكد « العروة الوثقى » بين دوائر « الوطنية » و « القومية » و « الإسلام »
على « العالمية » . بالنسبة لمصر وشعبها . فبقى التناقض بين هذه الدوائر .
وبدء مشات « الاقليمي » و « العنابي » و « المتغربين » حول دعوة « الجامعة
الإسلامية » وحركتها .. وذلك عندما يقول : « إن مصر هي قطعة من
أرض الإسلام . وزعمه أمه . وفي المقدمة من دول الإسلام وشعوبه
والمصرية لما في دعوتنا مكانها ومثلثها وحفظها في الكفاح والنضال . إننا
نعز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب . عاملون له . مجاهدون في سبيل
حيه . ومنظلي كذلك ما حيننا . معطين أن هذه هي الحلقة الأولى في
سلسلة النهضة المنشودة وإنا - [أي مصر] - جزء من الوطن العربي
العام . وإنا حين نعمل لمصر نعمل للعروة والشرق والإسلام
والعروة - [وهي الحلقة والدايرة الثابتة والثابتة] - لما في دعوتنا -
كذلك - مكانها البارز وحفظها الوافر . فالعرب هم أمم الإسلام الأولى
وشعبه المنحير . ونحن ما قاله صلى الله عليه وسلم . إذا ذل العرب ذل
الإسلام . ! ولن يهبط الإسلام بغير احتياج كلمة الشعوب العربية
ومصنعا . إن هذه الشعوب الممتدة من الخليج إلى المحيط كلها عربية .
جميعها العفيدة . ويوجد بينها اللسان . وتزلفها الوضعية المتأسفة في رفعة
من الأرض متصلة متشابهة . لا يحول بين أجزائها حائل . ولا يفرق بين
حدودها فارق . ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروة نعمل للإسلام .
ولخير العالم كله . ودعوتنا ذات مراحل . ونرجوا أن نتحقق نافعاً مريحاً
أن تقوم في مصر دولة مسلمة . نحتصن الإسلام . ونجمع كلمة العرب .
ونعمل لخيرهم . ونعطي المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذي
عدوان فواجب أن يعمل الإنسان لوطه . وأن يقدمه في العمل على

سواء رواجب أن تعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومباصرتها باعتبارها الحلقة الثابتة في النهوض رواجب أن يعمل للجامعة الإسلامية . باعتبارها السباح الكامل للوطن الإسلامي العام ولا تعارض بين هذه الوحدات . بهذا الاعتبار . فكل منها يشد أزر الأخرى . ويحقق الغاية منها ! (١٢١)

« « «

تلك هي حقيقة دعوة الجامعة الإسلامية [وحركتها] عند رائدها جمال الدين الأفغاني وعند الذين ساروا على الدروب . من الوطنيين القوميين الإسلاميين !

إن « وطنية » الإسلاميين . دعوة « الجامعة الإسلامية » . هي الأسمى والأرق والأصغر من منيلتها عند « الأقليميين » . العلمانيين المتعربين ، بما لا يقاس ! . ما هيئت أن ولاء الإسلاميين - بعد دائرة « الوطن » - إنما هو لعموميتهم وحضارتهم . أما « الأقليميون » . العلمانيون . المتعربون . فإن ولاءهم - بعد دائرة « الوطن » - مصروف ومتوجه إلى حضارة الأعداء العراء ! .

(١٢١) حسن البنا (مجموعة الرسائل) ص ٨٨ . ٩٩ . ١١٢ . ١١٤ . ١٢٦ . ١٢٨

مجمع دار الشهاب لبيروت

عمران المسند العادل !

إن أئمة حبال الدس الأفغان لبرعة ، الحرية ، وريادته في الدعوة إلى أن تكون الأمة هي مصدر السلطات . وأن يكون الحكم للإرادة الشعبية . في السياسة وتنظيم اجتماع ومبادئ الدولة . إن أئمة حبال الدين وريادته للدعوات والحركات التي برعت هذا المخرج في عصرنا الحديث هي مما شهدت عليها وفاته هذا العصر . وصلى عليها الدس أرجوا له في فكرنا الحديث

ومع ذلك ، يتبدد الدكتور لويس ، فيصاوم حقائق الواقع التاريخي . ويصير عرص الحائف - دوما قليل أو قرية - بل ولا شبهة ؟ - تماكنه المنكروا والعلماء والمؤرخون عن عشق الأفغان للحرية ، ومضاه في سبيل تحرير الأمة من الاستبداد !

إن الشيخ مصطفى عبد الرزاق [١٣٠٢ - ١٣٦٦ هـ - ١٨٨٥ - ١٩٤٦ م] وهو من هو إمامة وعلم واستشارة وأمانة - يعدلنا عن أن أساس الجور للعمالك الشرمة ، عبد حبال الدس الأفغان قد تطور في أمس ثلاثه

١ - خلاص هذه الأمم من سلطان الأجنبي

٢ - وخلصها من الحكم الاستبدادي .

٣ - ثم تلازمها نوع من الوحدة يعوى العناصر بينها ويكمل لها العلب

ويستورد الشيخ مصطفى عبدالرازق ليقول : « وحسب حال الدين من عظمة ومحد ، أنه ، في تاريخ الشرق الحديث : أول داع إلى الحرية . وأول شهيد في سبيل الحرية » (١) ١٩

هذا ما قاله الإمام مصطفى عبدالرازق وسبقه إليه . ونعنه فيه العلماء والأعلام الذين كتبوا عن موقف الأفغانى من « الحرية » ومن « الاستبداد »

فإذا يقول الدكتور لويس في هذا المقام ١٥

إنه يدع - في ساطة لا يعرف المسئولة المكوبة - ليعزى على الأفغانى عندما يتهمه بماصرة الاستبداد ؟ ! وأنه قد عاش شرعاً بحكم « المستبد العادل » ١٦ ! وأنه لم يكن أبداً داعية للحكم الدستوري والديمقراطي ١٧ ! « لما كان يدعو إليه الأفغانى - [ينظر الدكتور لويس] - هو حكم « المستبد العادل » فليس في كلامه أثناء مرحلته المصرية أى برنامج للحكم الدستوري بالمعنى المتعارف عليه ١٨ »

وعندما يوضح الدكتور لويس نراث الأفغانى - مقالات ومحاضرات -

الذى حاجم فيه الاستبداد والمستبدين - يسمى لتخرج هذا النراث من مصبوبة الواضح الحاسم الناصح . حتى ولو كلفه ذلك تخريج مبدأ « الشورى » ومضمونها كملسفة للحكم في الإسلام . يقول الدكتور لويس ، عن نراث الأفغانى في هذه القصبة : « أما حله لمشكلة الاستبداد ، التى كان يكر من الكلام فيها ، فيقف عند نظام

(١) مقدمة محبوبة [العروة الوثقى] ص ١٤

«الشورى» ، أى «حكومة الحكماء» ، أهل الرأى والعلم والخبرة كعرفه مشورة للحاكم أى كان هذا الحاكم^(١) .

ونحن لن نقف فى هذا المقام . لناقش اثره الدكتور لويس على «الشورى» الإسلامية . هو هذا النص أحاث ودراسات كما تنعى أن يقرأ بعضها بها فل أن يكتب هذا الكلام فقط يريد أن يسه إلى أن

● «الشورى» الإسلامية ، كما جاءت فى القرآن والسنة ، هى «فلسفة حكم» . وليست «نظاما» منفصلا وحائرا لكل زمان ومكان . فأى سبيل يسلكه المسلمون لتحقيق الحد الأقصى من سيادة إرادة الأمة . هو أقرب السبل إلى روح «فلسفة» «الشورى» التى دعا إليها الإسلام

● وهذا التصور الذى رأى به الدكتور لويس «الشورى» الإسلامية مجرد «عرفه مشورة للحاكم» . أى كان هذا الحاكم . . هو ذات التصور الذى يقدمه ظا عللة أهل الحسود والرجعية والتخلف من الإسلاميين ! مهينا له هذا الاحتيار . وذلك المعسكر الذى وضع نفسه فيه ؟ !

أما ما هى حقيقة موقف الأفعالى من «الحرية» ومن «الاستبداد» ؟ فإيا لو وقفا عند حدود «الوقائع» و«النصوص» التى أوردها الدكتور لويس فى «دراسته» . لكان ذلك كافيا فى نص دعوى الدكتور لويس ؟ !

● فهو فى حديثه عن حطلة الأفعالى بقاعه «رعبيا» - الاستكبرية - يذكر . منس نقاط البرنامج الذى طرحه ودعا إليه .
(أ) «إدانة استبداد الحكام» .

(٢) [النص:] العدد ٨ من ٦٦ والعدد ٩ من ٦٠

(ب) «ودعوته لإشياء تنظيم سياسي . هو الحزب الوطني . ليحمي النظام الثباتي .

(ج) «ودعوته لحرية الاحتجاج وحرية الصحافة»

وها نسأل . أليست هذه الأهداف داحلة . بشكل مباشر . في بصره الحرية ومعاداة الاستبداد ؟^{١٤} وأين هي الدعوة إلى حكم «المستبد العادل» . عد من يدعو إلى «إنشاء تنظيم حزبي سياسي . هو الحزب الوطني . ليحمي النظام الثباتي»^{١٥} على الصائل لحياة «النظام الثباتي» هو - في رأي الدكتور لويس - من مقومات حكم «المستبد العادل» ؟^{١٦}

فإذا أضعنا إلى أهداف الأفعاني هذه . دعوته - كما جاء في «دراسة» الدكتور لويس عن ذات الخطوة - خطوة مسرح «بربرييا» - دعوته إلى «إبراز دور القوميات»^{١٧} و«إثارة التعصب الديني» و«دعوته لتعليم المرأة»^{١٨} . إلخ . . راد التساؤل . أليست جميع هذه الأهداف ليات في صرح الحرية . ومعاول في صرح الاستبداد ؟^{١٩}

● وغير محاصرة «بربرييا» . فإن الدكتور لويس يقتبس لنا من مقال الأفعاني [اليان في الانكليز والأفعان] - الذي نشرته جريدة [مصر] في خريف سنة ١٨٧٨م - فقرات منها كلمات الأفعاني التي تقول .
«فالخرق الآن قد فسمه الأخفى بسبب تخلفه . ولهذا التحلف سنان

الأول التعصب

والثاني : الاستبداد

أما التعصب فهو إساءة استعمال الدين . وإخروج عن صفة الأبناء

(٣١) | الخامس | العدد ٩ من ٤٩

مؤسسى الأديان أما الاستبداد فهو تنفيذ الأذى بإرادة رجل واحد وقد انتهت هذه الحقبة منذ أن حقق المصريون الحكم البرلماني الذي لا مناص من تأييده إذا أردنا الاستمرار .

لكن الدكتور لويس . بعد أن أورد هذه الكلمات . التي يدس فيها الأفعالي الاستبداد . ووجد «الحكم البرلماني» ويدعو إلى تأييده لصيانة الاستمرار على طريق الحرية . بعد أن أورد هذه الكلمات . يسعى ليحرم الأفعالي من هذا الشرف . . . يقول . إن الأفعالي كان مضطرا إلى هذا القول . حتى لا يظهر في صورة الخائن . فيعتقد كل قواعد بين المصريين « إن هولم مؤيد وراة » شريف باشا الدستورية التي شكلت في ٧ إبريل سنة ١٨٧٩ م ؟! ^{١١} ولم يحال الدكتور لويس بعد هذا السؤال البسيط كيف « يضطر الأفعالي إلى كتابة كلام في عريف سنة ١٨٧٨ م يعاقب الحكومة تألفت في ٧ إبريل سنة ١٩٧٩ م ؟! » هل هو « تعاقب مشي » ماعريتنا الدكتور لويس ^{١٢}

● ومقالة أخرى من مقالات الأفعالي في « الحرية » وه الاستبداد . يورد لنا الدكتور لويس بعضا من نصوصها . فبعد في مقاله عن [الحكومة الاستبدادية] - الذي نشرته جريدة [مصر] في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٩ م - أن قيل تأليف وزارة شريف ؟! - عند قول الأفعالي « إن من يساسون بالحكومة الدستورية لتبقيت لهم العطرة الاسابية السليمة التي تحفرهم للحروح من حياتهم السعيدة الوسيعة للفرح أقصى درجات الكمال والتخلص من تور الحكومة الاستبدادية التي تثقل

كواهلهم ،^(١٥) فاجلست هما . صراحة . عن التلخص من « مير
الحكومة الاستبدادية » .

وعن « الحكومة الدستورية » وليس عن « حكومة الحكام » .
وهو عرق منورة الحاكم أيا كان هذا الحاكم . من أين جاء الدكتور
لويس بهذه الأحكام ؟ وما حشيت قوله إن الأفعى لم يكن له « أى
برامج للحكم الدستوري » في سنوات اقامته بمصر ؟ ! ! .

٥ . أما النص الثالث الذى أورد الدكتور لويس فقرات منه . فهو مقال
الأفعى المصور . [الملة الحقيقية لسعادة الإنسان] - وهو الذى نشرته
حريته [مصر] في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٨ م - وهو الآخر مكتوب ومصور
قبل تأليف وزارة شريف باشا سنة ١٨٧٩ م - وفي هذا المقال يقول جمال
الدين : « إبه لا طاعة للحكام إلا إذا قاموا بحماية شعوبهم وحكموا بالقوانين
المعادلة . أما الحكام الجشعون أو الظالمون فلا يجب لهم طاعة ولا عفاة
للناس من نقاتهم إلا بالاحتكام إلى العقل في كل شيء . وتحرير
أعناقهم من استعبد السلاطين الأتانيين والخروج عن طاعتهم »^(١٦) .

هذا ما كتبه الأفعى . منذ أكثر من قرن من الزمان والدكتور
لويس يعترف بما في هذه الأفكار من « حصص على الثورة ودعوة إليها » .
لكنه « لا يسى أن يقول عنها » : إنها لا تأتى بمحدد « فالأفعى لا يقدم
للناس الحلول الديمقراطية المألوفة . بل يحدد الحل في نظرية « المسد
المعادل » ! ! »^(١٧)

أى . والله . هذا هو مقوم الدكتور لويس لأراء الأفعى المعادلة

(١٥) [التلخيص] العدد ١٤ من ٧٨

(١٦) [التلخيص] العدد ٩ من ٦٠

للاستبداد ، والداعية إلى الثورة عليه ! وبص كلبات الدكتور
لويس ١٥

• • •

وعن إذا تجاوزنا ما اقتضه الدكتور لويس من كتابات الأفعالي عن
« الحرية » وعن « الاستبداد » - وهو كتاب أصبح الأفعالي في مكانته وكأول
داع للحرية - وأول شاهد للحرية ، في تاريخ الشرق الحديث - كما قال
الشيخ مصطفى عبد الرزاق - ، إذا تجاوزنا ذلك إلى أعمال الأفعالي
العكرية ، فسنجد بها الكثير من الشواهد على صدق ما كتبه العلماء
المصنفون عن هذا الجانب من فكره وبصائه وعلى سبيل المثال

● فإن الأفعالي لا يدع مجالاً للشك - عند المصنف الأسس - في اختياره
إلى مبدأ - « أن الأمة هي مصدر السلطات » في سياسة المجتمع ، بما فيه
ذلك من ضرورة « استمداد السلطة التزمية قوتها من الأمة » ، والتزامها
بتحقيق مصالح الأمة وحقوقها ، وخاصة في الأسس والعدل »
وذلك بالبدء القائل - « فإن أفعال الأفعالي - ، « إن الإرادة الحرة للشعب
الحرة هي القانون » ! وفي هذه المعاني المحددة والواضحة يقول جمال
الدين « إن السلطة الرمتبة ، ملكها أو سلطانها ، إنما استمدت قوتها من
الأمة لأجل قمع أهل الشر ، وصيانة حقوق العامة والخاصة ، وتوفير الراحة
للمحموع بالنسبة على الأسس ، وتوزيع العدالة المطلقة ، إلى آخر ما في
الوارج والسلطان من المبادئ العامة .

أما إذا أودعت هذه السلطة رجل عر حافل غات ، اكتسبه قوم من
فاسدى الأخلاق - مجهول الأعراق ، يملعون بالسلط كيف يشاءون - ثم
يحتجون على الشعب بظوم ، « مشيئة الملك قانون المملكة » ! - « هد
القول ، على تلك الحالة ، مما يجب على الأمة وفوقها لحاجه ، وأن نظامه

بكل ما لديها من قوة ، لأن الحق في هذا إن إرادة الشعب ، غير المكروه وغير المسلوب حريته ، قولاً وعملاً ، هي قانون ذلك الشعب المنع . والقانون الذي يجب على كل حاكم أن يكون خاضعاً له . أمياً على تنفيذه ،^(٧)

● واختيار الأفعافى إلى صدا . « الأمة هي مصدر السلطات » وإرادة الشعب الحر هي القانون . لم يجل من التصورات المحددة التي نصع هذا المبدأ في التطبيق . فقد انخر الرجل إلى صف « الحكم الباقى » ، ودعا إلى أن يكون « الواسع » محتجاً جميعى للشعب الذى يتحدثون باسمه . وأدان « الأشكال الخيابة » التى يصنعها المستعمرون والمسيديون . وى ذلك كتب يقول : « إن القوة السياسية لأى أمة كانت ، لا يمكن أن نخرج المعنى الحقيقي . إلا إذا كانت من نفس الأمة . وأنى مجلس باقى بأمر بتشكيله ملك أو أمير أو ثورة أحبة محرقة لنا . فاعلموا أن حياة تلك القوة السياسية الموهومة موقوفة على إرادة من أحدثها »^(٨)

● ولقد سعى الأفعافى - أثناء مقامه محضر - وعندما تولى الحكم الخديوى توفيق سنة ١٨٧٩ م - سعى إلى هذا الخديوى لبطل تردده إزاء الحكم الدستورى والباقى - وكانت « حجة » الخديوى أن الشعب لم يصح إلى الحد الذى يحس فيه اختيار النواب الأكفأ . ! فنحدث الأفعافى إليه قائلاً : « ليسمح لى سمو أمير البلاد أن أقول بحرية وإخلاص : إن الشعب المصرى ، كسائر الشعوب ، لا يخلو من وجود الحامل والجاهل بين أفرادها . ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل . فبالنظر الذى ينظرون به إلى الشعب المصرى وأفراده ينظرون به إلى سموكم . وإن قلتم يصح هذا

(٧) | الأبحاث الكاملة لحول اليس الأفعافى | ص ٣٦٣

(٨) | مصدر السابق ص ٤٧٣

المخلص وأسرعهم في إشتراك الأمة في حكم البلاد عن طريق الشورى ،
فأمرهم بإجراء انتخاب نواب عن الأمة من القوائى ونفذ ما يحكمهم
وبإرادتهم . فيكون ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم .^(٩)

والشورى هنا - رأى الأتعالى - هي الحكم البىانى ، التابع من
الشعب ، والذى يقول فيه يمثلو الأمة سلطات التشريع والتنفيذ والتعد
وليس «حكومة الحكماء» و«عرفة للشورة للحاكم» . أيا كان هذا
الحاكم ، كما ادعى الدكتور لويس^(١٠) .

■ بل إن الأتعالى ليذهب في إجماعه «بالحكم الدستورى» - اتينانى - .
وإعباراً إبه . إلى الحد الذى يرى فيه «حياة مصر والشرق» .. وق فنده
الموات^(١١) . يقول : «لأنها مصر ولا يحيا الشرق» . بدوله
واماراته . إلا إذا أتاح الله لكل منهم رجلاً قوياً عادلاً . يحكمه بأهله .
على غير طريق الفرد بالقوة والسلطان . لأن بالقوة المطلقة الاستداد .
ولا عدل إلا مع القوة المفيدة . وحكم مصر بأهلها إنما أعنى به الاشتراك
الأهل بالحكم الدستورى الصحيح . وإذا صح أن من الأشياء ما ليس
بوجه . فأهم هذه الأشياء (الحزبة) و(الاستقلال) . لأن الحزبة
الخفية لا يهبها الملك والمسيطر للأمة عن طيب خاطر . والاستقلال
كذلك بل هاتان العمتان إنما حصلت وتحصل عليهما الأمم أحدا بقوة
وافتنادو بحل - [أى بجلط و بطيح] - التراب منها بدعاء أبناء الأمة
الأماء . ابن النفوس الأبية والضمم العالية . أما تغيير شكل الحكم المطلق
بالشكل اتينانى الشورى فهو أبسر مطلقاً وأقرب مالا^(١٢) .^(١٣)

(٩) المصدر السابق ص ١٧٣

(١٠) المصدر السابق ص ١٧٧ . ١٧٨

«المطلوب هو محاور «الشكل» الحادج . إلى «المقصود» الحملي .
الذي يعنى «الاشتراك الأهل» - [أى اشتراك الشعب فى حكم نفسه] -
«الحكم الدستورى الصحيح» ؟ . وتلك غاية لامد من أن يدفع الشعب
لها «الشمس العلى» . حتى من دعاء أسائه الأبناء ؟

● وكما أن الحصول على (الحرية) والحكمه الثباتى الدستورى . قد
يتطلب القوة والنوره وإرافة الدعاء الركيه . فإن الحفاظ عليه وصباته .
قد يتطلب هذا التمسك «العالى» والطبعى . أيضا ؟ .. إى . لا يسلم . على
العالم . الشكل الدستورى الصحيح مع ملك ذاتى لهذه الشهود
بالسلطان . وبمعظم الأمر عليه كلما صادمه مجلس الأمة بإرادته وعمله على
هواه . ولذلك قلت - [والفائل هو جهل الدين !] - «إذا أفاح الله
رحلا قريبا عادلا لمصر والشرق يحكمه بأهله» . ذلك الرجل . إما أن يكون
موجودا . أو تأتى به الأمة لتملكه على شرط الأمانة والخضوع لقانونها
الأساسى - [أى الدستور] - وتوجهه على هذا القسم . وتعلمه له بقى
التاج على رأسه ما بقى محافظا أميناً على صون الدستور . وأنه إذا حث
بضمه . وحن دستور الأمة . إما أن بقى رأسه بلا تاج . أو نأجه بلا
رأس ؟ !

هذا ما يحسن بالأمة فعله إذا هى عشت من أمواتها وملوكها عدم
الاحلاص لقانونها الأساسى . أو عدم قابليتهم لقول الشكل الدستورى
قلبا وقالبا ؟ .. (١١)

تلك هى أفكار الأعداء . التى صاعها فى هذه السادج التى احترباها
من فكره المياسى والدستورى . والتى نأصل كى يصعها فى التطبيق أبا

حل أو ارتحل . وقد أنحرط في موكب بعض الشرق في سبيل (الحرية)
 و (التوحيد) و (الاستقلال) إلى أن عادت معه الركبة إلى ماريتها
 فأبى هي . إدد . « الأفكار » أو « الممارسات » . بل أس « الشهات »
 التي تتيح لقلم يستشر حامله الأمانة أن يكتب إلى تراثه يقول . إن
 الأفعافى كان داعية لحكم « المستند العادل » ؟ !

أبى مرزبان هذا الادعاء العظام والشاد والعريب ١٧
 وأن الأمانة في تناول إمام أصحى - يحكمه وبصائه - حراً من صميم
 الأمانة . على هذا البحر العظام والشاد والعريب ١٨



وبعد
 فقد أشرت في بعض صفحات هذه الدراسة إلى أن قد ترددت .
 لبعض الوقت . في أن أناول « بالقد » و « التجديد » ما كتبه الدكتور لويس
 عوض عن حال الدين الأفعافى لما تغير به هذا الدين كتبه من مستوى في
 العناية والشدود لم يسبق له . فيما قرأت - مثيل .. اللهم إلا تلك الكتابات
 التي حفظها جهلاء المسلمين وعلائهم عن الإسلام وبنيه ، صلى الله عليه
 وسلم . بل أن تتبع المذبة والخسارة في محتمات هؤلاء المبشرين ١٩

لكنني قد عدلت عن الردود . واحضرت أن أكتب هذه الصفحات .
 بقدا وتعبدا . لما كتبه الدكتور لويس . لا سيما وراء إقاعه خطأ هذا
 الذي اعتراه وأعانه عليه قوم آخرون ! . وإنما لأقيم حواراً مع القارئ
 العربي والمسلم حول القضايا التي عرض لها فيما كتب عن حال الدين .
 ذلك أني أعلم أن القراء . حبال الدكتور لويس . قريبان
 أولها أولئك الذين لا يحسون الظن به - أو يسيئون الظن به -

وهؤلاء لا يقيمون وربما لما يكتب .. وإن استعزهم هذا المستوى الذي نلعم
فيها كتب عن الأعماني ! .

وثانيها أولئك الذين كانوا يحسون الظن بالدكتور لويس - ولقد
كنت ممن يحسون الظن بما يكتب الرجل في نطاق تخصصه عن الآداب
والفنون العربية - ولقد « صدم » هذا الذي كتبه عن الأعماني لفته هذا
العريق فيه ، ورأى حس ظم به رالاً شديداً . كما يلفهم بليلة
كبرى ! . وإلى هذا العريق - بالدرجة الأولى - قصدت عندما كنت
هذه الصفحات !

ولست أشك في أن « طلاب الحقيقة » ، من قراء الدكتور لويس ،
الذين كانوا يحسون به القلق ، سيرددون معاً - وهم آسفون - [عليه
العوض ، في الدكتور لويس عوض]^{١٢٧}

أقول قول هذا ، وأستعمر الله في للقراء - ولقد هممت أن أستعمر الله
للدكتور لويس على ما اقترأه على حبال الدين الأعماني - ولكنني تذكرت
قول ربي . سبحانه وتعالى [الذين يلعبون المطوعين من المؤمنين في
الصدقات والدين لا يحبون إلا جهدهم فيسحرون منهم سحر الله منهم
ولهم عذاب أليم استعمر لهم أو لا تستعمر لهم إن يستعمرهم سبعين مرة
فلن يعقر الله لهم . ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله . والله لا يهدي القوم
الفاسقين]^{١٢٨} ! صدق الله العظيم

المراجع

- أحمد بن دلا [المنق] مجلة فصلية - العدد الأول . باريس سنة ١٩٨٣ م
- أحمد عصبه الله [العمروس الإسلامى] طبعة القاهرة
- الأعمال الكاملة [دراسة وتحقيق د محمد عماره] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م وطبعة بيروت سنة ١٩٧٩ م
- [الثانية] في [دائرة المعارف] تحرير بطرس السبتي طبعة بيروت
- [مجموعات الآثار في المراحه والأحجار] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨ م
- [معظم النفوسى بركات سوله الفرنسيين] طبعة القاهرة
- [تراجم مشاهير الشرق] طبعة القاهرة
- [جمال الدين الأعماني] في [دائرة المعارف الإسلامية] الصفحة العربية . الثانية دار الشعب القاهرة
- خرجي ريدان [كشف الطوبى عن أسامي الكتب والمصون] طبعة
- جولد ممبر
- جاسي جلعه
- استامبول سنة ١٩٤٦ م

حضر الأبي	[دائرة المعارف الإسلامية الشبعة] طبعة بيروت
حسن البنا	[مجموعة الرسائل] صبعة دار الشهاب القاهرة
الرافعي (عبد الرحمن)	[مصطفى كامل] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢
رشيد رضا	[تاريخ الأئمة الإمام] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٦ م
سركيس (يوسف إليان)	[معجم المطبوعات العربية والعربية] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨ م
سلمى مغاوي	[مصر للمصريين] طبعة الاسكندرية سنة ١٨٨٤ م
صابر طعيمة	[الماسوية ذلك العالم المجهول] صبعة بيروت سنة ١٩٧٩ م
الطهطاوي (دفاعه رافع)	[الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د محمد حمادة طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ م
الطوسي (أبو جعفر)	[تلخيص المشافعي] نسخة المخطوط سنة ١٣٨٣ هـ
فيليب حتي	[تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين] طبعة بيروت سنة ١٩٥٨ م
الكواكبي (عبد الرحمن)	[الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د محمد حمادة طبعة بيروت سنة ١٩٧٥ م
لوتسكي	[تاريخ الأقطار العربية الحديثة] طبعة موسكو سنة ١٩٧١ م
لبنون ستودارد	[حاضري العالم الاسلامي] طبعة بيروت سنة ١٩٧١ م
لوسى عوصى (دكتور)	[الايراني الطامس د مصر] مجلة [التضامن] لندن - الأعداد ١ - ٢٢ سنة ١٩٨٣ م [وأصل هذه الدراسة قبل نشرها]
	[خارج الحكم المصري الحديث] ج ١ ، ٢ طبعة

- كتاب الحلال - القاهرة سنة ١٩٦٩ م
- [مقدمة في فقه اللغة العربية] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠ م
- محمد الأحمدي [حلال الدين الأعفاني] طبعة بدون تاريخ ولا مكان الطبع
- محمد عبد [الأحوال الكاملة] دراسة وتحقيق د محمد حمادة طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ م
- محمد حمادة (مكتوب) [العروة في العصر الحديث] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٨ م
- [العرب والتحدى] طبعة الكويت سنة ١٩٨١ م
- [المادة والثالية في فلسفة ابن رشد] طبعة القاهرة سنة ١٩٧١ م
- محمد الفاضل بن عاتق [التفسير ورحاله] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م
- محمد هزاد عبد الباقي [المعجم المجهز لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب القاهرة
- محمد هزاد باشا المصري [كتاب التوقيعات الإلهامية] دراسة وتحقيق د محمد حمادة طبعة بيروت سنة ١٩٨٠ م
- مصطفى عبد الرازي [حلال الدين الأعفاني] مقدمة مجموعة [العروة الوثقى] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٧ م
- ميرزا طبع الله [حلال الدين أحمد آبادي - المعروف بالأعفاني] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٧ م
- وسيلك (أ ي) [المعجم المجهز لألفاظ الحديث النبوي الشريف] طبعة ليدن ١٩٣٦ - ١٩٦٩ م

دوريات

[الأهرام]

[السياسة الدولية]

[اللواء]

[ملف المستعصبات العربية البديلة]

الفهرس

الصفحة

٥	تمهيد " قصة الخطط " وأنواعه . ومراميه
٢٢	الدواعي والمطلقات
٣٨	طريق الحواسيس لا طريق العلماء ؟ !
٦٣	تشكيكك واعتراء
٩٨	هل كان الأفعاني ملحدا رديقا ؟ !
	هل كان الأفعاني " إيرانيا " ؟ و " شيعيا " ؟
١٢٧	هل و " نابيا " ؟ !
١٦١	الجامعة الإسلامية
٢٠١	حراسة المستند العادل
٢١٤	المراجع

رقم الإيداع: ٢٠٩٤ / ٢٩٨٨ رقم البرق: ٦ - ٥٤٤ - ٤٤٨ - ٩٧٧



مطابع الشروق

www.SHORQ.LY
SPRINGER 301741 E

الطبعة 17، شارع محمد حسين، طابق 3، 946611 - 946610 - بوليا، الجزائر - هاتف
946611 - 946610 - هاتف 301741 - 301740 - الجزائر - هاتف

